



جامعة الشرقية
A'SHARQIYAH UNIVERSITY

كُليَّةُ الأَدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ
قِسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا
سلطنة عُمان

أساليب التلطف في الخطاب الديني بسلطنة عُمان خطب الجمعة نموذجاً

"دراسة لغوية تداولية"

رسالة مقدّمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

إعداد

خيال بنت سليمان الصلتية

إشراف

الدكتور / علي بن حمد الفارسي

1447هـ / 2025م



قرار لجنة المناقشة

تم بحمد الله وفضله في يوم: الأربعاء، الموافق: 15-10-2025م، مناقشة رسالة الماجستير الموسومة بـ: "أساليب التلطف في الخطاب الديني بسلطنة عمان: خطب يوم الجمعة نموذجاً: دراسة تداولية"، للطالب: خيال بنت سليمان بن صروخ الصلتية، وتكونت لجنة المناقشة من الأفاضل الأساتذة:

رئيس اللجنة - جامعة الشرقية	أ.د. عامر بن فائل بلحاف
المناقش الخارجي - جامعة نزوى	د. سالم بن علي البوسعيدي
المناقش الداخلي - جامعة الشرقية	د. فاطمة بنت ناصر المخينية
المشرف الرئيس على الرسالة	د. علي بن حمد الفارسي

وفي ضوء إتاحة الرسالة للمناقشة العلمية؛ قررت لجنة المناقشة:

- إجازة الرسالة بدون تعديلات.
- إجازة الرسالة مع إجراء تعديلات طفيفة.
- تعليق إجازة الرسالة حتى إجراء تعديلات جذرية.
- عدم إجازة الرسالة.

الدكتور محمد بن خلفان الصقري

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

إقرار الباحث

الإقرار

أقر بأن المادة العلمية الواردة في هذه الرسالة قد عولجت وفق أسس البحث العلمي وقواعد الأمانة العلمية، وأن محتواها غير مستل من أي مصدر منشور أو غير منشور، وأنه غير مقدّم للحصول على أي درجة علمية أخرى، وأن مضمون هذه الرسالة يعكس آرائي الخاصة، وهي ليست بالضرورة الآراء التي تتبناها الجهة المانحة.

الرقم الجامعي: 2214653

الباحثة: خيال بنت سليمان الصلتية

التوقيع:

شكر وتقدير

إن في الحياة محطات يحتاج فيها المرء إلى شيء من الدعم المعنوي؛ ليعينه على التخطي والانتقال برحاله إلى الخطوة التالية، ولهذا النوع من الدعم ينبري في حياة المرء صفوة من المقربين وأصحاب القلوب الطيبة، يعاونون ويؤيدون ويأخذون بيده ويؤازرون، ولا يدخرون في سبيل دعمه شيئاً؛ لبلوغ الغايات ونيل المقاصد، فيفتحون له آفاقاً من التحفيز والتشجيع، ويصبون عليه غيثاً من الدعوات الصادقات؛ لتَهطل عليه بغيث مغيث، فتنتعش الروح بهذه العطاءات، وينشرح الفكر بأفكار ملهومات، فلا تبقى في الطريق عقبات ولا في سير الأمور معضلات؛ فتشرق الأيام بالتسهيل والتيسير، ويغدو العسير بهن يسيراً، وعلى طبق من التقدير يقدمونها، وكعربون وفاء يثمنونها؛ لينتشي بها صاحبها، ويبقى في نفسه أثر شذاها، ويتردد في الكون خير صداها ما امتدت بصاحبها مداها؛ لذا فإني شاكرة ممتنة لكل نفس داعمة وكل يد لشيء من المعروف صانعة، فكل الشكر والتقدير والامتنان لكل من ساندني في هذا الإنجاز الصغير من الأهل والأصدقاء.

وأخص بالذكر والشكر المشرف الأكاديمي الدكتور الفاضل علي الفارسي، وأعرب له عن امتناني العميق نظير توجيهاته الإرشادية وملاحظاته البناءة وجهوده المتواصلة، وإني أسأل الله القدير له أن يجزيه على فضله وسعة صدره وحسن تعامله خيراً وعوداً وأجرًا، هذا والحمد لله من قبل ومن بعد على المتفضل الأعظم مسخر الأسباب والعباد الذي لا تبلغ المقاصد إلا بفضله.

أساليب التلطف في الخطاب الديني بسلطنة عُمان خطب الجمعة نموذجًا

دراسة لغوية تداولية

إعداد: خيال بنت سليمان الصلتية

إشراف: الدكتور/ علي بن حمد الفارسي

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم التلطف اللغوي، وكيفية معالجته كمفهوم لغوي ضمن إطار تهذيب الخطاب الديني في سلطنة عُمان. ويهدف البحث إلى تحليل هذه الأساليب للكشف عن مظاهر التلطف وأنماطه المختلفة، واستكشاف دوره في تهذيب الخطاب وإنجاحه، وجذب المتلقي لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الخطب. ويتحقق ذلك من خلال تطويع التلطف في بعض الأساليب، والاستعانة بإستراتيجيات لغوية تجعل الخطاب منسجمًا ومقبولًا بين الخطيب والمتلقين. وتؤكد الدراسة على أهمية تجنب الأوامر المباشرة والمواجهات الحادة؛ أو أي لغة تحمل معنى التقرع أو الزجر؛ لأنها تحد من تحقيق الأهداف المنشودة. وتسعى الدراسة إلى إبراز تجليات التلطف، مثل استعمال الأساليب البلاغية المحببة، وانتقاء المفردات اللطيفة، والبنى التركيبية المحفزة، والاستعاضة بالاستلزام الحوارية كبديل للتصريح، واختيار أنماط من المقاطع الصوتية الموسيقية المقبولة التي لا تثير حفيظة المتلقي؛ إذ يوظف البحث عناصر ومعطيات المنهج التداولي في التحليل واستبدال الأفعال الكلامية المباشرة بأفعال أخف وأطف؛ لتكون بديلاً ناجحاً وفعالاً في تحقيق الأهداف. وذلك باتباع سياسة تهدف إلى زيادة ربح الطرف الآخر وتحفيزه، من خلال بث الأمل في نفسه، وإتاحة الفرصة له للتفكير واتخاذ القرار، واللجوء إلى صيغ المبني للمجهول، واعتماد بعض الصيغ الخبرية، ودم الأفعال ونتائجها لا فاعليتها، كبديل أطف عن المواجهات الحادة التي تخلق نوعاً من المقاومة أو الرفض. وسيوضح البحث كيف يمكن أن تكون المقدمات التمهيدية التي تدل على وعي أصحابها ورقي أخلاقهم سبيلاً لطيفاً لقبول الخطاب وتلطيئه. بعد ذلك، سيتم إحصاء نتائج وتفاصيل التلطف في هذه الأساليب، ومواطن بروزها، ومبرراتها ودواعيها، بلغة رقمية وبيانية مختصرة.

Abstract

This study examines the concept of linguistic politeness in the rhetorical styles of Friday sermon (Khutbah) texts, and how it is addressed as a linguistic phenomenon within the framework of refining religious discourse in the Sultanate of Oman. The research aims to analyze these rhetorical styles to uncover the manifestations and various patterns of politeness, and to explore its role in refining and enhancing the effectiveness of the discourse, as well as attracting the audience to achieve the intended objectives of these sermons. This is accomplished through the adaptation of politeness in certain rhetorical techniques and the use of linguistic strategies that render the discourse coherent and acceptable between the preacher and the listeners. The study emphasizes the importance of avoiding direct commands, confrontational tones, or any language conveying reprimand or censure, as such expressions hinder the attainment of the desired goals.

The research seeks to highlight the different manifestations of politeness, such as employing appealing rhetorical devices, selecting pleasant vocabulary and motivational syntactic structures, substituting conversational implicature for explicit statements, and choosing patterns of harmonious, acceptable prosody that do not provoke the audience. The study applies elements and principles of the pragmatic approach as an analytical tool, replacing threatening or warning speech acts with lighter, gentler alternatives that serve as effective substitutes for achieving the intended goals. This is done by adopting a strategy aimed at increasing the interlocutor's benefit and motivation, instilling hope, and granting them the opportunity to reflect and make decisions. Additionally, the research considers the use of passive constructions, certain declarative forms, and the criticism of actions and their outcomes rather than their agents as softer alternatives to sharp confrontations that may trigger resistance or rejection. The study also illustrates how introductory remarks—reflecting the speaker's awareness and high moral conduct—can serve as a gentle means of facilitating acceptance and softening the discourse. Finally, the research will present numerical and graphical summaries of the results, detailing the occurrences, contexts, and justifications of politeness in these rhetorical styles.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	فرار لجنة المناقشة
ب	إقرار الباحث
ج	شكر وتقدير
د	ملخص الرسالة باللغة العربية
هـ	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية
و	قائمة المحتويات
6 - 1	المقدمة
10 - 7	التمهيد
107 - 11	الفصل الأول: أنماط التلطف اللغوي في خطب الجمعة وعلاقته بالأساليب اللغوية
	1
12	المبحث الأول: أنماط التلطف اللغوي في التحية والتقدير
34	المبحث الثاني: أنماط التلطف اللغوي في الدعاء
54	المبحث الثالث: أنماط التلطف اللغوي في النداء
85	المبحث الرابع: التلطف اللغوي في الأمر غير المباشر
97	المبحث الخامس: التلطف اللغوي في النهي غير المباشر
180-108	الفصل الثاني: أساليب التلطف في خطب الجمعة: بين التداول والإحصاء
	2
109	المبحث الأول: دور أساليب التلطف تداوليًا في تحقيق أهداف الخطب وتهذيب الخطاب
148	المبحث الثاني: أثر أساليب التلطف في خطب الجمعة عند جموع المصلين
153	المبحث الثالث: بيان مدى تكرار أساليب التلطف اللغوي إحصائيًا وشيوعها
162	المبحث الرابع: علاقة شيوع أساليب التلطف اللغوي بنمط الخطبة وأهدافها
184-181	الخاتمة: (النتائج والتوصيات)
193-185	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة:

1. فكرة الدراسة

يعد التلطف اللغوي من ضمن الأساليب التي تنتج بها اللغة مقاصدها، وتتجز من خلالها الخطابات أفعالها، لذا يمكن القول إن تطويع اللغة في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد العظيمة، وتحويل الكلمات إلى انبعاث في الوعي وسبيل سالك للعقول، وأداة لامتلاك القلوب، والتعامل مع اللغة ككائن حي يتنفس من روح المتكلم لينبض في وجدان السامع، لتخرج من كونها مجرد أصوات عابرة لا تلبث أن تخترق الأسماع حتى تغادرها، إلى كونها مرايا للنوايا الطيبة وتجليات للأرواح الصادقة، ووسيلة تتجاوز التعبير لتلامس الإقناع، لتكون الوسط الحي بين كيان هذا الإنسان وعالمه، وقناة اتصال بين الذات ووعيها، وأداة بين المعنى والشعور قبل أن تكون اتصالاً بين الذات والآخر، هنا تسمو اللغة من كونها نظاماً من الرموز إلى عالم من الوعي الأخلاقي والجمالي، فتغدو كوسيط ينفذ من خلاله الإنسان إلى إدراك المعاني ملطفة حانية، بل جسوراً مزهرة تصل بالمعاني إلى القلوب، بعيدة عن اللغو والزجر والحدة، فيكون الهدف من كل قول حينها منحة خرجت بقصد وحكمة، بعيداً عن سياسات الفرض والغلظة، ليغدو التواصل بها فناً من الخطاب الإنساني الراقى الذي يستقطب الأسماع والأفهام، ويبلغ المقاصد ويحقق المآرب، ليكون الذوق في التواصل والخطاب ضرورة لا ترفاً، ويغدو اللطف فيها جوهرًا لا مجاملة.

لأن الخطاب الملطف في الرسائل السامية ليس تخفيفاً لها بل تعظيماً لقيمتها، فُصان المشاعر ويُحفظ الود، ويُبنى عالم تذوب فيه الفروقات الفكرية المتنطعة، ليظهر حينها الاختلاف متقبلاً بوعي دون خوف. والأخطاء واردة تُقوّم بالتصحيح، وعندها تتحول اللغة إلى غاية ترتقي بالقول إلى مقام الفعل، لأنها بنيت باختيارات لغوية واعية تخرج في الخطاب لتبني لا لتهدم، ويكون المتلقي أسمى غاياتها تحتفي به لتصلحه، لتبنيه، لتنهض به وتحتويه.

هكذا تُسخر اللغة في عالم الانفتاح والعولمة، اللذين كانا سبباً في تداخل الثقافات وانحسار الدين وضياع الكثير من الأخلاق، فتغدو القيم الإسلامية ضعيفة منكشفة، وكثير من ستر الأخلاق

مختربة، لتغدو الأجيال على شفا حفرة من فساد القيم والدين، لا تميز بين الحق والباطل، والتحضر والانزلاقات، ويغدو الميل إلى هوى الانفتاح والتأثر به غالبًا، فكان لا بد أن يُسخر خطاب واعٍ ولطيف يخاطب قلوبهم ويراعي طريقة تفكيرهم لإرشادهم ورسم خارطة النجاة لسلامتهم، وليس أفضل من أن يكون الخطاب الديني الخيار، فكانت خطب الجمعة السبيل لذلك، كخطاب ديني واعٍ ومدروس أهدافه سُخِّرَت للحفاظ على الكيان المسلم في مختلف جوانبه الروحية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية، وغدت أساليب التلطف فيه أبرز سمات بنائه وأرجى غاياته، سُخِّرَت فيه الجهود لتحشد له الأسباب والألفاظ والمحسنات والإستراتيجيات لطيفة ملطفة، مراعية تخاطب أرواحهم وتستهدف صلاحهم وإصلاحهم، فكانت السبيل لتحقيق التلطف اللغوي في الخطاب الديني بسلطنة عُمان وتحقيق أهدافه.

2. أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من محاولتها تتبع خطب الجمعة خلال المدة الزمنية المحددة، والكشف عن أنماط التلطف اللغوي بدراسة مواطنها في الخطاب، وتأثير أسلوب الخطاب والأفعال الكلامية في نفوس المخاطبين. فلخطب الجمعة دور كبير في إنكفاء النزعات الإيمانية وإحياء القيم الدينية في حياة المسلمين، فهي بمثابة محطة إيمانية تعود إليها النفوس لتجديد إيمانها واستنهاض جذوة الإيمان فيها. كما أنها منبر دائم للتذكير والوعظ، يتلمس الخطباء من خلاله حاجة الناس، وتُثار فيه قضايا المسلمين عامة. ونظرًا لهذا الدور المحوري، كان الحرص والسعي الدؤوب لجعل هذه الخطب على قدر من الضبط اللغوي والنحوي والتركيبي والأسلوبي ضروريًا. وأرى أن التركيز على لغة الخطاب، والحرص على التلطف فيها بانتقاء أدق الألفاظ وألطف المعاني، والسعي إلى اختيار الأسس والأساليب والاستراتيجيات التي تعين على نجاح خطابها وتحقيق أهدافها، أمر مكمل لقيمة الجوانب الأخرى من تحري القواعد النحوية والصرفية، وهو ما يكسب الموضوع أهميته. لذا، فإن حضور التلطف اللغوي في هذه النصوص سبيلًا أيسر لإصال رسائلها إلى قلوب المخاطبين قبل عقولهم وغيابه عنها لا يعني انتقاصًا من جوهرها المعرفي أو تقليلاً من قيمتها العلمية. كما أن التركيز على هذا الجانب يمهّد السبل لتقبل الناس وجذب انتباههم، حتى يكون الأخذ والاتباع مبنيين على اقتناع محبب ومرغوب، قبل أن يكون اتباعًا مفروضًا ضمن قواعد دينية ملزمة. ولا شك أن وعي الخطباء

بهذا الموضوع وتطبيقه أمر في غاية الأهمية، لأنه سيحقق لهم عملاً أيسر في التوجيه والوعظ، وبالتالي سيقودهم ذلك إلى صنع مجتمع مؤمن راق يخاطب القلوب قبل العقول.

3. أهداف الدراسة

وتهدف هذه الدراسة إلى:

1. تحديد أساليب التلطف وعلاقتها بتحقيق أهداف الخطاب الديني في سلطنة عُمان.
2. توضيح دور أساليب التلطف اللغوي تداولياً في تحقيق أهداف الخطب.
3. تحديد مواطن التلطف في بعض نصوص مدونة الدراسة وتأثيرها على المخاطبين.
4. بيان تكرار أساليب التلطف وشيوعها إحصائياً.

4. مشكلة الدراسة (الأسئلة البحثية)

1. ما الأساليب البلاغية البارزة في تشكيل الخطب وبنائها؟
2. ما مظاهر التلطف اللغوي وأنماطه في هذه الأساليب؟ وكيف ظهرت فيها؟
3. كيف أسهم التلطف اللغوي في هذه الأساليب في إبراز قوتها الإنجازية وتهذيب خطابها؟
4. أي هذه الأساليب هي الأكثر والأقل شيوعاً لظهور التلطف؟ وما مبررات شيوعها ودواعيه وأسبابه؟

5. منهج الدراسة

تتوخى هذه الدراسة تحقيق أهدافها من خلال المنهج اللغوي، واعتماد المنهج التداولي كأداة في التحليل الذي يستثمر مكتسبات الدراسات التداولية في تحليل الظاهرة اللغوية.

6. مادة الدراسة والحدود:

مادة الدراسة مكونة من خُطب عام (2022م)، والبالغ عددها 49 خطبة، تبدأ من الجمعة بتاريخ (11 جمادى الآخرة 1443هـ)، والذي يوافق (2022/1/12م)، إلى الجمعة بتاريخ (6 جمادى الآخرة 1444هـ)، والذي يوافق (2022/12/28م).

وخطب عام (2023م)، والبالغ عددها 51 خطبة، بداية من الجمعة بتاريخ (13 جمادى الآخرة 1444هـ) الموافق (2023/1/4م)، إلى الجمعة بتاريخ (15 جمادى الآخرة 1445هـ) الموافق (2023/12/28م). إجمالي عدد الخطب 100 خطبة.

7. الدراسات السابقة:

يتطلب البحث عرض بعض الدراسات السابقة التي تتصل بموضوع التلطف اللغوي، ومن هذه الدراسات:

• حمود أحمد، إياد: إدراك التهذيب وعدم التهذيب اللغوي، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، العراق، جامعة الفلوجة، مج2، ع5، 1443-2022م.

وهي دراسة في علم اللغة درس فيها الباحث اللباقة اللغوية في الثقافة العراقية، وضرورة إدراك وفهم الظاهرة الاجتماعية اللغوية، مركزاً على أساليب اللغة المهذبة وغير المهذبة في عرف لغة أهل العراق وثقافتهم اللغوية، للوصول إلى أسباب تغير المجتمع وتصنيف الخطاب إلى الأكثر أو الأقل تهذيباً.

• فيران، نجوى: آداب السلوك اللساني- من الطابو إلى التلطف اللساني، مجلة الآداب واللغات، الجزائر، مج21، ع1، 2021م، ص ص 106-117.

وهي دراسة سعى فيها الباحث للكشف عن آداب استعمال اللغة التي تعارفت عليها المجتمعات اللغوية، مركزاً على ظاهرة التلطف والتأدب اللساني، وموضحاً أن اللغة هي سلطة تمارس على الأفراد داخل الجماعات اللسانية، وأن كل ما تستهجنه النفس وتأباه من القول يدخل في قائمة المحظور (الطابو).

• عاشور، فاطمة الزهراء: التلطف في اللغة العربية دراسة دلالية - نماذج شعرية مختارة - (رسالة ماجستير)، جامعة العربي بن مهدي أم البواقي، الجزائر، 2015-2016م.

وهي دراسة دلالية سعت فيها الباحثة من خلال نماذج شعرية مختارة إلى الكشف عن أساليب التلطف والكشف عن الجوانب الجمالية من الناحية البلاغية بإبراز الألفاظ القبيحة وإعطائها دلالة أحسن.

• اعنزوول، يونس: أساليب التلطف العربية "دراسة لغوية تداولية"، جامعة محمد الأول، المغرب.

سار هذا البحث على منهج الدراسات اللغوية التطبيقية، وحاول صاحبه معالجة أهم المفاهيم التداولية التي تتعلق بالأفعال الكلامية والمقام والسياق والإفادة والقصد، وتوظيفها في أساليب التلطف العربية عن طريق استبدال المعاني الحادة بأخرى ألطف.

• قزق، حسين يوسف وبطائية، حسين والمومني، إنصاف: التلطف في التعبير، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الجزائر، ع10، 2014م.

حاول هذا البحث أن يعرض قضية التلطف من خلال اللغة، وتوضيح أن التلطف في اللغة أكبر من كونه إبدال كلمة مكان أخرى، بل هو منهج لغوي تبرزه أساليب شتى كالتقديم والتأخير والاستفهام والدعاء.

• الثبتي، محمد سعيد: ظاهرة التلطف في الأساليب العربية (دراسة دلالية لتقبل الألفاظ لدى الجماعة اللغوية)، جامعة أم القرى، السعودية.

قدم هذا البحث دور الجانب الاجتماعي وأهميته في دراسة اللغة والكشف عن أحوال الجماعة اللغوية المتعلقة بالحشمة والأدب وتبليغها بأساليب راقية، تراعي فيها القيم الاجتماعية والآثار النفسية باستعمال التلطف المتمثل في المجاز والتحريف الصوتي. ويمكن أن نجمل الاستفادة التي قدمتها هذه الدراسات في خدمة موضوعنا من خلال إطارها النظري الواسع في بيان أنماط التلطف اللغوي من منظور اجتماعي وثقافي والتأكيد على أهمية أدراك المخاطب للخطاب الملطف لدوره التأثير والإيجابي في تحقيق الأغراض التواصلية مع فهم البعد الاجتماعي والسلطوي للغة لأهميته في الخطاب الديني الذي يمارس كسلطة توجيهية أخلاقية وروحية.

أما هذه الدراسة المعنونة بـ (أساليب التلطف في الخطاب الديني بسلطنة عُمان: خطب الجمعة نموذجًا) فتسعى إلى استكشاف مواطن التلطف في الأساليب البلاغية المستعملة في خطب الجمعة. ومناقشة مظاهر هذا التلطف من خلال تحليل استعمال المقدمات التمهيدية، وانتقاء الألفاظ المحببة، واختيار التراكيب اللغوية اللطيفة، واعتماد الإستراتيجيات الإقناعية والتأثيرية، والأفعال الإنجازية

المناسبة، مع التركيز على السياقات وأحوال المخاطبين ومراعاتهم، وذلك بهدف تطيف الخطاب الديني وتحقيق أهدافه. ثم يتم تحويل هذا التحليل اللغوي إلى بيانات رقمية إحصائية. وتتميز بأنها تطبيقية وليست نظرية تدولية في منهجها التحليلي محصورة في الخطاب الديني الرسمي المتمثل في خطب الجمعة مرتبطة بالسياق الثقافي بالسلطنة وتكشف عن وظيفة التلطف التواصلية والإقناعية في الخطاب الديني وهي زاوية لم تتطرق إليها الدراسات السابقة.

التمهيد:

1. خطب الجمعة أهدافها ومقاصدها

خطب الجمعة كانت وما زالت منبر تذكير وإرشاد للأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، يُنعش بها المسلمون طاقاتهم الإيمانية، ويخففون بتذكيرها الوعظي أثقال الحياة ومتاعبها عن كواهلهم. كما يُعد نمطها الأسبوعي المتكرر فرصة جليلة لتعليم النشء وتذكير الشباب ووعظ الناس، وبهذا تعد فرصة لعودة شوارد النفوس إلى جادة الصواب. كما أن المتأمل لمادة الخطب ومضمونها يجد أنها ضمن البحوث التي لا تتصل في أساليبها، والسبب في ذلك اختلاف أزمنة كتابتها، ولأنها تُكتب وفقاً لمجريات أحداث الحياة، والأحوال الطارئة، والمناسبات المستجدة، وهذا بطبيعة الحال سيؤثر على مواضيعها من جهة، وتبيان جودتها وأسلوبها وحماسها من جهة أخرى، إلا أن الأطر العامة لها تبقى ثابتة؛ لأنها محكومة بضوابط الشرع ومنهجية الخطبة العربية وطريقتها، والأهم من ذلك كله أن اختيار مواضيع هذه الخطب ليس اعتباطياً، كما أن الآراء والأفكار المطروحة خلالها تتعدى حدود الخطباء وآراءهم الشخصية؛ لأن الاختيار يتم عن طريق فريق له باع في مسألة التجديد في الخطاب الديني، لهذا يأتي التركيز فيها على أمور دقيقة تمس تكوين الإنسان واحتياجاته ونواة الأسر وأسس بنائها⁽¹⁾.

أما بالحديث عن الأهداف العامة لخطب الجمعة ومقاصدها، فتتمثل في دورها في معالجة القضايا الدينية وإيجاد الحلول للظواهر المجتمعية، وبيان رأي الشرع والدين في الموضوعات المستجدة، والمشاركة في قضايا الأمة الإسلامية، ووضع الحدود في التعامل مع الثقافات الغربية والعالمية بما لا يمس الدين ولا يتعارض معه. كما أنها "مدرسة متجددة تطرح طريقة التعامل مع الكثير من المعاملات والعادات الوافدة على الأمة من خارجها"⁽²⁾ في ظل الانفتاح والتطور، وتبقى أسمى غايات خطب الجمعة تذكير الناس بغاية وجودهم في هذه الحياة انطلاقاً من القاعدة الربانية في قوله تعالى: ﴿وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ الذاريات: ٥٦

(1) الحقييل، إبراهيم محمد: المفيد في خطب الجمعة والعيد، ط1، دار ابن خزيمة، ج1، الرياض، 2005/1426م،

ص5-16.

(2) المرجع نفسه: 19.

2. التلطف اللغوي أصله ودوافعه وأساليبه

يعود أصل مصطلح "التلطف اللغوي" إلى التراث العربي القديم، وإن لم يشع استعماله بهذا الاسم آنذاك. فقد نشأ المفهوم وتأسس في البلاغة العربية من خلال فنون الكناية والتورية، التي استعملت في سياقات متنوعة في الأدب والخطاب الديني والرسمي. وكان هدف استعماله تجنب التصريح بكل ما يُستقل أو يُستقبح، بل امتد ليشمل التعبير عن الخصوصيات كالعورات وقضاء الحاجات والعلاقات الزوجية. وكان وسيلة للتعبير عن الأمور الحساسة كالعيوب والأمراض والموت بطريقة تراعي كرامة المخاطب وتحفظ الذوق العام. وقد حفظ لنا التاريخ أدلة تثبت مرجع ذلك، مثل كتاب "الكناية والتعريض" للثعالبي⁽¹⁾، الذي تناول الكنايات كبديل للتعبير عن كل ما هو مستهجن أو يُستحي من ذكره صراحة، وكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني⁽²⁾ الذي ناقش الكناية فيه ضمن نظريته في إعجاز القرآن. كما جاء كتاب البيان والتبيين للجاحظ⁽³⁾ ذكر فيه أساليب التعبير ومنها الكناية والتعريض، وكتاب المثل السائر لابن الأثير⁽⁴⁾ تناول فيه الكناية كجزء من البلاغة والأسلوب الأدبي. والكناية تأتي للتعبير عن المعاني بطرق غير مباشرة، بل تلمح لها من خلال معانٍ ملازمة لها، فتجعل الكلام أكثر جمالاً وعمقاً وقبولاً. ويمكن أن ترصد إشارات لعلماء اللغة في التراث النحوي والبلاغي إلى (لطف العربية) في التعبير وتميزها الواضح في قدرتها على تلطيف المعاني حسب ما تستدعي السياقات النفسية والاجتماعية لمراعاة المخاطب، فقد أشار ابن جنى وأبو علي الفارسي إلى ذلك بما يعكس وعي علماء العرب بأهمية البعد الإنساني في اللغة. وجاء الدين الإسلامي مؤيداً ومعززاً لهذا التوجه الإنساني النبيل، فحثّ على اللطف والمراعاة والرفق، كعادته في تأصيل الفضائل ودعم القيم والأخلاق في البيئة العربية. ولا أدل على ذلك من أنه جعل الدعوة إليه سبحانه باللطف واللين، فقد قال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥، وفي قصة موسى وهارون مع فرعون درس آخر

(1) الثعالبي، عبد الملك: الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين، دار قباء للطباعة والنشر.

(2) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني.

(3) الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندي، ط1، المطبعة التجارية.

(4) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله: المثل السائر، تحقيق: محمد محي الدين.

يعلمنا فيه أن الدعوة لا تتم بالغلظة والشدة حتى مع أعتى الناس كفرًا وعنادًا، موجَّهًا إياهما لدعوته:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ طه: ٤٤، مفسرًا سبحانه سبب ذلك: لعله يلين ويتذكر

فيخشى، ومعنى ذلك أن لين القول مؤثر وسياسة ناجحة في الدعوة بأمر رباني، كما أكد ذلك سبحانه وتعالى في موضع آخر في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣، بهذا أجد أن مطلب اللطف واللين في الدعوة هو أساس فيها.

وفي العصر الحديث بدأ تأصيل المصطلح والتنظير التداولي له، حيث بدأ الباحثون بتحليل مصطلح التلطف اللغوي بوصفه ظاهرة لغوية ذات أبعاد ثقافية واجتماعية، فدرسوه "في إطار (التفاعلية الاجتماعية الخطابية) يكون العمل اللغوي وحدة التحليل الأساسية"⁽¹⁾ بهذا أصبح هذا المصطلح ضمن إستراتيجيات الخطاب خاصة في السياقات التي تشير إلى التهذيب، لذا جاءت كلمة "ملطف كمفهوم في إطار نظرية آداب المعاملة"⁽²⁾ بما يسمح بوجود انسجام بين المتحاورين في تفاعلاتهم.

وعرّف الباحثون التلطف اللغوي كمصطلح تداولي بأنه: "إبدال الكلمة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولاً"⁽³⁾. أما أولمان فيرى: "إن استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من أي مغزى سيئ أو مخيف بكلمات اللامساس يعد ضروريًا من ضروب حسن التعبير"⁽⁴⁾، وعرّف حسن التعبير بأنه: "وسيلة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه"⁽⁵⁾، كما أشار إلى دواعي التلطف ودوافع استعماله، أذكر منها استعماله في المقدمات لكونه وسيلة مقنعة فيها. إن دوافع استعماله قد تكون نفسية أخلاقية كالحياء والحشمة، أو طلب التودد والكسب والقبول، أو حتى بدافع الرهبة والخوف، وقد تكون اجتماعية كالآداب والتواضع،

(1) شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك: معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، دار سناترا، تونس، 2008م، ص28.

(2) المرجع نفسه: ص30.

(3) مختار عمر، أحمد: علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة، ص240.

(4) أولمان، ستيفن: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، ص177.

(5) المصدر نفسه: ص177.

أو لتفادي الإحراج والتصادم مع الآخرين. وانطلقت دوافع التداولية اليوم كملخص لكل هذا بمراعاة المتلقي وتحقيق الانسجام مع المقام والسياق للحفاظ على وجه المتلقي وتقليل التهديد.

أما أساليب التلطف كما جاءت عند (هاوس وكاسير، 1981) فهي متنوعة، وتأتي على هيئة أساليب معجمية، وأخرى صرفية تركيبية، وأخرى تنغيمية، وأخرى إيمائية حركية⁽¹⁾، فدراسة التلطف اللغوي في اللغة تأتي من خلال تحليل النصوص في تحويراتها الصوتية والتركيبية باستعمال الأساليب غير المباشرة والاستعمالات المجازية وانتقاء المفردات والتراكيب.

(1) شارودو، باتريك و منغزو، دومينيك: ص31.

الفصل الأول

أنماط التلطف اللغوي في خطب الجمعة وعلاقته بالأساليب اللغوية

- المبحث الأول: أنماط التلطف اللغوي في التحية والتقدير.
- المبحث الثاني: أنماط التلطف اللغوي في الدعاء.
- المبحث الثالث: أنماط التلطف اللغوي في النداء.
- المبحث الرابع: التلطف اللغوي في الأمر غير المباشر.
- المبحث الخامس: التلطف اللغوي في النهي غير المباشر.

الفصل الأول

أنماط التلطف اللغوي في خطب الجمعة وعلاقته بالأساليب اللغوية

1.1. المبحث الأول: أنماط التلطف اللغوي في التحية والتقدير

1.1.1. أهمية التحية والتقدير.

إن الطبيعة البشرية جُبلت على حب التقدير، فكان للغة دور الريادة الفعال في نقل المشاعر وإيصالها للمخاطبين؛ لذا كان لاختيار المقدمات اللطيفة في اللقاءات والرسائل والمناسبات والخطب أمر مهم أولاه أصحابها والمختصون عناية خاصة، لا سيما خطب الجمعة على وجه التحديد، التي تحمل في طياتها جملة من لغة التحية غير منطوقة بعبارات اللفظية المألوفة أو المتعارف عليها، وذلك بسبب خضوع الخطبة لنظام الكتابة الأدبية في فن الخطابة العربية المتعارف عليها عند الأدباء والفصحاء. إلا أن المتأمل الفاحص سيلاحظ وجود انتقاء مقصود لهذه البدايات في الخطب، فجلها إن لم يكن كلها بُني بأسلوب تقديري لطيف يوحي بالتحية والترحيب والاستقبال للمخاطبين، وإن لم تكن بدايتها بـ "السلام عليكم ومرحبا وأهلاً".

وسنوضح بحول الله كيف سيسهم التلطف في التحية والتقدير في تحقيق أهداف الخطبة، وجذب انتباه المخاطبين لهذه المواعظ الدينية وتقبلها، بعد استعراض معنى التحية والتقدير في اللغة وظهورها في الأدب ومعانيها في البلاغة. والوقوف على مواطن التحية والتقدير بالتحليل والتفسير للوصول إلى معانيها الدلالية والتلطفية. ويأتي الاهتمام بأسلوب التحية والتقدير لدوره في بناء العلاقات التواصلية الجيدة بين الخطيب ومستمعيه، بما يعكس احترام الخطيب للمخاطبين أولاً، ولدوره في إنجاح الخطاب وتحقيق أهدافه المرجوة عن رغبة واقتناع ثانياً.

2.1.1. التحية والتقدير في اللغة.

التحية من أصل الفعل حيّاً ومعناها في لسان العرب: "التحية: السلام. وحكى اللحياني: حياك الله تحية المؤمن. والتحية البقاء. والتحية: الملك. وفي قول زهير بن جناب الكلبي: ولكل ما نال الفتى

قد نلتها إلا التحية. قيل الملك، وقال ابن الأعرابي: أراد البقاء. والتحيات لله: ينوي بها البقاء لله والسلام من الآفات والملك لله⁽¹⁾ وفي المعجم الوسيط: "حياه الله: أبقاه. والتحية: السلام".⁽²⁾

أما كلمة التقدير كما جاءت في لسان العرب: "تقدر له الشيء أي: تهياً. وقدرت الشيء أي: هيئته. وما قدروا الله أي: ما عظموه".⁽³⁾ وفي المعجم الوسيط: "قدر فلان: تمهل وفكر في تسوية أمرٍ وهيئته"⁽⁴⁾.

3.1.1. التحية والتقدير في التراث العربي والبلاغة.

يُعد أسلوب التحية والتقدير من الأساليب العريقة المصاحبة للحضارة العربية وغيرها من حضارات الشعوب الأخرى، يُعبر به عن الاحترام والتقدير في تعاملهم وتواصلهم لكونه يمثل عرفاً اجتماعياً في التواصل، وتقدير الضيف وإكرامه، وأبرز شيم الأخلاق العربية البارزة. كان التقدير جزءاً أساسياً في تعاملاتهم كأفراد وجماعات يعكس قيم احترام الآخر والمسؤولية الاجتماعية، وهذا بدوره انعكس تلقائياً على القيم الأدبية والثقافية التي تشكل جزءاً من الأدب والشعر العربي، وكانت تظهر سمات التحية والتقدير في القصائد والخطب كوسيلة للتعبير عن الاحترام والتقدير. كشفت بلاغتها عن الجماليات والفن في استعمال اللغة بشكل دقيق وموزون، أسهمت في إثراء المعاني الجمالية في النصوص. فاستعمال التحية والتقدير في الخطاب وفي سائر أشكال التواصل في حياة الأفراد يساهم في بناء جو من الاحترام والتقدير وتعزيز العلاقات ويفتح فضاءً من الاستعداد للاستقبال والاستجابة.

إن اختلاف الأمم في موروثاتها الحضارية وتباين الخلفيات الدينية والاجتماعية لهذه الشعوب أعطاهم خصوصية في التعامل مع التحايا وعبارات التقدير، وبهذا تشكلت الخصوصيات في هذه التحايا التي تحدد كل شعب وإقليم، وتتعلق عادة بالمنظومة الرسمية والودية والجمالية الخاصة بها، يترجمون من خلالها مشاعرهم ويعبرون بها عن تواصلهم في الترحيب واللقاء والاجتماع والوداع.

(1) ابن منظور، محمد مكرم: لسان العرب، تحقيق: عبدالله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ص1078-1079.

(2) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004/1425م، ص213.

(3) لسان العرب، 3548.

(4) الوسيط، 718.

وتتمثل قيمة التحايا في هذه المجتمعات في قدرتها على بناء المنظومات النفسية لأفراد المجتمعات التي تنشأ خلالها، فتدير العرف الأخلاقي في تقديم الآداب وكل صلاتها الروحية، وبناء العلاقات في المجتمع في مقام الاجتماعات الرسمية والاجتماعية والدينية، فيكون الحرص على تقديم هذه التحايا الرقيقة واللطيفة التي تستقطب قلوب الحاضرين وتشرحها بالود، وتبعث فيها قبول الحضور والاستمرار في الاستقبال. والتحية بوصفها تعريفاً اصطلاحياً، هي: "العبارة التي يباشر بها المتكلم المتلقي حين يلقاه ولهذا فإن فائدتها تتمثل في كونها أول عبارة تصل إلى سمع المتلقي"،⁽¹⁾ ويمكن للوهلة الأولى للمتلقي أن يستشعر ما وراء هذه المباشرة، فقد يطمئن فيشعر بتسلل الارتياح إلى أعماقه فيشعر بالأمان، وقد تحمل شيئاً من الوجع يدركه المتلقي فور تلقيه لهذه العبارة أو الإشارة.

تجدد الإشارة إلى أن التحية الطيبة لا يقتصر أثرها على المتلقي فحسب، فقد يقصدها المتكلم حاجة في نفسه، كما ورد ذلك في شعر الإمام الشافعي:

إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْتِهِ لَأُدْفِعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ⁽²⁾

وفي بيان أثر التحايا في النفوس كما جاء في الشعر العربي قول الشاعر*:

قَدْ يَمَكُتُ النَّاسُ دَهْرًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَدٌ فَيَزْرَعُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ⁽³⁾

ولأن "التحية لون من الأساليب التي يحتاجها الناس في مخاطباتهم"⁽⁴⁾، فقد وردت التحايا في التراث العربي بصيغ عدة، سألمح إلى أشهرها وروداً في التراث، وسأجعل الإسلام حدّاً لاختلافها. ففي العصر الجاهلي كانت التحية بقولهم: "أبيت اللعن"، وهي أشهر ما يُحَيَّا بها الملوك ويخاطب بها

(1) الصامل، محمد: بلاغة أساليب التحية في الشعر العربي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وأدائها، ج16، ع28، شوال 1424هـ، ص649.

(2) الشافعي، محمد بن إدريس: ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، 1985م، ص56.

*بيت من البحر البسيط، مجهول قائله.

(3) السفاريني، محمد أحمد: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ط2، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2002/1423م، ص226.

(4) الصامل، ص649.

سادات القوم، وهي أقرب ما تكون للدعاء والحث لتجنب ما يستحق اللعن، ولا يوجد مردود إيجابي على المخاطب بها إلا تجنب ما يعاب. ومن تحايا الجاهلية أيضًا: "عمت صباحًا، وعمت مساءً"، وهذه تستعمل في لقاءاتهم اليومية، وتشير إلى دلالات أقرب للدعاء، أي أنعم واسلم من الآفات.

أما في الإسلام، فمن أبرز التحايا تحية الإسلام الخالدة: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، وتوجد صيغ أخرى مثل: "حياكم الله"، و"تحية الرحمن"، وهي أقل حضورًا واستعمالًا في الخطاب اليومي، وقد اكتسبت التكريم والتشريف من خلال إضافتها إلى لفظ الجلالة "الله" أو من أسمائه الأخرى - سبحانه وتعالى-، لا سيما أن هذا السلام مصدره من الله تعالى. ونظرًا لرحمة الإسلام وتسامحه ودعوته لتوثيق العلاقات والصلوات بين المسلمين فقد جعل من تحيتهم والرد عليها أجرًا، فتحوّلت من كونها عرفًا إلى سلوك أخلاقي تعبدي يثاب المسلم عليه ويؤجر. وذلك لما لهذا السلام من دور في تعزيز العلاقات وربط الصلات الأخوية ونبذ التنافر والعداوات والمشاحنات، فكان للتواصل بين المسلمين بتحية السلام دور في بناء العلاقات الإيجابية داخل المجتمعات المسلمة ودعوة للسلام والتسامح وتقوية الروابط وتحقيق التواصل وتعزيز التعايش السلمي بينهم، ولأن الطبيعة البشرية جُبلت على حب السلام والمسالمة، نجد أن الناس تتحيب بالتحايا الرقيقة لمن تحب؛ لبث شعور السرور والبهجة في نفوسهم، ومما ورد في الشعر العربي قول عمر بن أبي ربيعة (93 هجريًا) حين وصل صاحبتة:

فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا فَتَوَلَّهَتْ وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ النَّحِيَّةِ تَجَهَّرُ⁽¹⁾

وفي البلاغة العربية نجد تفضيل أهل الاختصاص للتحايا الاسمية أكثر من الفعلية، وقد بُنيت هذه النظرة من منطلق نص القاعدة التي تقول: "أن الاسمية للدوام والثبوت، والفعلية للتجديد والحدوث".⁽²⁾ ومعنى ذلك -على سبيل التمثيل- كما ورد في سورة هود قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ

رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ ﴿٦٩﴾ هود: ٦٩، فمن الملاحظ

(1) أبي ربيعة، عمر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت - لبنان، ص 65.

(2) السيوطي، الحافظ جلال الدين: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وبهامشه حلية اللب المصون لأحمد الدمهوري، دار الفكر، بيروت لبنان، ص 32.

هنا في سلام الرسل التي جاءت بالبشرى قولهم "سلامًا"، فرد إبراهيم بقوله: "سلام"، فالفرق بين السلامين الحركة الإعرابية من حيث الرفع والنصب فقط. إلا أن أهل البلاغة يرون أن التحايا المرفوعة تشير إلى معانٍ من الديمومة والثبات بخلاف المنصوبة التي تدل على وجود فعل وحدث؛ لذا نجدها تشير عادة لزمان معين فقط. أما التحايا التي لا تكون بصيغة السلام فتزد بصيغة: "حي، وحياكم، وأحي، وأهلا وسهلا"، وكل هذه يمكن أن تدرج في حيز الجمل الفعلية. ومن خلال هذه المفارقة البسيطة نتبين أن التحية بالسلام بالجمل الاسمية أدل في معناها عن الفعلية على معاني من الثبات والدوام، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن كل ما كان الإسلام أساسه والله شارعه كان أولى بالثبوت والدوام. ومن ناحية أخرى، نجد جانبًا بلاغيًا أعمق في الآية ذاتها كون أن السلام سنة، فكانت تحيتهم "سلامًا" إلا أن الرد فرض، والله سبحانه يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ النساء: ٨٦، لهذا تجلت سمة الإيمان والامتثال عند إبراهيم، فرد بسلام أحسن، وتمثلت أحسنيته في كونه أكثر دوامًا واستمرارية، لذا رد قائلاً: "سلام". وفي الجانب البلاغي أيضًا يمكن الإشارة إلى أن تحية الأحياء لها أغراض بلاغية عدة قد تخرج عن إطار السلام، لا سيما إن كانت في الشعر والرسائل، فقد تكون لغرض المدح أو إبداء المحبة وإثارة الاستعطاف وغيرها من الأغراض، وقد تكون بدافع الوداع أيضًا. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن التحية بمعانيها واعتباراتها يمكن أن تخرج عن الألفاظ والعبارات المألوفة والمتعارف عليها إلى نمط آخر، وبألفاظ وتراكيب قد تكون أعمق دلالة وأدل إشارة، ويعود ذلك لأسباب قد تكون معرفية وقد تكون لغوية، فيأتي هذا الاختلاف وفقًا للمتطلبات الدينية والاجتماعية التي يفرضها الموقف أو السياق، بشرط أن تبقى معاني التحية ودلالاتها وملامح دورها حاضرة في هذا النمط البديل كتمسكها بحق الصدارة في اللقاء أو الخطاب كما هو حق الصدارة للتحايا المعروفة، والتأكيد على تجسيدها لدلالات ومعاني الرحابة والتقدير التي تبعث على الطمأنينة والانشراح وغيرها من المعاني الروحية والوجدانية والأمر الأهم احتفاظها بخاصية تحقيق نوع من الاتصال الفعال مع الآخر. أما دواعي ظهور هذه الأنماط البديلة من التحايا فيمكن أن تفرضه علينا بعض المواقف الرسمية أو الدينية كخطبة الجمعة

مثلاً، وهنا سأناقش موضوع البسمة التي تقوم مقام التحية (بالسلام) فيها، ومتضمنة لمعناه ومحقة لمقاصده، لذا جعلتُ البسمة تحية التقدير فيها.

فلفظ "تحية" لا يشترط أن يكون معناه حرفياً عبارة "السلام عليكم"، فيمكن أن يحمل هذا المصطلح أشكالاً عدة لمعاني التحية والسلام بشرط تحقق معناه، فعلى سبيل المثال يمكن أن نوضح تسمية الفقهاء لسنة دخول المسجد بـ (تحية المسجد)، فقد وردت في السنة أحاديث في أمر المسلمين بتحية المسجد إذا دخلوا المسجد قبل جلوسهم، فعن أبي قتادة أن الرسول عليه السلام قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس"⁽¹⁾، فالتحية هنا ليست سلاماً بالمعنى الحرفي، إلا أنها تجسد معناه، فهي شعيرة تعبدية يصلحها المسلم كتحية لقاء بينه وربه إذا دخل المسجد قبل أن يجلس بحق بها حق الصداقة في الابتداء بها وفيها اتصال روحي بينه وخالقه تعود إليه بالسكينة والطمأنينة والانشراح، فعلى الرغم من أنها ليست تحية كالتحايا المتعارف عليها، إلا أنها حققت أغراض التحية وحملت سماتها وحققت معنى "السلام" بالتحديد، من هذا المنطلق وجدت أنه من الممكن أن تقوم "البسمة" في الخطب مقام التحية وتؤدي معناها، فهي بداية خطاب الخطيب للمخاطبين إذا واجه الناس وشرع في الخطاب. لذا، سنناقش خلال هذه الصفحات موضوع البسمة كتحية بيتدي بها الخطيب تقديراً وترحيباً واستقبالاً لهم، وسأوضح بيان جعل البسمة مقام التحية في الخطبة والأسباب الداعية لها. فقد وجدت أن بعض العلماء اتجه إلى "جعل (اسم) في البسمة صلة زائدة أي مقحمة بين الباء ولفظ الجلالة، ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى، وقد استشهد على ذلك بقول لبيد بن أبي ربيعة بن مالك حين قال:

إِلَى الْخَوْلِ ثُمَّ إِسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبِكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ إِعْتَدَرَ

(1) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هجري/2001م، ج37، ص202.

فهو يرى هنا أن كلمة "اسم" زائدة، وإنما أراد القول: (السلام عليكم).⁽¹⁾ كما أن البدء بالبسملة من جانبها البلاغي في (علم المعاني) يجعل تقديرها في كل بداية تقديرًا خاصًا، أي: تتحول البسملة إلى جنس العمل الذي بدأت به فيكون تقديرها "من جنس ما جعلت البسملة مبدأ له إذا كل شارع في شي يضم ما كانت البسملة لأجله"،⁽²⁾ فيبسم الكاتب وينوي بها التأليف، ويبسم القارئ وينوي بها القراءة، ويبسم الخطيب إذا أبدى محياه وينوي بها سلامًا تمهيدًا للخطبة. بهذا ستكون البسملة في هذه الخُطب تحيتها ومقام تقدير المخاطبين فيها.

4.1.1. البسملة تحية الخطيب في "خطب الجمعة".

بعد الوقوف على الخطب -في مدونة الدراسة المكتوبة والمرئية منها على المواقع والشبكة- وجدت أن المرئية كالمكتوبة على حد سواء تبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، وهي أول ما يشرع به الخطيب بعد الأذان في خطبته، فرأيت الوقوف على هذه البداية وتحليلها كتحية سلام يبدأ بها بعد عرض لمحات سريعة عن فضائل البدء بها وما تحمله من معان ودلالات عميقة جعلت لها حق الصدارة؛ لاشتمالها على معان من التحية والسلام والتبرك والاستعانة وطلب الخير؛ إذ إن البدء بها ليس غريبًا، فقد ظهر استعمال البسملة في الخطابات الدينية والدعوية والرسائل الرسمية والدولية في الثقافة الإسلامية كبداية مهذبة مسالمة تعكس ثقافة الدين الإسلامي في دعوته لطلب العون والمدد من الله الكريم، واستجلاب البركات، وهذا مما يخلق جوًّا من الشعور بالأمان والطمأنينة لما للبسملة من دلالات دينية مقترنة بقناعة أن البدايات المصحوبة بذكر الله تكون موصولة بالبركات والحفظ والدعم، فابتداء الخطيب بالبسملة جعل منها كتحية ترحيبية إيمانية مميزة وبوابة للتواصل الديني الهادف الذي يسعى لتعزيز صلوات القلوب بخالقها وبداية دينية كشفت عن عناية كاتب الخطبة بالأخلاقيات الدينية والاجتماعية ليبنى جسورًا قوية من مشاعر التواضع واللطف بين صاحب الخطاب والمتلقين وتعكس

(1) السلولي، سعيد حسن: دراسة تحليلية حول البسملة في ضوء الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة،

1398هـ/1978م، ص158.

(2) المرجع نفسه: ص214.

حسن النوايا وتواصل الثقافات الدينية التي تؤكد اعتماد الإنسان المسلم وتوكله وافتقاره لله تعالى. أما عن الأسباب الداعية لجعل البسملة تحية دون السلام فتتمثل في:

أ. الخطبة فن أدبي وسنة متبعة: والبدء بذكر الله والحمد أصل من أصولها، ومما نُقل عن ابن قتيبة قوله: "تتبع خطب رسول الله ﷺ فوجدت أوائل أكثرها الحمد لله"،⁽¹⁾ ولا يخفى على أحد كيف ذاع صيت خطبة البتراء لزياد بسبب خروجها عن هذا النمط ومخالفتها للمألوف، وما زال ذكرها يتعاقب بين الأجيال والعصور بوصفها مثلاً للنقص والاختلاف والغلظة، بسبب أسلوبها الشديد ولهجتها القاسية في الخطاب التي حملت معنى التهديد والوعيد، فكانت كمنقطة فارقة، وشتان بين خطاب أريد به تقريب القلوب ونفعها وتسليتها، وبين خطاب كان التهديد سلطته والوعيد سلطانه، فلا يكون عندها القبول والإذعان إلا خوف البطش والتنكيل وهذا مما يخالف مقاصد شريعتنا السمحة في الوعظ والدعوة، بما فيها خطب الجمعة. ومصدقاً لما روي عن رسولنا الكريم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتـر - أو قال: أقطع"،⁽²⁾ وفي رواية: "لا يبدأ بسم الله"، من هنا دعت الحاجة إلى جعل البسملة بداية لكل خطبة طلباً للبركة وخروجاً عن النقص وعملاً بسنة العرب في البدء بالحمد الذي تكون البسملة بوابة الشروع فيه.

ب. الخطبة مقام وعظي تعبدي: والشروع فيها أمر قاطع بالإصغاء وترك الحديث مهما كان نوعه، وقد ورد النهي عن أبسط حديث أو صوت للمستمعين بعد الشروع في الخطبة. ومما جاء عن رسول الله عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب: أنصت، فقد لغوت"⁽³⁾، وهنا إشارة واضحة وأمر صريح لترك الحديث بعد الشروع في الخطبة، وبدء الخطيب بالسلام دون البسملة يستوجب من المخاطبين الرد، فالسلام سنة والرد فرض لما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ النساء: ٨٦، وخروجاً من هذه المعضلة كانت البداية بالبسملة للفصل بين الحديث والصمت أولاً، والبدء بما لا يستوجب الرد ثانياً.

(1) عمارة، محمود محمد: *الخطابة في موكب الدعوة*، ط1، دار الخير، 1413هـ/1993م، ص201.

(2) ابن حنبل، ج14، ص329.

(3) ابن حنبل، ج13، ص184..

ج. البدء بالبسملة امتثالاً لأمر الله الصريح في سورة الجمعة: فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩، فهنا أمر صريح يستوجب

الامتثال والطاعة بأن يكون بعد الأذان ذكر، وقد استعملت الفاء في "فاسعوا" أداة للربط التي تفيد

الترتيب والتعقيب، وكأنها إشارة إلى الدخول في الذكر بعد سماع نداء الصلاة، ولا يكون للحاضرين

من المصلين بعد سماع الأذان إلا الدخول في جو عبادة الإصغاء والإنصات للخطبة والبدء ببسم

الله كذكر فيه إشارة صريحة للدخول في الخطبة بخلاف (السلام عليكم) التي يكون البدء بها إيذاناً

ببدء اللقاء والترحيب وفتح مجال لتبادل الأحاديث، وهذا يتنافى مع مقام البدء في خطبة الجمعة؛

لأن البدء يعني الدخول في العبادة التي تستوجب الصمت التام.

د. البسملة استفتاح مقنع للتقبل والاستجابة: عند الرجوع إلى مضامين القصص القرآنية سنجد مفاتيح

لمعانٍ دقيقة، ففي قصة سيدنا سليمان مع بلقيس، جعل من (بسم الله الرحمن الرحيم)، تحية

استفتاح لرسالته، فكانت الإجابة القبول والإذعان، وكانت البسملة مفتاح الطريق للنجاة من الطوفان

العظيم الذي كان في عهد سيدنا نوح عليه السلام، فالعقل البشري في وقتها ما كان يستوعب أن

تلك السفينة الخشبية يمكن أن تصمد في وجه طوفان فجرته الأرض والسماء بأمر ربهما، والذي

كان سبباً في اقتلاع أشكال الحياة من جذورها، إلا أن سر التوجيه الذي حكاه القرآن على لسان

سيدنا نوح: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرُدَهَا وَمُرْسَهَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١) هود: ٤١،

كان سر الخلاص والنجاة. من هذا المنطلق أصبح للمسلمين معرفة مشتركة كجزء من عقيدتهم

الراسخة، مفادها أن من قال البسملة موقناً بها، مؤمناً بفضائلها، حاز مبتغاه وحقق مقاصده، "فالبدء

بالبسملة تأسيس لسلطة خطابية سماوية ومبادئ حاجية جديدة"⁽¹⁾، وهذا يجعل البدء بها في

الخطبة تهيئة عقلية ونفسية تهيئ المتلقي للاستقبال والاستيعاب والقبول، كما أن الوصفين: "الرحمن

(1) محجازي، فتن خليل: استراتيجيات التواصل في الخطاب النبوي، المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وآدابها،

السعودية، مج4، ع1، 2022م، ص130.

الرحيم جُعلا بعد لفظ الجلالة في البسمة كإجراء بليغ في الممارسة التواصلية وعملية الإقناع،⁽¹⁾ فيمكن القول إن البسمة تحظى بجملة من الدلالات العميقة في الثقافة الإسلامية، وتُستعمل كتحية استهلاكية في الخطابات والرسائل. كما أنها تُعد جزءاً أولياً مهماً في الخطابات الرسمية في بعض السياقات التي تنتمي للثقافات العربية والإسلامية؛ لذا فإنني أجد أن استهلال الخطب بالبسمة مُسوَّغ كون هذه الخطب "مجموعة رسائل قائمة على فكرة الإقناع بحضور الحجة والبرهان"،⁽²⁾ كرسائل النبي إلى الملوك والحكام وفي المعاهدات التي كانت تستفتح بالبسمة "كان رسول الله يفتح أكثر رسائله بلفظ بسم الله الرحمن الرحيم".⁽³⁾

5.1.1. دلالات التلطف في البسمة.

إن الفاحص لأجزاء البسمة سيجد من الدلالات اللطيفة والأسرار العميقة المتضمنة في معانيها، فالبسمة إيحاء نفسي بالبده والشرع في أي أمر، ويُعد الاستفتاح بها غاية التأنق، وإذا كان علماء البلاغة يرون "أن التأنق في الكلام يكمن في فواتح الكلام وخواتمه"⁽⁴⁾ فقد أحسن التأنق من جعل البسمة فاتحته.

وسألمح هنا لبعض الدلالات العميقة في هذا النحت البديع (البسمة) كما جاء عند المفسرين والمعربين، فـ(الباء) في (بسم) لها أكثر من معنى دلالي، فهي تحمل معنى (الاستعانة)، وأمر جليل كخطبة الجمعة وما تتضمنه من مواظ، ورسائل، وتوجيهات، وعبر، حريّ بالخطيب أن يستعين بالله ويجعل البسمة فاتحته، فالخطيب بأمس الحاجة إلى أن يستعين ويعقد توكله على الله لطلب العون على أمر هذا التبليغ ليحقق له التوفيق بانشرح قلوب الناس وعقولهم؛ لقبول هذا الوعظ والاستفادة

(1) الموسوي، محمد صدام: التوجيه الصرفي للبسمة في كتاب الرسائل في تفسير سورة الفاتحة، مجلة آداب البصرة، ع106، كانون الأول 2023م، ص13.

(2) مهدي، نيران فالح: الخطاب الاستشرافي في خطب الجمعة دراسة تداولية لخطب المرجعية الدينية العليا لعام 2014م، 1444هـ/حري/2022م، ص25.

(3) موسوي، محمد: دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، مج2، ع4، 15 مارس 2019م، ص147.

(4) ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج1، تونس، 1984م، ص142.

منه. أيضًا من معاني هذا الحرف البليغ في البسملة (المصاحبة)⁽¹⁾، أي اصطحب اسم الله في عملي طلبًا لمعيته واستمطارًا لبركاته لما فيه من معاني التوكل والتأدب مع الله وتعظيمه. فمن ذا الذي يظل وجهته ويُخَذَل مقصده والله معه؟ ولا يحصل الاهتداء الحق إلا باللجوء والتوكل المطلق على الله سبحانه، وهذا هو دأب المؤمن الصادق يشرع في أعماله كلها ما قل منها وما كثر مستمدًا الحول والقوة من ربه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢، أما المخاطبون، ولأنهم جُبلوا على التقبل العميق والرضا لمثل هذه البدايات الإيمانية والتي يستشعر من خلالها أغلبهم استمطارًا للخيرات والبركات، لأنهم يجدون في الاستفتاح بها أمرًا يدعوهم للسكينة والاطمئنان. كما أن هذا الشعور والاعتقاد السائد عند أغلبهم ليس مجرد وهم، وليس نمطًا عرفيًا تشكل دون وعي، بل هي حقيقة واقعية، فالله أودع هذا الذكر اللطيف (البسملة) من الأسرار والمعاني ما لا مجال لحصره، فلفظ الجلالة (الله) في البسملة من خواص أسمائه سبحانه، فلا يمكن أن يتسم به أحد من الخلق بخلاف باقي الأسماء والصفات التي يمكن أن يتسموا بها كالحليم والكريم والرحيم، — (الله) هو الاسم "الجامع لمعاني جميع الصفات والأسماء وأنه لا يُتَنَّى ولا يجمع ولو حذف منه حرف لبقِيَ شيء له كمعنى يدل على الذات الإلهية ك الله، له، إله، هو"،⁽²⁾ وقد ذكر أبو حيان في البحر المحيط تفسير هذا الاسم قال عنه: "الله: علم لا يطلق إلا على المعبود بحق"،⁽³⁾ هذا العلم يوضع ابتداءً للذات الإلهية المتصفة بالكمال التام، والتي لها وجه استحقاق كامل لجمع المحاسن والمحامد دون أي نقص أو عيب. بهذا اكتسبت البسملة بهذا الاسم، قداسة وألوهية عظيمة، وجعلت لها خصوصية الصدارة، وأكسبتها قيمة البركة في كل شيء تكون فيه.

كما أن البدء باسم الله هو الخلق والأدب الرفيع الذي أوحى الله به لنبيه في أول ما نزل من القرآن، وهو يأمره أن يقرأ، فطلب منه أن يقرأ: "بسم الله"، موحياً برسالته الأبدية لعالم الثقلين أن لا شيء

(1) أبي شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل: كتاب البسملة، تحقيق: عدنان الغلبي، المجمع الثقافي، 2004م، أبو ظبي، ص562.

(2) السلولي، ص177.

(3) أبو حيان، محمد يوسف الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ط1، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هـ/1993م، ج1، ص124.

يمكن أن يحصل إلا بعلمه واسمه وأمره سبحانه. هنا تتجلى معاني الاستعانة وطلب العون والمدد من الله، إذ بدأ أمر القراءة متعذراً على النبي في بادئ الأمر، فأجاب معترفاً ومعتذراً: "ما أنا بقارئ"، والله الذي له أزلية العلم يعلم ذلك، إلا أن القدرة الإلهية اقتضت وبشكل معجز أن يقرأ هذا النبي ليصبح معلماً للبشرية بأسرها، فكانت قراءته باسم ربه الذي خلق ليعلمنا بركات البسمة في تيسير الأمور، وأن الولوج إلى الحاجات بالبسمة يذلل حصولها ليأتي بها من أوسع أبوابها. أما عن صفتي الرحمن والرحيم في البسمة فشأنهما أن يترجما لغة اللطف بمعانيها الدقيقة، واللتين يمكن أن تسعا أهل الأرض والسماء بما فيهما من رفق ورحمة، فهما من صفات المبالغة وقد اشتقتا من الفعل "رحم"، وهذا الفعل أصل كلمة "رحمة"⁽¹⁾ التي تقتضي أعم وأعمق وأبلغ معاني العطف والرفق والرأفة ورقة القلب والإحسان.

يقول السيوطي في كتابه الإتيان: "ومثل الرحمن فإنه أبلغ من الرحيم"⁽²⁾، فهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله. و"الرحيم ألطف فهو رحيم بالمؤمنين في الهداية لهم واللطف بهم وقيل: رحيم برحمة النفوس ورحمة القلوب"⁽³⁾، أي رحمة في جهة المؤمنين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٣، ومن هنا يمكن القول أن الرحمن مشعر بالفخامة والعظمة والرحيم بالرفق واللطف.

كما أن التدقيق في المعاني البلاغية للبسمة يستدعي الدهشة فعلاً، ففي البسمة إيجاز تضمين وضحه السيوطي بقوله: "إن من الإيجاز نوع يسمى تضمينا وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكره كـ "بسم الله الرحمن الرحيم" فإنه تعظيم تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه"⁽⁴⁾ لهذا نجد البسمة حاضرة في حياة المؤمن في كل شي من عمله. أيضاً لا يمكن إغفال أن صفتي الرحمن الرحيم هما نشر لما لف في لفظ الجلالة "الله" من صفات الألوهية والكمال والجمال والرأفة والرحمة وكل معانيها الجليلة والكريمة؛ لذا يمكن القول إن البسمة في مجملها رحمة

(1) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004/1425م، ص335.

(2) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، السعودية، ج5، ص1774.

(3) أبو حيان، ص129.

(4) السيوطي، ج5، ص1598.

وأمان، ولهذا السبب خلت سورة التوبة منها، لأن استفتاحها نزل بالبراءة ونقض العهود مع المشركين، ونزلت بالسيف بسبب نقضهم للعهود والمواثيق مع النبي فجاءت تفاصيلها للدعوة إلى الجهاد وإشهار السيوف، ففي الآية 73 منها يقول جل جلاله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ التوبة: ٧٣، فكانت سبباً في هلاكهم، ولهذا ورد في الأثر أن من أسماء هذه السورة "الفاضحة"، فضحت نفاقهم، فكانت أفعالهم ومضامين هذه السورة وما اشتملت عليه من مقاصد لا تتناسب مع البسملة لاشتمالها على الرحمن الرحيم، يقول السيد قطب: "ووصفه -سبحانه- في البدء بالرحمن الرحيم يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها"⁽¹⁾، وحالة المشركين في هذا الأمر لا تستوجب رحمة الله لسوء خيانتهم، وقد أشار أحد الباحثين حول افتتاح سور القرآن بالبسملة عدا التوبة فقال: "لم تفتح سورة التوبة بها كغيرها من السور لاشتمالها على القتل ولأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله أمان"⁽²⁾

ومما روي في السير والأثر عن فضل البسملة قول النبي: "إذا قال العبد: 'بسم الله الرحمن الرحيم'، قال الله عزوجل: عبدي دعاني باسمين رقيقين، أحدهما أرق من الآخر، فالرحيم أرق من الرحمن، وكلاهما رقيقان"⁽³⁾ فهنا إشارة إلى عظيم اللطف المتضمن في هذه الأسماء، جديرة بجعل المسلم يوقن باستعمالها، وهممة في ذكرها والبدء بها، وعقد لسانه بترديدها على الدوام وفي كل الأحوال مع اليقين بحصول البركة والخير في كل ما يأتي بعدها. فضائل البسملة لا تحصى وما ورد فيها يطول تقصيه فهي "بحر لا ساحل له ومهمة لا غاية له يتيه من ولجه وكفاها فضل كونها عنوان القرآن"⁽⁴⁾.

فهذه البسملة لطيفة النطق، سهلة اللفظ، كلها معانٍ عميقة وأسرار باهرة، وسأسوق في هذا المقام قصة توضح كيف لهذه البسملة أن تؤكد هذه الأسرار إن نطقت بلسان موقن، فقد روي: "أن خالد بن الوليد في أحد الأيام نزل الحيرة فحذره أحد الصحابة أن يحذر السم حتى لا يسقيه إياه الأعاجم. فقال:

(1) السيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي: في ظلال القرآن، ط32، دار الشروق، 1423 هجري/2003م، مج1، ج1-4، ص21.

(2) السامرائي، عماد أكرم: شرح البسملة للإمام العلم العلامة الشيخ أحمد النفراوي المالكي، مجلة كلية الإمام الأعظم، ع37، ص931.

(3) البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين: الجامع لشعب الإيمان، ط1، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشيد، السعودية-الرياض، 1423 هجري/2003، ج4، ص38، الحديث (2147).

(4) السلولي، 301.

أثوني به فأتوه به فأخذه بيده ثم قال بسم الله فلم يضره" (1) وقام سالمًا دون أن يصيبه ضرر بفضل بركة البسمة ومصدقًا لذكر: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء)، فهذا ليست دعوة لأخذ السم بل كانت رسالة من خالد - رضي الله عنه - لأصحابه لتعظيم الله والتزام الأذكار والاستعانة به.

6.1.1. اشتمال البسمة وتضمنها لمعاني التحية.

بعد هذه الإشارات السريعة حول معاني البسمة ودلائلها، وجدت أن البسمة في الخطب هي تحية حقيقية بليغة، وقد تضمنت معاني التحية ودلالاتها وسماتها، فإذا كانت التحية هي ما يُبشر به الآخر في اللقاءات والمناسبات والاجتماعات، فإن البسمة تصدرت الخطب كلها ولم تبدأ خطبة غيرها فتساوتها في حق البدء والصدارة. وإذا كانت التحية من معانيها السلام، فلا سلام يلامس الروح أفضل من انشراحه بالبسمة وما تضمنته من دلالات روحية ومعاني تلطيفية وبركات ونفحات. وإذا كانت التحية تحمل في معناها دلالة الدعاء بالبقاء، فإن البسمة بوابة الغال الحسن للشرع في أبواب الخير كلها، والضامن فيها والمستعان هو الله، وما كان من الله حفظ ودام وبقي ﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (30) القصص: ٦٠، وإذا كانت

التحية تحمل معنى الدعاء بالتمكين والملك، فلا أدل على ذلك من معاني البسمة واليقين بها، فهي أداة الاستعانة والتوكل، وأساس الحفظ من الضر والشر، وبها نجا من نجا من طوفان نوح ليعمروا الأرض بعد إغراقها، وبها بلغ سليمان الظفر والتمكين بملك بلقيس. وإذا كان "من وظائف اللغة التعبير عن الفكر البشري بما فيها من العواطف والأحاسيس والرغبات الإنسانية" (2)، وكانت التحية وسيلة لترجمة هذه العواطف التي يمكن أن يصل بها المخاطب ويوصلها إلى قلب المتلقي وعقله عن طريق "العبارات المستخدمة للتحية وتلك المستخدمة للتأدب عند مخاطبة الغير وما لها من وظائف اجتماعية

(1) العيني، بدر الدين أبي محمد محمود: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبط وتصحيح: عبدالله محمود محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1421هـ/2001م، ج21، ص431.

(2) خرما، نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1978م، ص170.

أخرى"،⁽¹⁾ كنقل الرسائل والمواعظ والأفكار والمعتقدات والقناعات، فإن البسمة في هذا السياق ترجمت تفاصيل ودلالات وأوصلت أفكارًا ومعتقدات، فحصل بها الانشراح والاطمئنان والسكينة والإيمان، وفتحت مخيلات الناس وقلوبهم لاستقبال ما يليها في الخطاب، موقنين أن البداية بها بركة ولا يأتي بعدها إلا الخير، فخطاب بدأ باسم الله لن يخلو من الخير والنجاة والتمكين والفضل، ومعانيها العميقة كفيلة بغمر الناس بالطف الداعي للسرور والرضا والانشراح، فيفتح بها الخطيب مجالاً ويخلق بها استعداداً للتقبل والحضور، يعينه في ذلك معارفهم المشتركة وعقائدهم الإسلامية حول فضائل البسمة وبركاتها، فيشرع بها أبواب قبولهم، وتيسر له مهمة وعظهم، وتمهد له طريقة تبليغهم، ويمكن أن أوجز التلطف اللغوي في البسمة وأبعادها الإيجابية ودلالاتها الإيمانية باتخاذها تحية في خطب الجمعة في قول الإمام القشيري: "بسم الله" إخبار عن عزة وعظمة "الرحمن الرحيم" إخبار عن فضله ورحمته فبشهود عظمته يكمل سرور الأرواح، وبوجود رحمته يحصل نعيم الأشباح، ولولا عظمته لما عبد الرحمن عابد ولولا رحمته لما أحب الرحمن واحد".⁽²⁾ وما أبلغه من قول، وما أدله من اختصار! والمتأمل يجد البسمة قد تضمنت معاني التحية واشتملت عليها وتجاوزتها، بهذا كانت بسمة الخطيب أبلغ تحية وأرقى معنى وأكبر أثرًا ونهجًا بليغًا للبدايات الجليلة، ومدعاة لتقبل الناس واستقبالهم، ووسيلة لتمهيد الخطاب، وأداة فعالة للإقناع والتأثير، وسمة واضحة للرفاة والطف والمحبة واللين، وتهيئة نفسية لاستجابة المخاطبين. فدلالاتها عميقة ومعانيها بليغة وأسرارها مفاتيح للفتوح الكبيرة، وكل ما خلا منها شذ واختلف ودرج في قوائم الغلظة والشدة، وكان مثالاً للهجة القوة والسيف. ولعظيم فضلها فقد جعلها الله في اللسان لطيفة، وبوركت في الميزان ثقيلة.

(1) خرما، ص 172.

(2) القشيري، عبد الكريم هوازن: تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، ط3، تحقيق: إبراهيم البسيوني، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج3، ص502. المكتبة الشاملة <https://shamela.ws/book/23629/1791>

7.1.1. تحليل بداية الخطب من حيث التغير والثبات:

من المعلوم أن مقدمة الخطاب وتمهيده هما الركيزة التي تحدد مدى نجاح الخطاب من عدمه، فهما بمثابة الإطار المرجعي الذي يمكن من خلاله تحليل المعلومات وتفسيرها، كما تساهمان في تقديم فكرة واضحة عن موضوع الخطاب، ولهما دور في تحفيز استقبال المخاطب وتبنيان له تصورًا عن مضمون الخطاب أو موضوعه. فالتمهيد الناجح يسهم في خلق جو من التشويق والاهتمام، ويساعد في بناء قاعدة معرفية تتيح المجال لفهم السياق العام للموضوع، والتسلسل المنطقي المناسب لطرح الأفكار وتحديد الروابط بينها، مما يسهل متابعة الخطاب ويزيد من فرصة نجاحه وتأثيره. فالتمهيد هو الجانب الحاسم في بناء الخطابات وشرارة جذب الانتباه، لذا فإن استعمال العبارات الرقيقة والدقيقة والمعبرة والمثيرة للاهتمام له دور، حيث تعطي تصورًا واضحًا عن مضمون الخطاب ليبدأ التشويق لمعرفة جوانبه بدقة، فيدفعهم الفضول للمتابعة باهتمام. لأنه إذا تعذر على المتلقي فهم المقدمة ووجد صعوبة في ربطها بالموضوع، فهذا يفقده الاهتمام بالخطاب ويطفئ شغفه؛ لهذا لا بد أن يكون الخطاب مدروسًا بعناية، وتنفذ فيه عملية الانتقال بشكل انسيابي ومتجانس يثير اهتمام المتلقي ويبقيه متصلًا بالموضوع، فهذه الانتقالات السلسة بين المقدمة والموضوع تبني جسرًا متينًا وتختصر على المخاطب مسافة الشرح والتوضيح، فتجد أن التمهيد الدقيق والمعبر له القدرة على جعل المتلقي أو المخاطب ينخرط سريعًا في الخطاب، مما يجعل الخطاب قويًا ومقنعًا، ويسهل تحقيق أهدافه.

وبالرجوع إلى مادة الدراسة يتبين وجود نمطين مُتَّبَعَيْنِ في البدء بها من حيث التغير والثبات، إذ سارت كلها على نمط البدء بالبسملة ثم الحمد، وهذا هو نهج الثبات فيها.

أما التغير فيتمثل في نمط الحمد، وهذا ما أوجد تنوعًا في طريقة التمهيد للمواضيع ومدخلًا للفحص والتحليل، حيث استطاع كُتَّابُ الخطب بحنكتهم اللغوية ومعرفتهم البلاغية أن يجعلوا جل صيغ الحمد متوافقة مع العناوين، فكانت تمهيدًا مثاليًا للمواضيع تفتتح بها أذهان المخاطبين لسبر أغوار تفكيرهم وإثارة مخيلاتهم لتخمين المواضيع، وبث روح التطلع والتقصي والرغبة في معرفة ماهيتها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قصدية الاختيار والتخطيط في الخطب ومنهجية الإعداد والاختيار وحسن تعيين الأهداف والحرص على تحقيقها فالحاضر يثار ذهنه بمثل هذه

المقدمات ليركز في البدايات ويخمن عناوينها والمتلقي الذي يتابع من خلال وسائل التواصل الاجتماعية المختلفة فتعرض له هذه العناوين فتكون مواضيعها سببا في استهواء الكثيرين لحسن متابعتها لما لها من دور في مخاطبة الفرد في جوانب حياته المختلفة والتطلع للاستفادة منها فكثير من المتلقين يتفاعلون مع هذه الخطب عن بعد كالحضرين.

فالحمد الثابت من حيث النمط، والمتنوع في مقاصده والدلالات التي يرمي إليها، يعمل في المقدمة بمثابة صلة تربط موضوع الخطبة بمضمونها ضمناً لتسلسل الأفكار، فيأتي الحمد تركيزاً على الجانب الذي يصب فيه عنوان الخطبة، فلا بد من إثارة اهتمام المتلقي بطريقة مدفوعة بغريزة حب الاستطلاع لكشف الموضوع الذي ستعنى به الخطبة، فالطبيعة البشرية مجبولة في الخطاب على حب الاستكشاف والتثبت من بواكير الحديث الأولى، وهنا تتحدد براعة الخطيب التي من شأنها أن توطد النفس شغفاً للمتابعة والمواصلة أو تنفرها عن رغبة التركيز في الخطاب، يقول ابن الأثير في كتابه المثل السائر في صدد مناقشة اختيار البدايات وانتقائها: "إنما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام فإذا كان ذلك الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توافرت الدواعي على استماعه"⁽¹⁾.

8.1.1. ارتباط الحمد في المقدمة بالموضوع الرئيس للخطبة

وسنضرب مثلاً قريباً لهذا الموضوع وهو البدء بالتحميدات التي يفتتح بها أوائل السور، فلم تكن بدايات الحمد في هذه السور من قبيل التكرار مطلقاً، بل إن الأمر أدق من ذلك بكثير، والمتأمل في هذه البدايات سيجد علاقة تعكس رسالة القرآن وما يحمله من رسائل موجهة للوعظ والإرشاد مما يعزز إيمان الفرد وفهمه للقرآن، فدلالة الحمد العامة تتمثل في كونها مظهرًا من مظاهر العبودية والاعتراف بفضل الله، وتقدير وشكر وامتنان لنعم الخالق التي لا تعد ولا تحصى، والتعبير عن الرضا بالقضاء والقدر كركن إيماني مهم، وكتناء للصفات الإلهية، وتمجيدها لكمالها وتماها ألوهيته، إلا أن ظهور الحمد في بداية كل سورة يحمل معاني وتفسيرات تمهيدية تمهد السير لمضمونها، فيكون هذا الحمد مستوجباً للمضمون والذي يتباين بين تأكيد على التوحيد والربوبية واللحمة والمحبة والعدالة

(1) ابن الأثير، نصرالله بن محمد الموصلي: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1411هـ/1990م، ج2، ص224.

والمغفرة والرحمة، بهذا يصبح الحمد جزءاً ممهّداً لا يتجزأ من المضمون الرئيس ودالاً عليه، فمثلاً: سورة الفاتحة تتحدث عن توحيد الله وعظمته، حيث يبدأ الحمد بتعريف الله كرب للعالمين ومالكهم وإليه مرجعهم، لذا سبق الحمد إليه، فهذا التوجه يضع الأساس لمضمون السورة، "لأنه المستحق لجميع المحامد وفيه استشعار الرغبة إليه والرغبة منه المؤدي إلى لزوم طريق الهدى"⁽¹⁾ وهذا ما يظهر العلاقة الوثيقة بين الحمد والموضوعات الرئيسية للسور التي تبدأ به.

أما الحمد الذي بدأت به سورة الأنعام فكان سابقاً لموضوع ركز على توحيد الله باعتباره الخالق "ومن تفرد باختراع الأشياء كان هو المختص بجميع المحامد"⁽²⁾، ثم تناول دلائل التوحيد وتكذيب المشركين، فكان الحمد هنا بمثابة امتنان للخالق الواحد في الخلق، والتكوين وباباً يدعم فكرة التوحيد التي تطرقت إليها السورة. أيضاً بالنظر إلى الحمد في سورة الكهف الذي بدأت به السورة، فكان سابقاً لموضوعها الذي تناول عدة قصص عن فتنة الإيمان والعلم والمال والسلطة، وهي بمثابة دروس توعوية تحت وتربي النفوس المسلمة على ضرورة الثبات على المبادئ والدين مهما اشتدت الفتن، وعلاقة الحمد في بداية السورة تعبر عن الشكر لإنزال هذا الدستور نسير عليه كنور وهدى منتفعين بتجارب الأولين، وهكذا في كل السور التي بدأت بالحمد، وهنا نستدل على ضرورة وجود روابط بين المقدمة والموضوع المطروح، وتعد المقدمات الناجحة والمعبرة بمثابة الأداة التي تنشط الفكر المشتت والخامل والساهي لينهض ويتابع سير الحديث ويركز فيه. وكما جاء في البيان والتبيين للجاحظ مشيراً إلى ضرورة أن يدل صدر الكلام على ما بعده ودعوته للتفريق بين صدر الخطب لتمييز نوعها قوله: "فلا خير في كلام لا يدل على معنائه ولا يشير إلى مغزائه وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه عمدت"⁽³⁾ وقد وجدت بعد الفحص والتحليل أن خطب الجمعة بُنيت وفق سياسة لغوية وأدبية محكمة، روعي فيها دواعي التسلسل وارتباط المقدمة بموضوعها، وتمهيد مشوق يدعو لإثارة الاهتمام المدفوع بغريزة حب الاستطلاع. وسنعرض بعض النماذج من هذه الخطب، ففي الخطبة التي

(1) البقاعي، برهان الدين إبراهيم عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب، القاهرة، ص 27.

(2) المصدر نفسه، ج 7، ص 4.

(3) الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج 1، ص 116.

كانت بعنوان: ﴿لُرِّيَهُ مِنْ أَيْتِنَا﴾ الإسراء: ١، مهد لها بحمد جاء فيه: (الحمد لله رب العالمين، الذي أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)⁽¹⁾، كتمهيد للحديث عن نبينا الذي استحق رحلة الإسراء والمعراج والتعريف بها كحدث تاريخي مهم جاء تسليية لقلب النبي، فمجرد أن يسمع المخاطب حمدا بهذا النص يفتح أمام عقله توقعات حول الموضوع، فيجعل من الحديث عن الإسراء والمعراج أول هذه التصورات، ويدعوه هذا إلى المتابعة والحضور بتشوق ليعرف صدق تصويره من عدمه. وفي الخطبة التي كانت بعنوان: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ العنكبوت: ٨،⁽²⁾ مهد لموضوعها بحمد جاء فيه: (الحمد لله رب العالمين دعانا إلى الإحسان ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٤. وفي خطبته عن القرآن وفضله والتي كانت بعنوان: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ طه: ٢، مهد بحمد جاء فيه: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب)⁽³⁾، وهكذا دواليك في سائر الخطب تقريبا.

أما عن أثر هذا التمهيد في تحقق الأهداف والتلطف بالمتلقي، فوجود الحمد بداية أي خطبة يمهد للموضوع الحقيقي لها ويهيئ النفس لتقبل الرسائل والمعاني العميقة فيها، وهذا يسهل ويوجه الخطاب لفهم المحتوى والتفاعل معه، وله تأثير عميق على تحديد أفكارها وموضوعاتها، بالتالي يكون الحمد بمثابة إلهام وتحفيز لهذا المتلقي لمتابعة الخطبة والاستفادة منها. وأهمية المقدمة في كل شيء تتبع من وظيفتها، وبالنظر في مقدمة خطب مادة الدراسة استنتجت دورها وأهميتها في النقاط التالية:

أ. تنبيه المخاطب للقضايا المهمة التي ستطرح ليستقبلها ببصره وبصيرته. فعندما تكون المقدمة بعبارة مفادها: "إن المساجد جعلت مهوى للقلوب ومجلى للكروب"⁽⁴⁾، فهذا سيجعل المخاطب منتبها، فما من نفس في هذه الحياة إلا ولها نصيب من الكروب، وما قصدت القلوب هذه المحطة الدينية إلا

(1) خطبة 1 شعبان 1443 هجري.

(2) خطبة 16 رجب 1443 هجري.

(3) خطبة 22 شعبان 1443 هجري.

(4) خطبة بعنوان (في بيوت أذن الله أن ترفع)، بتاريخ 20 ذي القعدة 1444 هجري.

لتجد مهريا من أثقالها، فلا ريب أن النفوس هنا ستتوق لمعرفة التفاصيل ويستهويا معرفة المزيد لتجلي كروبها.

ب. المقدمة أداة تشويق وترغيب لمتابعة الحديث: فعندما يبدأ الخطيب في المقدمة بطرح جملة تشويقية، فإنه يستهض النفوس لمعرفة التفاصيل وبلوغ المقاصد. على سبيل المثال، لو بدأ في المقدمة بقول: "يسر الله لكم أسباب الخير، إنكم تعيشون في أيام هي خير أيام الدنيا"،⁽¹⁾ فكم ستتوق النفوس وهي تسمع مثل هذه المقدمة أن تعرف الطريقة والسبيل لنيل كل هذا الخير أو بعضه! فهذه المقدمة تعمل كعنصر حاسم في الخطاب، تجذب انتباه المتلقي وتثير اهتمامه وفضوله كما إن ذكر الخير بحد ذاته تلطفاً.

ج. تهيئة ذهن للتركيز والافتتاح والإذعان: بالتركيز على مقدمة معتدلة ومناسبة للطرح وواضحة دون إسهاب أو ارتجال، لأن المقدمات الطويلة قد تسهم في شتات المتلقي فتقطع عليه متابعتة. وقد يكون حماس الخطيب وارتجاله سببا للخروج عن صلب الموضوع وأساسه.

فما لا ريب فيه أن الفكرة الأولى والموقف الأول والكلمة الأولى، كل ذلك مما يثبت في النفس ويستقر فيها، وهذا ينطبق أيضاً على المقدمة الأولى، لأنها هي التي ستحدد مسار الخطبة كلها. فإن نجح الخطيب في مقدمته، ظل المخاطب منتبهاً مركزاً ملتصقاً حاجته وضالة نفسه فيها. وإن أخفق في التقديم لخطبته واختيار الافتتاح المناسب، تشتت فكره، وما أكثر مشاغل الناس وما أثقل نفوسهم وأكثر دواعي تشتتهم، فالحياة جُبلت على المنغصات والكدر. ونوع المقدمات ينعكس على المخاطبين، فيشعرهم بالانشراح وحب المتابعة أو بثقل الوقت وملل الخطاب. وقد ورد في الأثر عن تربية الرسول لأصحابه وحرصه على التنبيه والتشويق في تقديم مواعظه، لأن إثارة التشويق لدى المخاطب يجعله يستوعب الموعدة فلا ينساها، وكأنما تُحفر في ذهنه وتلمس حاجته فيحصل الانتفاع بها فقد "أخرج البخاري في الصحيح عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: كنت رديف النبي ليس بيني وبينه أخرة الرجل، فقال: معاذ. قلت لبيك رسول الله قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال:

(1) خطبة بعنوان (يوم عرفة بركة ورحمة)، بتاريخ 5 ذي الحجة 1444 هجري.

أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ثم سار ساعة. ثم قال: يا معاذ. قلت: لبيك رسول الله. قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد ألا يعذبهم"،⁽¹⁾ فإجمال الفكرة في هذه القصة وأحداثها موعظة في سطر، بيان حق الله على العباد وحقهم عليه، وكان يمكنه -عليه السلام- أن يعطي موعظته في جملة وينتهي، إلا أنه يريد أن يربينا على الموعظة البليغة، وكيف ينبغي أن تُعد القلوب لاستيعابها، فقد اختار النبي في هذه القصة التشويق عن طريق إثارة الذهن بالسؤال وتحريك فضوله، وكأنه أراد أن يشق لهذه الموعظة في قلب معاذ مجرى عميقاً لتأخذ مكانها بعد تفكير وتمحيص وفهم فتستقر بنفع. أيضاً، تشير القصة إلى لطف النبي الكبير وترفته في النصيحة والوعظ. كما أن المتأمل لهذه المقدمات يجد دقة التمهيد فيها بداية بعرض الفروع ثم عرض الأصول والمقدمات تدريجياً، وبأفكار متسلسلة تقود لبعضها البعض حتى يصل للمقاصد والجزئيات، وبها يتبين الموضوع وتكتمل تفاصيله في ذهن المخاطب، حتى يصل بها في نهاية الخطبة وكلياتها، وسنوضح ذلك بمثال من هذه الخطب، ففي الخطبة التي كان عنوانها: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾⁽²⁾ ق:ه، بسمل الخطيب وحمد الله الذي من صفاته (مدبر وحكيم)، فأحسن الخلق وأبدع النظام، ثم (شهد أن الله لا شريك له)، وذكر هذا التوحيد لأنه خلق الإنسان وسواه واختار (خلق الإنسان)، لأن إعجاز خلقه من بداية النطفة إلى أن يموت كله إعجاز ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁽³⁾ الذاريات: ٢١، فصفت التدبير والحكمة فسرها بمثال خلق الإنسان وإبداع الكون، وجاء الشكر سابقاً للتوحيد للتعبير عن الامتثال والإذعان، ودار كل ذلك باستعمال الأفعال والتعبير الدال على الجماعة فقال: (نشهد) وعندما أراد أن يعطي مثلاً على عظيم القدوة في ذلك استشهد (بالنبي العظيم)، وأتى بشهادته بصيغة (فردية) وكأنه يعلمهم أن هذا قدوتنا في ذلك فكونوا مثله، لذا جاء حديثه: (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله). لماذا شهد على أنه عبده ورسوله؟ جاء التعليل بشكل مباشر، قال إنه: (خير من عرف الله ووحده وأفضل من عبده ومجده). بعد ذكر هذا النموذج البين الذي لا يختلف على صدقه مسلمان، بدأ الدخول التدريجي في الموضوع والذي سيوضح التمهيد بشكل أوضح،

(1) ابن حنبل، ج 36، ص 380.

(2) خطبة بتاريخ 14 شوال 1444 هجري.

فجاء الخطاب: (بعباد الله)، خطاب شامل عام يدخل في عمومه كل البشرية، وأمرهم بأمرين معللاً فيهما سبب الطلب، فقال: (اتقوا الله). وإذا تساءلت العقول لوهلة: من الله؟ يأتي من الخطيب الجواب مباشرة: (الذي بيده ملكوت السماوات)، و(اشكروه). علم نشكره؟ (على نعمه المتعاقبة في جميع الأوقات)، فهنا يتضح أمر التقوى المقرون بالشكر، وهذا معنى عرض الأصول والمقدمات. ولماذا يجب علينا أن نتقي؟ هنا يبدأ الخطيب بعرض المقاصد قائلاً: (إن التأثير في القيم الدينية والهوية الوطنية لا يتوقف ممن يحاولون زعزعة إيمان المجتمعات)، لهذا يجب أن نتقي، فهؤلاء المتربصون يريدون للأمة أن تضعف وتذهب ريحها ويضعف تماسكها، وهنا دعت حاجة الخطيب إلى دعم القول بالحجة والدليل ليوضح للناس أن هذا الأمر ليس وهمًا أو فكرة فردية جاءت منه كخطيب. لذا ساق لهم البراهين بقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ النساء: ٨٩، وقال: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨، وهنا بعد أن وضح مقصد الحاجة إلى التقوى بدأ يدخل في الجزئيات والتفصيل، فذكر لهم أن المؤثرات الفكرية المنحرفة التي تحاول محاربة اليقين عند الناس، وتطرق إلى نكر (الملحدين)، وبهذا اتضحت الفكرة الأساسية التي تدرج لها الخطيب، وعرفهم أن إنكارهم لوجود خالق نابع من عمى عقولهم وتعطيها استكبارًا منهم، منبهاً على ضرورة التسلح بالتقوى، وهذه النقطة التي بدأ بها التمهيد فعلاً، وضرورة الشكر؛ لأن الإنسان لو نظر إلى خلقه والكون الذي يعيش فيه، لكفى ذلك ليصله إلى الوجدانية، فلا يمكن أن يكون هذا الإبداع ودقة الصنع والخلق وليد الصدف. بهذا يكون الخطيب قد وصل إلى كليات الموضوع. فالتلطف هنا يكمن في مراعاة الحالة النفسية للمخاطب لأنها تُضفي للخطاب طابعا حواريا تُشعر فيه المتلقي بأنه شريك في التفكير وليس مجرد متلقٍ سلبي. أيضًا يتضح التلطف في هذا الأسلوب من خلال تجنب الخطيب بالتصريح المباشر بفكرة الإلحاد الجدلية لحساسيتها وخطورة مساسها فاختر التدرج عبر أمثلة وشواهد تطفأ منه ومراعاة لوجهات النظر وتجنب النفور وكل هذا مما يراعي الذوق اللغوي للمخاطب ويحسن إدارة انتباهه مما يعزز القبول النفسي للفكرة عبر التهيئة التدريجية ويُظهر حكمة الكاتب في اختيار لحظة الطرح المناسبة للفكرة الجوهرية.

2.1. المبحث الثاني: أنماط التلطف اللغوي في الدعاء .

1.2.1. تاريخ أسلوب الدعاء في التراث العربي والإسلامي.

إن أسلوب الدعاء من المواضيع القارة التي تمثل جزءًا كبيرًا من التراث العربي والإسلامي، ويمثل الدعاء أهمية واضحة في التراث الإسلامي والعربي نظرًا لأهميته الدينية والروحية العميقة، ويعكس الإيمان العميق والثقافة الغنية للفرد والمجتمع، ويتم تناوله كمفهوم ديني وثقافي قريب من الممارسات اليومية. وقد برز دوره الواضح مع بزوغ فجر الإسلام في الحياة العربية في العصور الإسلامية المبكرة، وتأثيره الواضح في دعم مصداقية الدعوة الإسلامية وتأكيدھا للمشككين، حيث كانوا يلجؤون إليه في كل صغيرة وكبيرة في أصعب المواقف والظروف؛ نظرًا للتحديات التي كانت حجر عثرة في حياة المسلمين الأوائل، والتي كانت تلمس صلاتهم وحروبهم وحتى أمورهم الشخصية والأسرية. فكان الرسول نبينا الرحيم والمربي يعلمهم اللجوء إلى الدعاء وطلب العون من الله في كل هذه التفاصيل، ويعلمهم مدى أهميته في تأصيل القيم الدينية والثقافية والحياتية، فكان بمثابة الملجأ المساند للروح المعنوية للمسلمين في سائر أحوالهم، لأنه يمثل وسيلة حيوية للتواصل الدائم مع الله وتحقيق الرضا الإلهي وتقديم التضرع إليه بالحاجات والطلبات، وركيزة أساسية في بناء العلاقات القوية والدائمة. واستمد أهميته لكونه يمثل جزءًا من القرآن الذي استعرض العديد من القصص والمواقف التعليمية والتربوية التي توجه الفرد المسلم إلى استعمال الدعاء كحل مضمون لطلب العون والاعتراف بالخطأ والخروج من الأزمات وتيسير الأحوال وقضاء المآرب، كما أن القرآن يبرز دور الدعاء العظيم والمذهل في الوصول للأهداف وتغيير القضايا والمواقف بأمر الله، ويعزز مشاعر الإيمان واليقين، ويعد وسيلة المسلم للتأمل والتفكير في العدالة الإلهية التي تسود الكون، ووسيلة لطلب المغفرة والرحمة. فالدعاء أحد مظاهر التوجه إلى الله سبحانه بعيدًا عن أي وسائط أو شفاعات، ومظهر بارز للتواضع والاستكانة أمام الله، بل يمثل كل معاني الطلبات والأمانى والاستغفار والشكر إلى الله، ويدخل ضمن الشعائر التعبدية في الدين الإسلامي كالصلاة. كما جاءت السنة مكملة وداعمة ومؤكدة لدور الدعاء وقيمته وأهميته، وتعد مصدرًا قيمًا لفهم جوانب الدعاء وطريقته وكيفية تطبيقه بالطريقة المثلى. فالعلم بالدعاء وآدابه وأفضل أوقاته يعين على تحقيق أفضل النتائج منه، ويعزز من التجارب الروحية للأفراد ويقربهم من خالقهم. فالدعاء قد يكون شفويًا مباشرًا، ويمارس هذا النوع من الدعاء

بشكل فوري في اللحظة التي يشعر فيها المرء بحاجته الروحية لله، ويعد بمثابة اتصال مباشر مع الرب تدفعه إليه طبيعة الحاجة البشرية لخالقها. وقد يكون كتابياً مدوناً، وهذا يتيح فرصة نقله وتداوله بسهولة بين الناس، وقد يكون دعاء قلبياً دون استعمال اللسان، وهنا يتجسد الاتصال العميق بين الإنسان وخالقه وقدرته على التواصل والمناجاة محققاً قوله: ﴿ وَحَنَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ﴿١٦﴾ ق: ١٦، وهذا هو منبع التأثير الإيجابي العميق للدعاء في حياة الأفراد والجماعات، وللدعاء دوره في تحسين الصحة العقلية والروحية من خلال خلقه حالة من الهدوء الداخلي والراحة النفسية، فيعزز الشعور بالرضا الذاتي، فيجعل الفرد قادراً على مواجهة تحديات الحياة على تنوعها؛ لأن دعاء الله "يفتح المغاليق حتى لو كانت الأسباب معدومة. فإن وصل للإيمان المطلق بإرادة الله هدأت نفسه واستقرت، مناجاته لربه تفوق دواء كل طبيب نفسي"،⁽¹⁾ أما في السياقات غير الدينية، فيُعرف الدعاء على أنه نوع الطلب الصريح، بل الاحتياج الموجه بإلحاح إلى أحد بعينه، ويُستعمل كطلب المساعدة من قريب أو صديق أو مسؤول أو جهة معينة.

2.2.1. الدعاء في المعجم العربي

يُعدّ الدعاء موضوعاً مهماً، لذا عُنيت به المعاجم اللغوية موضحةً معانيه ومفصلةً فيها، فحضور كلمة (الدعاء) وتناول أصولها في المعاجم العربية على اختلافها وتأصيل المصطلح فيها يعود لجذوره العربية.

القديمة والأصيلة، ففي لسان العرب "الدعاء من أصل كلمة (دعا)، يقول أبو أسحاق: (ادعوا من استدعيت طاعته ورجوت معونته في الإتيان بسورة مثله)، تعليقاً على معنى قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ البقرة: ٢٣، وقال الفراء في معناها: أي استغيثوا بهم. وهو كقولك للرجل إذا لقيت العدو خالياً فادعُ المسلمين أي: استغث بهم. فالدعاء هنا بمعنى الاستغاثة. وقد يكون الدعاء عبادة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(1) فريجات، شريفة عبدالكريم: الصحة النفسية في قصة مريم، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج24، ع6، 2024م، ص124.

عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ ﴿ الأعراف: ١٩٤، أي هؤلاء الذين تعبدون. وقال أبو إسحاق في معنى الدعاء في قوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة: ١٨٦، ثلاثة أوجه:

1. التوحيد والثناء عليه كقولك: "يا الله لا إله إلا أنت"

2. مسألة الله العفو والرحمة كقولك: "اللهم اغفر لنا".

3. الحظ من الدنيا كقولك: "اللهم ارزقني مالاً وولداً".

وإنما سُمِّيَ هذا جميعه دعاءً لأن الإنسان يُصَدَّر في هذه بقوله: يا الله، يارب، يا رحمن. ومعنى: ﴿ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا ﴾ الكهف: ١٤، أي: لن نعبد إلهًا دونه. والدعاء الرغبة إلى الله. وأصله دعاو لأنه من دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف هُمَزَتْ. ودعا الرجل: ناداه. والاسم الدعوة⁽¹⁾. أما في المعجم الوسيط فقد جاءت: "دعا بالشيء: طلب إحضاره. يقال: دعا بالكتاب أي طلب إحضاره. ويقال دَعَت ثيابه: أخلقت واحتاج إلى أن يلبس غيرها. ويقال دعا الميت: ندبه ودعا فلانا: صاح به وناده، واستعان به، ورغب إليه وابتهل. ويقال دعا الله: رجا منه الخير".⁽²⁾

(1) ابن منظور، ص 1385-1386.

(2) الوسيط، 286.

3.2.1. الدعاء في البلاغة العربية

عنيت كتب التراث العربي والدراسات البلاغية بتناول أسلوب الدعاء كجانب بلاغي مهم، ودوره في الأدب العربي كفن نثري أصيل إنشائي طلي يميزه كونه وسيلة بلاغية قادرة على إيصال المعاني العميقة والمشاعر الصادقة إلى الآخرين؛ لاقتران معناه بطلب الخير للنفس أو للغير، وأكبر الدلائل على بلاغة الدعاء وجوده في القرآن الكريم، كمادة خصبة للبلاغة الرصينة والبيان، قادرة على التعبير بطريقة مؤثرة وتوظيف الشعور والعواطف والأفكار والتجليات بشكل فعال، وغالبا ما يصحبها الصدق الخالص وله دور في التأثير على المتلقي. بشكل عاطفي وروحي ونفسي في الوقت ذاته؛ لوجود الكلمات المختارة بعناية في تراكيبه، مما يجعل له تأثيرا وجاذبية بشكل واضح. مما يجعل تأثيرها أكثر دقة وقوة. ويعرف الدعاء في الاصطلاح بأنه: "استدعاء العبد ربه - عز وجل - العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله وإضافة الجود والكرم إليه".⁽¹⁾ ويأتي الدعاء في البلاغة بأساليب عدة تتعدد في أغراضها البلاغية، وتراكيب مختلفة، فيمكن أن يأتي الدعاء في بدايته بالفعل وهذا هو الأصل كقولنا: "رمص الله مصيبتك" أي: جبرها. وسرجه الله: أي وفقه،⁽²⁾ لكن يمكن أن تأتي بدايته بالمصدر، ينوب فيه عن الفعل، وإنما جاء بالمصدر لقوة دلالاته ورسوخ معناه، لأن إنجاز الدعاء بالمصدر يكون من قبيل المبالغة في الدعاء. يقول ابن سيده في المخصص: "ومما أجري من الأسماء مجرى المصادر في الدعاء ترباً وجندلاً وهذا الحيز يدعى فيه بجواهر لا أفعال لها كتراب والجندل وهما نوعان من جنس الجوهر ومن ذلك قولهم: "فاها لفيك" وفاها إنما هو اسم للفهم وليس في شيء من ذلك فعل يصير مصدرًا له فأجروه في الدعاء مجرى المصادر"⁽³⁾، أيضًا هناك أسلوب آخر للدعاء، وهو أن يبدأ بصفة ويكون نصبها على الحالية، مثل: "هنيئًا مريئًا"، فتأتي الصفة بموقع

(1) الخطابي، حمد محمد: شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ص4. نسخة إلكترونية

<http://bit.ly/4huzA4T>

(2) ابن سيده، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي: المخصص، ط الأميرية، دار الطباعة الكبرى الأميرية، بيروت -

لبنان، 2007م، السفر 12، ص188.

(3) المصدر نفسه، ص185.

المصدر "فُدعي بهما وليس بمصدرين ولا هما من أسماء الجواهر"،⁽¹⁾ ويكون التقدير في نصبهما كقولك: ثبت لك ذلك هنيئاً لشيء تراه عنده مما يأكله، فاخترُ الفعل "هناك" في صفة هنيئاً. وقد يخرج الدعاء عن معناه الحقيقي لأن صاحبه يريد به مدحاً أو تعجباً أو حتى ذمًا.

أما بعد ظهور الإسلام، فأصبح استعمال الدعاء أقرب لمعناه ومقصوده، وكثر استعماله، فلا تكاد تخلو حياة المسلم اليومية من هذه الأدعية، بل هي مطلب ديني يرددها كلُّ حسب حاجته، وحتى مقاصدها ومعانيها أصبحت أقرب لطلب الخير.

وقد جاء ذكر الدعاء من جانبه النحوي عند سيبويه في سياق تفسير نصب بعض الألفاظ العربية، كقولهم: سقيًا وخيبةً وعقرًا قال فيها: "إنما ينتصب هذا وما أشبه إذا ذكر مذكور فدعوت له أو عليه على إضمار الفعل كأنك قلت: سقاك الله سقيًا ورعاك رعيًا"،⁽²⁾ وقد وضح أن ذكر "لك" بعد هذه المنصوبات إنما جاء لتوضيح معنى الدعاء، ويترك استغناءً لعلمهم المقصود بالدعاء له أو عليه، وإذا جاء ذكرها فإنما يكون ذلك من باب التوكيد وحسب. وفي قوله: "تربًا وجندلاً" إذا جاءت مقترنة بـ "لك" أي: تربًا لك، فكأنما يقول: ألزمك الله وأطعمك الله ترابًا وجندلاً".⁽³⁾ فاستعمال المصادر في الدعاء يحمل طابعا تعبيريا لطيفا ويضفي رقة على الطلب ويُعد من صور التلطف لأنه يبنى على الطلب المهذب لا المباشر يراعى فيه مقام جهة عليا ويستعمل فيه التوسل والرجاء وهما من صور التلطف البلاغي إذ يحيل النفوس إلى حالة شعورية أكثر من كونه فعلاً أنيًّا. كما أن حذف أفعال الدعاء يعطي معنًى تلطفياً يتمثل في الفهم الضمني التأدبي للمطلوبات دون التصريح بها.

4.2.1. أنواع الدعاء في المدونة

أ. دعاء عبادة وثناء: انطلاقاً من عبارة: "الدعاء مخ العبادة"، فإنه مما لا شك فيه أن الدعاء أنواع، أحدها دعاء تعبدى يكون القصد منه عبادة الله والتقرب إليه وبلوغ رحمته ومحبته. وقد حظيت

(1) ابن سيده، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي، مصدر سابق، ص 191.

(2) سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، 3، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة،

1988/1408م، ج1، ص312.

(3) المصدر نفسه، ص314.

خطب الجمعة بشيء من هذا النوع الذي يدل على قوة إيمان المؤمن وحسن علاقته بالله، فقد وجد القائمون على الخطبة وكتابتها أن تكون الخطبة الأسبوعية فرصة جليلة لقداسة وقتها وتهيئ قلوب المصلين الحاضرين لمثل هذه العبادة الجليلة. ونوع الطلب والمسألة يدل على شدة افتقار الإنسان لخالقه فيلجأ إليه داعياً متوسلاً طالباً بغيته، والتي قد تكون دنيوية أو أخروية أو كليهما معاً. وبعد الوقوف على مادة هذه الخطب، وجدت أن الدعاء فيها اتخذ مسارين اثنين: الأول جاء متخللاً نص الخطبة وأثناءها حسب الحاجة والسياق الداعي إليه، ساقه الخطيب في خضم خطبته كجمل اعتراضية بغيية تلطيف القول وبلوغ مقاصد هذه الدعوات بتحقيق طلب العون والرحمات من الله سبحانه، أو جاء في سياقات الاستشهاد بها. والمسار الثاني تمثل في سياقات ثابتة في أجزاء محددة من الخطبة: نهاية الخطبة الأولى بأسلوب أشبه أن يكون ثابتاً وفي نهاية الخطبة الثانية من كل خطبة. وسنوضح إجمالاً نماذج من النوعين بغض النظر عن موقعها. فمن نماذج أدعية العبادة والثناء: (الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين)، فعلى الرغم من أن الحمد والتلهيل لهما دلالات ومقاصد مختلفة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية، إلا أن وجودهما في الخطبة هو من قبيل العبادة والدعاء بالاستفتاح والخير، وهي أذكار يستفتح بها كل دعاء ليستوفي أركانه وشروطه، ولها معانٍ عميقة في التوحيد والإيمان والإقرار بألوهية الله ووحدانيته، لذا أدرجتها ضمن هذا النوع من الدعاء، فهو بمثابة عبادة قبلية يُؤتى بها في الخطبة بهدف الثناء لله وعبادته، فيستهل بها الخطيب الخطبتين الأولى والثانية. ومن نماذج هذه الأدعية في القرآن الكريم على لسان الأنبياء والصالحين قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧، وقوله: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة: ٣٢، مصداقاً لقوله تعالى إخباره عن أهل الجنة: ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس: ١٠، وقوله: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ الممتحنة: ٤، وقد ورد من أدعية العبادة

والثناء في السنة والأثر ما لا حصر لنكره، يتعبد بها العباد ويتقربون بها إلى الله زلفى في مناجاتهم وخلواتهم، يرجون رضا الله وقربه.

ب. دعاء الطلب والمسألة: أما النوع الثاني فمن اسمه يتضمن كل دعاء فيه طلب أو مسألة، وهذا هو السواد الأعظم في الدعاء، والدارج في السنة، يلجأ فيه العباد إلى الله في كل مطالبهم الروحية والنفسية والمادية، الدنيوية منها والأخروية، يجهرون به في السراء والضراء، ويلحون به سرًا وجهرًا. كثر استعماله في الخطب أكثر من النوع الأول، وقد نَوَّع الخطيب استعماله كجرعات إيجابية وسط السطور بجمل اعتراضية ليست من أصل الكلام المطلوب، وكأنه أراد أن يغذيهم بهذه المحطات القصيرة تطفيفًا للأسلوب الوعظي وتمهيدًا لتوجيه نصيح أو أمرٍ أو نهي، فهذا الدعاء البسيط قبل الطلب يحمل دلالة فيها من المحبة والحرص البالغ والكبير. وأصدق محبة قد يحصل عليها إنسان من آخر هي دعوة صالحة صادقة قد تغير له واقعًا سيئًا أو تصرف عنه ضررًا أو تفتح له بابًا إلى خيرات الدنيا ونعيم الآخرة، لأن المعطي في هذه الدعوات هو مالك خزائن السماوات والأرض، فعطائه يدهش وكرمه منقطع النظير. وأكثر وروده في الخطب في نهاية الخطبة بشكل ثابت فيها، فكل الخطب ختمت بدعاء، وسأذكر نماذج من هذا النوع التي جاءت في هذه الخطب وهي: ما جاء خلال الخطب ووسطها كجمل اعتراضية مثل قول الخطيب: "فانظروا -رحمكم الله- في ما افتتحت به الآيات"،⁽¹⁾ فقد استعمل الدعاء بعد الأمر تطفيفًا واستمالة لهم واستعانة بالله ليرحمهم ويلطف بهم، علمًا منه بما يحمله أسلوب الأمر من دلالات الاستعلاء والإلزام، وكثير من النفوس جُبلت على عدم الانصياع لمثل هذه المعاني والدلالات مهما كان الأمر المشار إليه، فاعتراض توجيه النظر للآيات وتأملها بدعاء الرحمة يجعل في النفوس أثرًا إيجابيًا للإقبال والتقبل. وفي خطبة قال فيها في سياق شرح إحدى آيات سورة الكهف: "و(باخ نفسك) -رحمكم الله- أي مهلك نفسك"،⁽²⁾ فاعترض الخطيب الآية وتفسيرها بالدعاء بالرحمة من باب تطففه ومراعاته لمشاعرهم، وهذا مما يعكس احترام الخطيب

(1) خطبة بتاريخ 4 ربيع الأول 1444هـ جري.

(2) خطبة 18 ربيع الأول 1444هـ جري.

وذوقه الرفيع في الخطاب، وكأنه استبق طلب الرحمة قبل أن يأتي لذكر معنى الآية المتضمن للهلاك. أيضًا، من الأمثلة التي جاء فيها الدعاء بصرف الشر عنهم والتعوذ بالله من وقوع الضرر والخطر قول الخطيب: "أليس من الإلقاء بالنفس إلى التهلكة قيادة السيارة في حال سكر أو تعاطي مخدر-والعياذ بالله-،⁽¹⁾ ففي محاولة الخطيب لتوضيح بعض ما فيه إلقاء بالنفس في التهلكة، ومحاولة صرف الشباب عن القيادة تحت أي مؤثر عقلي، ختم توجهه بدعاء استعاذ فيه بالله من كل هذا، وكأنه يخشى عليهم وقوعًا في مثله رأفة بهم وحرصًا عليهم. وجاء في سياقات أخرى بجملة دعاء اعتراضية يدعو لهم فيها بالهداية كقوله: "فما بال بعض الناس - هدامهم الله- يقتصرون على الصلوات المفروضة"،⁽²⁾ فليشدة حرصه وبالغ لطفه، استبق الوعظ والتوجيه بالدعاء الصالح لهم، لعل الله يهديهم ويسخرهم للاستزادة من الطاعات وجبر نقص الفرائض بالنوافل والسنن، لا سيما وهم في شهر تتضاعف فيه الحسنات. وجاء أيضًا في سياقات أخرى يدعو لهم بالتوفيق كقوله: "أعلموا -وقني الله وإياكم- أن من خير ما يتقرب به العبد إلى الله أن يحرص على بناء أسرة سعيدة"،⁽³⁾ وكأنه أراد من الله أن يوفقهم قبل أن يعرفوا ماهية الأمر حرصًا ولطفًا بهم. أما عن النماذج لهذا النوع والتي جاءت في سياق الدعاء في آخر كل خطبة تقريبًا كقوله: (اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا)⁽⁴⁾، (اللهم أحفظ أوطاننا)⁽⁵⁾، (اللهم أنزل علينا بركات السماء)⁽⁶⁾، (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)⁽⁷⁾، وغيرها الكثير سيأتي بيان تفاصيل دلالاتها لاحقًا.

(1) خطبة 2 ربيع الآخر 1444 هجري.

(2) خطبة 30 رمضان 1444 هجري.

(3) خطبة 7 شوال 1444 هجري.

(4) خطبة 5 صفر 1444 هجري.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

(7) المصدر نفسه.

1.2.5. تركيب الدعاء في المدونة

نظرًا لأهمية تركيب الجملة العربية في النحو العربي، فقد رأيت الإشارة إلى تنوع التركيب في جملة الدعاء في الخطب، ومحاولة الوصول إلى فهم الدعاء ضمن هذا التركيب في سياقه الدلالي. ومما لا ريب فيه أن هذا التنوع في تركيب جملة الدعاء بين الاسمية والفعلية له معانٍ ودلالات، فعند تأمل الأصل التركيبي في جملة الدعاء نجد أنه فعلي، قائم على فعل الأمر أو الطلب على وجه الاستعانة والتماس طلب ما، فيكون الفعل على وزن (افعل) و(افعلنا)، إلا أن سعة العربية واتساعها جعلت من لغتها وسيلة لبلوغ المآرب والمطالب بأي صيغة كانت، كما أن السياقات وحال المخاطب كلها تعين على تحديد نوع التركيب الذي تتصدر به جملة الدعاء، لا سيما أن جملة الدعاء أحد أهم خصائصها أنها تعبر عن حال المتحدث ومشاعره وحالته الشعورية من طلب أو ضعف أو استعانة أو استجداء، لذا طوعت اللغة كل الأساليب فيها للخروج من غرضها الأساسي إلى غرض الدعاء حسب ما يستدعيه طلب السياق، فتصدر جملة الدعاء بالجملة الاسمية يعطي معاني من الثبات والاستقرار بخلاف الأفعال التي تعطي الصفات التي تعبر عن تصورات مختلفة بالتجديد، فدالات الفعل الماضي غير الأمر والمضارع والعكس، ومن أمثلة التراكم الاسمية الواردة في دعاء خطب الجمعة:

أ. تركيب الدعاء الاسمي: كقولنا: "الحمد لله رب العالمين"⁽¹⁾، و"إنه هو الغفور الرحيم، إنه هو البر الكريم"⁽²⁾، و"إنك سميع قريب"⁽³⁾، و"والعياذ بالله"⁽⁴⁾. إن استهلال الخطيب بالحمد لله يشير إلى الثناء المطلق لله سبحانه، وهو ثناء يستوجب الديمومة والاستمرار في كل حال وفي أي زمان، ولم يُصغِ الحمد بفعل كـ "أحمد" أو "حمدنا" لدلالاته المقترنة بزمن معين. أيضًا، يعطي معنى الشمول والعموم، فالحمد له شامل على كل شيء وفي كل حال. أيضًا، الجمل الاسمية المكونة من "أن" واسمها

(1) خطبة 16 رمضان 1444 هجري.

(2) خطبة 28 محرم 1444 هجري.

(3) خطبة 16 رجب 1443 هجري.

(4) خطبة 5 رجب 1444 هجري.

تعطي دلالات على التركيز والتأكيد على صفات الله وكماله وقدرته على المغفرة والرحمة والكرم، وأنه سميع وقريب دائماً وأبداً، وتكثر مثل هذه الجمل في مواقف التقرير والإخبار.

ب. تركيب الدعاء الفعلي: وهذا هو التركيب السائد والشائع في مادة الخطب، بناء على مادة الدراسة المجموعة فقد جاءت الأدعية بتركيبها الفعلي وبصيغ زمنية مختلفة، ومن هذه التراكم بصيغة الماضي كقوله: "رحمكم الله"⁽¹⁾، "رحمني الله وإياكم"⁽²⁾، "هداهم الله"⁽³⁾، و"فني الله وإياكم"⁽⁴⁾، "رعاهن الله"⁽⁵⁾، "يسر الله لكم أسباب الخير"⁽⁶⁾، و"قانا الله وإياكم"⁽⁷⁾. فاستعمال الفعل الماضي في الدعاء يعطي معاني واسعة من الأمل والثقة بالله سبحانه، وكأنّ الطلب قد تم في الماضي وقد استجاب الله وحقق المراد، والمتأمل في طبيعة الأدعية بهذه الصيغة يجد معاني ربوبيته سبحانه التي تجعل العبد البشري الضعيف يقر بحاجته الماسة لربه، فالدعاء بالفعل الماضي جاء لطب الرحمة والتوفيق والرعاية والهداية لتأكيد الإصرار والتوسل لجعلها حقيقة في المستقبل، يقول ابن جني في الخصائص: "ونقول: أعزك الله وأطال بقاءك فتأتي بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال"⁽⁸⁾، فالإنسان صفر في وحشة الدنيا وظلمتها إن لم يستتر برحمة الله وتوفيقه وهدايته.

أما الأدعية التي جاءت بصيغة المضارع ك"أشهد أن لا إله إلا الله"، "بك نستجير وبرحمتك نستغيث"، وقد تأتي مسبوقة بحروف نهي قبل الفعل المضارع، وبذلك تكون الجملة قد خرجت بدلالاتها من النهي إلى معنى الدعاء والتضرع بصرف ما جاء النهي عنه، كقوله: "ولا تدع فينا شقياً"، "لا تكلنا إلى أنفسنا"، "ولا أدنى من ذلك". ودلائل المضارع كما هي معلومة تطلب الاستمرار والدوام في المستقبل.

(1) خطبة 18 ربيع الأول 1444 هجري.

(2) 27 جمادى الآخرة 1444 هجري.

(3) 30 رمضان 1444 هجري.

(4) 7 شوال 1444 هجري.

(5) 20 ذي القعدة 1444 هجري.

(6) 5 ذي الحجة 1444 هجري.

(7) 20 ربيع الأول 1445 هجري.

(8) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ج3،

أما أكثر جمل الدعاء في التركيب الفعلي فقد جاءت بصيغة فعل الأمر، "استعمال الأمر كثير في لغة الدعاء وأكثر سيرورة من الصيغ الأخرى في هذه الحال يعني أن الأمر خرج إلى غرض الدعاء والالتماس رغبة في شيء"⁽¹⁾، كقوله: ("اغفر لنا"، "اجعلنا مسلمين، احفظ أوطاننا وأعز سلطاننا، أنزل علينا من بركات السماء، آتنا في الدنيا حسنة ووفي الآخرة حسنة، ارض عنا، بلغنا رمضان، أعز الإسلام، بارك لنا ثمارنا")⁽²⁾، وهذه تأتي في سياقات الدعاء والطلب المباشر وسؤاله سبحانه والتوسل إليه ليحقق هذه العطاءات ويجزل بها نواله.

ولكن ينبغي الإشارة إلى أن الدعاء لا ينفرد باستعمال صيغة دون أخرى، لأن نصوص الدعاء، لا سيما إذا جاءت مسترسلة متتابعة كنص واحد مترابط، تتداخل فيه الصيغ وتترابط الجمل لتدخل بعضها في بعض، فنجد الصيغة الاسمية بين صيغتين فعليتين وهكذا، وإنما جاء هذا التنوع في التركيب من باب توضيح جمل الدعاء وتنوعها، وهذا من ألطاف الله أيضا، إذ لم يحدد للعباد مخاطبته ودعائه بصيغة أو تركيب معين، بل على العكس، فالدعاء هو صلة بين المرء وخالقه، يحدثه بما يستطيعه ويعلمه ويتقنه، ولا ينبغي التصنع والحبكة في الدعاء.

1.2.6. مدى تحقق شروط وآداب الدعاء في دعاء المدونة

لعظمة مقام الدعاء وعظيم مكانة المسؤل وأهميته في العقيدة الإسلامية، فقد ورد في السنة والأثر ما يدل الناس ويرشدهم إلى الوصول الحقيقي لمعاني الدعاء وتحقيقه بطريقته المشروعة، إذ إن هناك جملة من "الآداب والشروط التي ينبغي أن يؤتى بها في الدعاء وقبله وأثناءه"⁽³⁾، فيكون تحقيقها مدعاة لقبول الدعاء واستجابته. وهنا سأحاول أن أتحرى مدى تحقق هذه الآداب والشروط في دعاء الخطب. فإله سبحانه يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦، فالله عز وجل اشترط على السائل أن يسأله ليجيب، ثم بين المصطفى نوع هذه الإجابة وأشكالها، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي عليه السلام قال: "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم

(1) السامرائي، إبراهيم، من أساليب القرآن، ط2، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، عمان-الأردن، 1407هـ/1987م، ص17.

(2) خطبة 19 ربيع الآخر 1445هـ.

(3) القحطاني، سعيد علي: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، ص34-52.

ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها ثلاثاً: أما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من سوء بمثلها"⁽¹⁾، وهنا إشارة إلى أن الدعاء غنيمية مضمونة لا يرد الله فيها يد العبد صفراً، ولكن كيف تكون الدعوة التي تبلغ عنان السماء ويضمن قبولها؟ هي التي تتحقق فيها هذه الآداب والشروط وهي:

1. النية وحضور القلب، ولا ريب أن مسلماً لبي النداء وترك مشاغل الدنيا وأقبل لصلاة الجمعة، إلا ويكون نوى الصلاة والعبادة وما فيها من ذكر ودعاء، لاسيما أن الداعي بلسان الجميع هو الخطيب، وهو أكثر الحاضرين تهيؤاً واستعداداً وإقبالاً لهذه العبادة، إذا فالنية موجودة والقلب حاضر في دعاء صلاة الجمعة.

2. الطهارة البدنية والحسية وهذا بطبيعة الحال متحقق، فلن يقصد صلاة الجمعة مسلم إلا ويكون طاهراً متوضئاً، والغسل يوم الجمعة من أبرز سننها، هذا بالنسبة للطهارة البدنية وهي متحققة أيضاً. أما الطهارة الحسية فهي سلامة القلب وعفة البطن عن الحرام، والسائد في منابر جوامع السلطنة أن يرتقيها أناس على قدر من الطاعة والالتزام، ولا نزكي على الله أحداً، والله يتولى السرائر، وإنما نجزم بتحقيقه بالظاهر ونحسن الظن بهم وننزه صنيعهم، لذا فأرى تحقق هذا أيضاً.

3. استقبال القبلة وهذا مؤكد، فالناس في خطبة الجمعة يكونون مستقبلين القبلة منصتين متهيئين للصلاة، وهذا أيضاً متحقق قطعاً.

4. الاستفتاح بالحمد والثناء: وهذا متحقق فعلاً كونه جزءاً من بناء الخطبة أصلاً. ناهيك عن أن الدعاء الأخير في الخطبة يُفتح بالصلاة على النبي، وهذا من آداب قبول الدعاء واستجابته. وبطبيعة الحال، فخطبة الجمعة تمثل ككل جلسة من جلسات الذكر، بمعنى أن الاستفتاح الأول في جزئها لا يعد منفصلاً عن الدعاء، بل هو بمثابة استجلاب للنفوس ووعظها لترق وتلين وتستكين وتحضر وتستشعر قرب الله واستحقاقه للامتثال والطاعة والعبادة، فيكون سير الخطبة بمثابة التهيئة القلبية ليتحقق الخشوع في هذا الدعاء والتوجه فيه بضراعة وإنابة.

(1) ابن حنبل، ج17، ص213-214.

5. تحريّ أفضل أوقات الاستجابة: وأوقات يوم الجمعة من أفضل الأوقات للدعاء، ففيها ساعة الاستجابة، وربما صادفت ذلك الوقت فيظفر الجميع بغنائم الدعاء، فقد جاء في السنة والأثر ما يشير إلى فضل تحريّ ساعة الاستجابة، وتحريّ ساعة الاستجابة يعني تقصّي الوقت الأنسب للدعاء ليُقبل ويُستجاب؛ لأن هذا الوقت بمثابة الكنز الذي تتحقق به الأمانى والطلبات. وأصل فضل يوم الجمعة على باقي الأيام، فهذا مما يُبقي المسلم مرهف الحس والروح بترقب هذه الساعة، وكأنه على اتصال مستمر بالله، كاستعداد روعي وفكري لطلب الله والتضرع إليه، ولعل هذا سر إخفاء هذه الساعة وتحديد وقتها بالضبط؛ ليظل المؤمن موصول الصلة والاتصال بالله تعالى، ومما روي في ذلك قول النبي ﷺ بفضل هذا اليوم وخصوصيته عن باقي الأيام عن أبي عبد الله إسحاق أنه سمع أبا هريرة يقول: أن رسول الله قال: "لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة"،⁽¹⁾ لذا فإن وقت الخطبة والصلاة في هذا اليوم يكون المسلمون في حالة من الاجتماع والحضور الروحي، ويمرون بوقت عظيم بين الأذان والإقامة، فهذا بحد ذاته فرصة لتحريّ إجابة الدعاء فيه، وفرصة لحصول الغفران والرحمة، وتعزيز الصلوات بالله سبحانه. وخلاصة القول أن تحريّ الوقت المناسب متحقق في دعاء خطبة الجمعة أيضًا.

6. العزم والإلحاح: يمكن تأكيد العزم والإلحاح في دعاء خطبة الجمعة بنقطتين: الأولى، تكرار الدعاء بـ "اللهم". في الخطبة الواحدة، وتكرارها قرابة العشر مرات. هذه الكلمة المخصوصة بالدعاء تحمل من الدلالات والمعاني ما يدل على قوة الإلحاح والطلب، فهي نداء مقرون بيقين الإجابة، لدالتها على أن المسؤول كثير الخير والعطاء، عظيم الكفاية، كالبحر العظيم، فتكرارها يقوي اليقين بأنه لن يرد مسألتهم. كما أنها تأتي بمعنى التوكيد والإصرار على الطلب، للدعاء بالإلحاح على الله بقبول الدعاء وإجابته، ولها معنى يعكس ثقة الداعي بقدرة الله الواحد المتفرد بألوهيته، والذي حاشاه أن يرد سائلا، وهذا يعزز قوة الدعاء وإلحاحه، فاللهم كلمة تحمل معاني عميقة. من الإلحاح والاستعانة بالله، وكانت الأكثر حضورًا في هذه الخطب من الصيغ الأخرى المستعملة في الدعاء كـ "يا رب" و"إلهي". النقطة الثانية الدالة على قوة الإلحاح هي أنني وجدت

(1) ابن حنبل، ج13، ص116.

تكرار هذه الأدعية وإعادتها في كل خطبة، إذًا فالخطيب ومن معه تعاملوا مع هذه الأدعية بيقين المؤمن اللوح الذي لا يمل ولا يستعجل ولا ييأس، وهذه هي قمة الإيمان واليقين بالله سبحانه. بهذا يمكنني القول أن أدب الإلحاح موجود ومتحقق في دعاء خطب الجمعة.

7. رفع سقف الدعاء: فرغ سقف الطلب في الدعاء من سنن الأولياء والصالحين، ومن الأمور المرغَّب فيها في الدين، بل إنه مما يعكس الثقة الكاملة بالله سبحانه وتعالى على سعته وقدرته وحسن الظن به، وهذا من أهم مبادئ الإيمان واليقين التي يحث عليها ديننا القويم. والمصطفى -عليه السلام- يعلم أصحابه فيما روي عنه حديثه مع معاذ بن جبل وهو يصف الجنة، جاء فيما قال: "فإذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس"،⁽¹⁾ وهذا يعلمنا أن الله قادر على العطاء مهما بدت لنا الأحوال والأسباب متعذرة. دعوة لاستحباب رفع سقف الدعاء لأن الله قادر لا يعجزه شيء، فمهما بدت الأحداث معقدة والظروف صعبة والإمكانات المحيطة متعذرة، فالله بقدرته قادر أن يقلب الموازين في لمح البصر ويحقق المراد، بل إن تردد الإنسان وظنه باستحالة الأمور هذا من سوء الظن بقدره الله، ولنا في القرآن قصص عظيمة، فمريم عليها السلام كانت تدعو بالرزق ويأتيها بين يديها، ليس هذا فحسب بل إنها تسأل الله من ثمار الصيف وهي في الشتاء وتسأله من ثمار الشتاء وهي في الصيف ليقينها بقدرته المطلقة وأنه لا شيء اسمه تعذر أو استحالة في حضرة قداسته وقدرته، فكان يأتيها سؤلها وتأكل وهي قريرة العين. وسيدنا زكريا عليه السلام عندما قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ آل عمران: 38، كان موقفًا أن المسؤول عظيم فوق كل تصورات العجز والاستحالة، فهو كبير السن، وامرأته عقيم، وقد شاخت أيضًا، فكيف سيتم ذلك بالنظرة البشرية القاصرة؟ ولكن بالدعاء تحقق. وهذه القصة من الرسائل القرآنية لنا نتعلم أن الله قادر على كل شيء. وكيف أن سيدنا سليمان بلغ من القوة والتسخير والملك بدعوة صادقة توسل بها إلى الله قائلاً: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ص: 35، فنال بدعوته ملكا عظيما لم يكن لأحد من

(1) ابن حنبل، ج36، ص407.

قبله ولا من بعده، سخر الله له فيه الجن والرياح، وعلمه منطق الطير والحيوان، فأبي دعوة هذه التي فجرت له كل هذا الخير! إنه الله واليقين بقدرته، فهذا هو اليقين.

والناظر للوهلة الأولى للأدعية التي جاءت في خطب الجمعة سيرى أنها عادية لم يرفع فيها الخطيب سقف الطلب، ولكن بعد الفحص والتأمل، وجدت في قول الخطيب: "ولا تجعل فينا شقيا ولا محروما" من ضمن الأدعية التي يعد تحققها كمعجزة، ويكون الخطيب بها قد رفع سقف الطلب، وذلك لأننا نعيش في زمان يعيش فيه أغلب الناس شقاء وحرمانا بسبب الخواء الروحي من الدين والإيمان والبعد عن الله بدليل قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ طه: ١٢٤، فالمديون تحت وطأة الربا شقي كما روي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَهُ) (1) واللعن هو الطرد من رحمة الله كما جاء في لسان العرب "اللَّعْنُ: الإِبْعَادُ وَالطَّرْدُ مِنَ الْخَيْرِ، وَقِيلَ: الطَّرْدُ وَالِإِبْعَادُ مِنَ اللَّهِ" (2)، وتارك الصلاة والمتهاون فيها شقي فقد روي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ" (3)، وعاق والديه شقي، وقاطع الأرحام شقي، فقد روي عن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ حَمْسٍ: مُدْمِنٌ سَكَرَ، وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرِ، وَلَا قَاطِعٌ رَجِمَ، وَلَا مَنَانٌ، وَلَا كَاهِنٌ" (4) والتهاون في الدين حرمان، وهجر القرآن حرمان، والتخلف عن المساجد حرمان، وغلاء المعيشة بسبب الفساد والظلم حرمان، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ الشورى: ٣٠، وهذا هو حال الناس في زماننا، وتحقق مثل هذه الدعوة العظيمة وسؤال الله بها من الدعوات الكبيرة والتي لو تحققت لصلح حال الناس وأحوالهم وحياتهم ومعيشاتهم. وفي قوله: "أعز الإسلام"، ونحن نرى بأم أعيننا أن هناك دولاً مسلمة لا تحمل من الإسلام وحقيقته إلا الاسم؛ لتفشي الظلم والفساد وانحطاط القيم والأخلاق، فهذا سقف كبير قد يكون تحقيقه ضرباً من الخيال، لأن عز

(1) ابن حنبل، ج6، ص270.

(2) ابن منظر، ج13، ص387، مادة لعن.

(3) ابن حنبل، ج38، ص115.

(4) ابن حنبل، ج18، ص305.

الإسلام بأهله. وفي قوله: "والأمن لعبادك أجمعين"، ونحن نعلم أن هناك ثلة من المسلمين تحت وطأة الحرب والتهجير والاستعمار والإذلال، ممن تعج بهم السجون ويعيشون أفطح الوليات وأشدها رهبة في أغلب الدول العربية والإسلامية، فكيف يتحقق الأمن للعباد أجمعين في ظل نظرنا القاصر ومعطيات الحياة الحالية والوضع الراهن؟ إلا بالدعاء، فالله على أمنهم وتأمينهم لتقدير، إذن فهذا سقف رفيع في الدعاء والله قادر عليه. وكما هو واضح فإن هذه الدعوات جاءت عامة شملت هم الأمة الإسلامية ككل وقصدت الخلاص لأمة محمد والدعاء لدينها بالتأييد والنصرة، وهذه التربية الإسلامية الصحيحة، إذ إن هم المسلمين هو من أولى القضايا التي يجب أن تولى اهتمامًا وعناية. فالحري بالقلوب أن تصدق في توجيهها بالدعاء وأن تطلق العنان في طلباتها وأن يتحين كل فرد في ذلك الوقت قبل ختم الإمام دعوات بينه وبين ربه يلتمس فيها حوائجه ويوقن بالإجابة، فالوقت والمكان مباركان والنفوس محتاجة والأرواح ظمأى والله جواد معطاء والخزائن ملأى.

1.2.7. من الألفاظ التلطفية في الدعاء

إن من أعظم المنح الإلهية والتلطفات بخلقه، والتي تعد خاصية من خصائص تفرده بالألوهية سبحانه، أن جعل الدعاء صلة بينه وبين عباده، وشرع لهم هذا الباب على مصراعيه دون بواب ولا وسيط، لا يحتاجون للدخول فيه لوساطة أو شفاعة، حتى جعل برحمته من ذاته العليا قربًا تجاوز قرب المرء من وريده، فكان الدعاء في حياة المؤمن الحق بمثابة رعاية تلطفية كبيرة تلف حاجة المرء واحتياجاته الروحية والنفسية كضامد يلف جراحها ويبعث فيه الأمل واليقين بوجود الله ومعيته في الوجود. ومعية الله تعني غنى وكفاية ووقاية ولطفًا. ليس بعد لطفه لطف، فمن تذوق لذة المناجاة واللجوء إلى ركنه اللطيف يعلم تمام اليقين أن هذا الشعور لا يماثله شعور في الحياة، وهو كفيل بجعل هذا المؤمن الموقن بربه من أكثر الناس صحة نفسية وسلامة روحية وأمانًا عاطفيًا، فمن وجد الله اكتفى، وما فقد ليقينه أن العطاء منحة والمنع حكمة، وسأوضح هنا بعض هذه الألفاظ في نقاط:

أ. الدعاء وسيلة تواصلية يتحقق بها رضا الطرفين العبد وخالقه: إذ إن الداعي يستطيع التواصل

المباشر مع الله والدخول في المناجاة التي يستطيع من خلالها أن يحقق شعور الرضا والطمأنينة

والسكينة والانشراح، والله جَلَّتْ قدرته يحب المؤمن الذي يقبل إليه بالدعاء والسؤال، وهنا يكون قد تحقق رضا الطرفين.

ب. الدعاء مكسب روحي مضمون لا يُرد فيه السائل صفرًا: مصداقًا لما جاء في معنى حديث رسول الله إن الله يحقق مطالب السائل بطرق ثلاث: إما أن يحقق الطلب الذي أراده، أو يدخر له أجره ليوم الآخرة لعلم الله الأزلي أن تحقيق هذا المطلب ليس من صالحه، أو سيصرف عنه سوءًا معينًا كان من المقدر أن يصيبه. إذن فالحصيلة أن هذه الدعوة المرسلة إلى الله مضمونة التحقيق ومكسبها الروحي مضمون.

ج. الدعاء ملاذ آمن لبث الهموم والأوجاع: فما من إنسان إلا وتعتريه حالات من الضعف والانكسار، ويحتاج إلى ملاذ يشكو إليه همه ويودعه أسراره ومواجهه. إلا أن وجود مستقبل مضمون لمثل هذا دون أن يراق ماء الوجه أو يفقد شيء من الهيبة والكرامة متعذر. فمن للإنسان في ضعفه وانكساره؟ الله اللطيف. فالله هو الملجأ الآمن الوحيد الذي يستقبل كل منكسر وضعيف ويأنس، ويسمع الشكوى ويرفع البلوى ويفهم النجوى، لكل ملتجئ إليه مهما بلغ ضعفه وإحباطه وانكساراته، ودون أن يشعر بالخجل والوجل ودون أن يفقد كرامة أو يستتقل مقامه، بل سيخرج بعد مناجاته لله بانتصارات نفسية ووجدانية تخفف عنه أثقاله وهو بكامل كرامته وروح تغمرها الراحة والسكينة.

د. الدعاء عطاء مجاني دون مقابل: فلا يوجد في هذا الكون من يعطي بغير مقابل إلا الله، فإن لم يكن مع غيره مقابل مادي يكون مقابل حسي يفقد فيه المرء شيئًا من كرامته أو ماء وجهه بالسؤال. أما الله فيعطيك دون أن يستكثر هذا العطاء، بل ويجزله لمن أُلح وصدق وبالغ في الطلب، وكلما زادت المطالب زاد كرم العطاء مجانًا.

هـ. الدعاء متاح في كل حين، والله الكريم يستقبل لا يطرد ولا يمل: من المألوف أن الطبيعة العامة للنفوس البشرية مهما بلغ كرمها ومهما بلغت طبيعتها وجودة خصالها، إلا أنها ملولة تستتقل وتستكثر، وقد تمل وتطرد ولا تحب ملحًا ولا تقبل مُصرًا، ولله المثل الأعلى، عظيم حنون كريم لا يطرد ولا يستكثر ولا يمل حتى تملوا.

و. محتاج الدعاء هو من يحدد الوقت والمكان ومدة اللقاء: ومن أطاف الرحمة والكرم في الدعاء أن الإنسان المحتاج للدعاء وطالب الوصل مع الله هو من يحدد وقت مناجاته وزمنها ومكانها كيفما أراد وبأي هيئة كانت، فسيجد الله السميع العليم ينظر إليه بعين الرحمة، ويسمع دعواه فيخفف عنه بلواه، ويبعث في روحه معاني السلام والأمان، وليس بعد لطف الله لطف.

8.2.1. دلالات التلطف في الدعاء

إن المتأمل للدعاء في خطب الجمعة -مادة الدراسة- سيلاحظ أنه رغم إيجازه إلا أن له دلالات كثيرة ومعاني عميقة، إلا أنني هنا بصدد توضيح بعض الدلالات التلطفية الواضحة فيه، ففي قول الداعي: "جمعًا مرحومًا.. وتفرقًا معصومًا.. ولا تجعل فينا ولا معنا شقيًا ولا محرومًا"، يظهر استعمال المفردات الرقيقة التي تلامس الروح بمعانيها وجرسها الموسيقي كقوله: "مرحومًا ومعصومًا"، وبأسلوب راق ورقيق لطلب الحماية والعون والرحمة. كما يتجلى فيه شمولية الاهتمام بالآخرين لأن الدعاء شمل كل المجتمعين بقوله: "جمعنا، فينا، معنا"، وتواصل الاهتمام بهم حتى بعد تفرقهم من المجلس بقوله: "واجعل تفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا"⁽¹⁾، وهذا لا يصدر إلا عن مسؤول محب فعلاً، ويعكس جانبهم الأخوي وروح المحبة والتعاون بينهم. كما أن الدعاء جامع لمعاني الإيجابية وروح التفاؤل متجنبًا به كل معاني السلبية والمعاناة وذلك بتوسله لله أن يحمي الجميع من الشقاء والحرمان.

أما في قوله: "اللهم أعز الإسلام والمسلمين"⁽²⁾ فقد تجلى الإيمان اليقيني للإمام والمصلين لتعظيمهم للإسلام، والدعاء بعزه، وهذا يعكس احترام الدعاة لدينهم ورغبتهم الملحة في نشره وإعلاء رتبته، ثم انتقل إلى طلب الهداية للمسلمين لتكون نهايتهم السعادة، وهذا دليل على حب الخطيب لأُمَّته وحرصه على اهتدائهم إلى الطريق القويم. أما الدعاء لجمع كلمتهم فهو تطلع لطيف إلى الوحدة والمحبة وتعزيز التضامن بينهم. وفي قوله: "كسر شوكة الظالمين"⁽³⁾ دلالة التلطف ناتجة عن طلب تلطيف المعاناة على المسلمين ورفع الظلم عن الناس وكان خاتمة هذا الجزء من الدعاء يطلب

(1) خطبة 16 رجب 1443 هجري.

(2) خطبة 4 جمادى الآخرة 1443 هجري.

(3) المصدر نفسه.

السلام والأمن، وهذا تعبير لطيف عن الاهتمام والرغبة في تحقيق السلام. كما أن الدعاء وطلب العون لإخواننا المرابطين في أرض الأقصى المباركة دليل على تعظيم الإنسانية والشعور بالآخرين، وتناول موضوعهم كقضية دينية قبل أن تكون إنسانية، مصداقاً لقول المصطفى:

"كالبنيان يشد بعضهم بعضاً"⁽¹⁾ فجعلهم إخوة حقيقيين لهم من بني جلدتهم، والشعور بهم، والتزام الدعاء الصادق لهم من أرقى معاني اللطف والتقدير، فقول الخطيب: "كن معهم وثبتهم"⁽²⁾، تعبير يؤكد على طلب الرفقة والثبات على المبدأ الإسلامي، وهذا يأتي من قبيل طلب الاستمرار في الدعاء لنصرتهم والسعي الصادق للمطالبة بحقهم من الحرية والتحرر، وكل ذلك مما يؤول بالقضية إلى النصر المعنوية قبل المادية، وهذا من أوكذ معاني التضامن والإحساس بالآخر، ففي قوله: "واربط على قلوبهم وصبرهم"⁽³⁾، إشارة إلى مدى المعاناة التي يعانها هذا الشعب المناضل ورسالة يقينية بأنه لن ينتصر هذا الشعب ويخرج من معاناته إلا بمعوية الله ونصرتة، لذا كان الدعاء لهم أبرز سلاح يُشهر في وجه عدوهم وأكبر منحة للدعم النفسي والروحي لهم. وفي قوله: "بك نستجير وبرحمتك نستغيث"⁽⁴⁾، يظهر قدر من التواضع والاهتمام الكامل والخضوع في حضرة الواحد سبحانه، مما يشير إلى ضرورة أن يكون الطلب في الدعاء بتأدب كامل وأخلاق واسعة مع الله، فإذا كان اللطف في التعامل مع الكائنات مطلباً، فإنه مع الله ضرورة، لأنه الخالق والإله المستحق لكامل الخضوع والطاعة والأدب، لذا يظهر في دعاء الخطيب ما يدل على ذوقه في تنزيه الله عن كل نقص، ولا سيما في قوله: "لا إله إلا أنت سبحانك"⁽⁵⁾، أما في قوله: "أصلح لنا شأننا كله"⁽⁶⁾، دليل على طلب الإصلاح الشامل من الله سبحانه وفي كافة جوانب الحياة مما يجسد رغبتهم في عون الله لبلوغ الخير في كل شيء وهذا من دواعي تحقيق اللطف في الحياة وبلوغ السرور فيها. كما أن الدعاء للوطن والسلطان

(1) ابن حنبل، ج32، ص400.

(2) 8 جمادى الآخرة 1445م.

(3) خطبة 1 جمادى الآخرة 1335هجري.

(4) خطبة 27 ربيع الأول 1445هجري.

(5) خطبة 1 صفر 1445هجري.

(6) خطبة 5 ربيع الآخر 1445هجري.

يعكس شعور اللحمة والانتماء والتوافق في العيش السلمي والترابط الأخوي والعيش في ظل حياة يسودها السلام واللفظ ومنها دعوة لطيفة لسعي في التزام المبادئ الصحيحة كما جاء في قوله: "وأيد به الحق وأيد به الحق"⁽¹⁾ أيضًا من جوانب اللطف في هذه الأدعية سؤال الله من خيرات الدنيا والآخرة، إذ توسلوا إلى الله أن يدر عليهم بخيرات الأرض وبركات السماء، وهنا يتضح اليقين بالله وحسن الظن به سبحانه، إذ إن غنى الحياة وسعتها والعيش في ظل النعيم الوارف لا يتنافى مع العقيدة الإسلامية ولا حسن الإقبال على الآخرة، لذا كان دأبهم المتواصل في كل دعاء "اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"، كما أن دعواتهم لم تقتصر دلالاتها التلطيفية وما تحمله من معاني إنسانية عميقة من محبة الخير ودوام الأمن والسلام على الأحياء وحسب، بل كان للأموات نصيب ثابت فيها، وكأنهم نذروا البر بالآباء والأمهات ممن تركوا الدنيا ولم يُرزقوا بابن بار يدعو لهم، فكان الدعاء لموتى المسلمين ملازمًا للدعاء لأحيائهم في دعوة لم تخلُ منها خطبة الجمعة قط بقولهم: "الأحياء منهم والأموات"⁽²⁾، دعاء بوفرة الرحمة والمغفرة واللطف بأرواحهم في برزخهم، دعاء يكررونه في اجتماعهم الأسبوعي الصالح، وهذا من أسمى معاني اللطف التي يدركها الوعي الإنساني.

خلاصة القول أن التلطف في الدعاء تجلّى في العبارات لفظًا ومعنى، بدءًا من تلطف الطلب والاحترام في التوسل، وحسن اللجوء إلى الله بألطف الأسماء والصفات، وانتهاءً ببلاغة الدعاء وإيجازه وعمق دلالاته التلطيفية وأجراسه الموسيقية. كما أن ختام كل خطبة بالدعاء يعطي المتلقي جملة من الطاقات الإيجابية ويشحنه بنوع من مشاعر الأمل والتفاؤل، ناهيك عن أن الدعاء ومناجاة الله سبيلًا للسكينة والانشراح والشعور بالطمأنينة والسلام، وتخفيف الأعباء والأثقال التي نتجت عن تراكمات الحياة على اختلاف تقلباتها، فيأتي الدعاء في كل جمعة ليفتح أمامهم آفاقًا رحبة من التطلع نحو الخير، فرب الخير لا يأتي إلا بالخير.

(1) خطبة 29 جمادى الأولى 1444هـ جري.

(2) خطبة 27 ربيع الأول 1445هـ جري.

3.1. المبحث الثالث: أنماط التلطف اللغوي في النداء.

1.3.1. أسلوب النداء

يُعد تاريخ النداء في اللغة العربية موضوعاً مهماً لدراسة تطور اللغة واستعمالها في مختلف السياقات الاجتماعية لما له من دور في عملية التواصل في الحياة اليومية ووسيلة لتوجيه الكلام إلى الآخرين. أما بالحديث عن دوره في التواصل اللغوي، فإنه ينبغي الإشارة إلى أن أسلوب النداء لم يكن مجرد باب من أبواب النحو وحسب، بل كان باباً حيويًا ومُشرعًا للأبحاث والدراسات على مر العصور، والأكثر دورانًا والأوسع استعمالاً من بين الأساليب الطلبية، ووسيلة فعالة للتواصل والتأثير تسهم في تنظيم العلاقات الاجتماعية.

لهذا فهو أحد أهم الأساليب العربية القارة التي دُرست منذ القدم نحوياً وبلاغياً، وذلك لدوره المهم في تحقيق العديد من الأهداف البلاغية والتواصلية، لما له من دور في استثارة المنادى فيحركه ويشد انتباهه، فيتهيأ المنادى للاستقبال والاستجابة. كما أن أدوات النداء المختلفة تُعد أحد جماليات اللغة التي تزخر بها البلاغة العربية، إذ تُضفي على الخطاب جمالاً وقوة، وتعبّر عن تنوع المشاعر وتوجيه الرسائل الخطابية بطريقة بليغة مؤثرة، يظهر جماله اللغوي والبلاغي في النص، ويبقى أثره في السامع أو المتلقي بشكل عام. وهذا مما يتيح للأدباء والمتحدثين مجالاً واسعاً للتعبير عن أفكارهم وإيصال مشاعرهم بطرق فعالة، ويكسب المواقف ابتكاراً وجدة. كما أن وجوده في القرآن يؤكد قدرته على تحقيق المقاصد الخطابية، إذ خَلَقَ تفاعلاً قوياً عزز من تأثير الرسائل القرآنية بين النص والمتلقي.

2.3.1. النداء في المعجم العربي:

فالنداء في اللغة كما جاء في لسان العرب "من الأصل (ندى) والنداءُ والنداءُ: الصوت مثل الدعاء والرغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء أي صاح به، وإبدال الهمزة ياء تخفيفاً، وهي لغة عند بعض العرب، ونادى بسره: أظهره. وناديته أعلمته".⁽¹⁾ وفي المعجم الوسيط: (ندا) القومُ ندوا: اجتمعوا في النادي. والقوم: جمعهم في النادي. ويقال: ما نديتُ بشيء من فلان: ما نلت منه خيراً.

(1) ابن منظور، محمد مكرم: لسان العرب، ص: 4388.

والصوت: ارتفع وامتد في حُسن، فهو نَدِيٌّ. وأندى فلان: كثر عطاؤه وفضله. وحسن صوته. و(نادى) الشيء مناداة ونداءً: ظهر. ويقال: نادى فلانًا: دعاه وصاح بأرفع الأصوات. ويقال نادى به⁽¹⁾

1.3.3. النداء في النحو والبلاغة العربية:

النداء في البلاغة العربية يعد أحد أهم الأساليب الفنية المذهلة، والذي يهدف إلى استدعاء وجلب انتباه المتلقي من خلال توظيف بعض العبارات التي تحمل في جوانبها البلاغية معاني عاطفية وتحليلات نفسية استثنائية. أما عن أسلوب النداء في الجانب النحوي فهو من أكبر الأبواب في الكتب والدراسات، إذ لا يكاد يخلو مرجع من المراجع النحوية إلا وأخذ أسلوب النداء نصيبًا منه، وقد اختصره سيبويه في الكتاب بوصفه إذ قال: " اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه، فهو نص على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع، وهو موضع اسم منصوب، وقد يأتي النداء معربًا وقد يأتي مبنياً والنصب علامته الإعرابية في الإعراب والبناء يحددها نوع المنادى إذا كان مفردًا علمًا، أو نكرة مقصودة، أو مضافًا، أو شبيهًا بالمضاف"⁽²⁾، فالنحو يدرس جملة النداء دراسة تعتمد على تفكيكها كبنى تركيبية، وتدرس على هيئة وحدات إسنادية لها قواعد محددة⁽³⁾.

ويُعد النداء من العناصر الأساسية في الأدب العربي، ويرجع ذلك إلى استعماله الواسع في فروع الأدب في الشعر والنثر على حد سواء. فكان بمثابة الأداة الفعالة في يد الشاعر أو الأديب الذي استطاع أن يعكس مشاعره وموقفه تجاه موضوع معين. كما أن فهم النداء في إطاره البلاغي يعد ضرورة مهمة تعين على إدراك جوهر هذا الأسلوب ومكانته بلاغيًا في اللغة العربية لما له من تأثير كبير في نفوس المستمعين.

ومن أشكال النداء عند العرب استعمال الهمزة كما جاء في بيت لأمرئ القيس الذي قال فيه:

أفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّذَلُّلِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمَلِي⁽⁴⁾

(1) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص912.

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب، ط3، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص182.

(3) الراجحي، عبده: التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، ص279.

(4) امرئ القيس، حندج بن حجر: ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، ص12.

وقال أوس بن حجر في إحدى مراثيه يخاطب فيها نفسه:

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْدَرِينَ قَدْ وَقَعَا⁽¹⁾

فالدراسات البلاغية، تركز في جملة النداء على العواطف التي يمكن أن تحملها، والنظر إلى التأثير الذي تتركه جملة النداء على المتلقي وكيف يمكنها أن تعزز الاتصال والتواصل بين الفرد ومخاطبيه، وقدرتها على جذب انتباهه وإثارة عواطفه واهتمامه، لدورها الحيوي في جذب الانتباه وتحفيز المستمعين وشد تركيزهم وانبهارهم كونه وسيلة لإشعار المخاطب بالتواجد والحضور وتوصيل الفكرة ونقل المعنى بطريقة مؤثرة، كما يسهم في تعزيز التأثير العاطفي والجمالي للنصوص بشكل لافت لأنه يعزز الاندفاع والشغف لدى المتلقين ويجعلهم يشعرون بالانخراط العاطفي العميق والتفاعل مع المحتوى أو الخطاب "ولأن العرب كانوا أرباب البلاغة والفصاحة، فقد جاء القرآن معجزاً و متحدياً لما جاء عليه من الفصاحة والبيان فقد أجمعهم سحر بيانه وأعجزهم، فكان لأسلوب النداء النصيب الأكبر من هذه البلاغة والفصاحة"⁽²⁾. وقد أشار سيوييه في كتابه إلى ما يدل على كثرة استعمال العرب له في كلامهم بقوله: "أول الكلام أبدأ النداء إلا أن تدعه استغناءً بإقبال المخاطب عليك"⁽³⁾. كما أن للنداء مطلبين اثنين: "أدوات النداء أولاً، والأغراض التي تخرج إليها صيغة النداء ثانياً"⁽⁴⁾، أما عن حروفه كما أوضحها الزمخشري فهي: (يا، أيا، هيا، أي، الهمزة، وا)⁽⁵⁾، وجاء في كتاب الأصول في النحو لابن السراج الإشارة إلى التعريف بأصل النداء إذ قال: "وأصل النداء تنبيه المدعو ليقبل عليك"⁽⁶⁾، مؤكداً أن استعماله قد يخرج من غرضه الأصلي إلى أغراض بلاغية أخرى قال فيها:

(1) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: كتاب الأغاني، ط3، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، 2008م، مج11، ص50.

(2) أبوكا: أسلوب النداء وأسراره البلاغية، مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة، المعهد الإسلامي بداركا، السنغال، ص2588-2589.

(3) سيوييه، عمرو بن عثمان: الكتاب، ط3، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة 1988م، ج2، ص208.

(4) عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفانها-علم المعاني-، ط4، دار الفرقان، 1997م، ص162.

(5) الزمخشري، محمود بن عمر: المفصل في علم العربية، ط1، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار، المكتبة الوطنية، 2004م، ص314.

(6) ابن السراج، محمد بن سهل: الأصول في النحو، ط3، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، 1996م، ج1، ص329.

"وتعرض فيه الاستغاثة والتعجب والمدح والندبة".⁽¹⁾ وقد حدد علماء البلاغة تعريفاً للنداء اصطلاحاً عليه ليكون معروفاً ومحددًا في دراستهم وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروفه المخصوصة، ورغم الآراء في بعض المسائل النحوية حول جملة النداء، إلا أنهم اتفقوا في كون أن النداء "تنبيه المدعو وطلب إصغاء وإقباله على الداعي"⁽²⁾ ومن خلال فهم البلاغة الشامل والعميق لاستعمال النداء، فقد وُفقوا في تحقيق أغراضه البلاغية بطريقة مقنعة ومؤثرة "تتجلى من خلاله دلالات تفهم من قرائن الحال وسياق الكلام فكل حركة نفسية ذات مشاعر تدفع الإنسان إلى التعبير عنها بنداء ما بطريقة تلقائية"⁽³⁾، كما أن جملة النداء تصاحبها جملة مختلفة لا تأتي على نمط واحد "فقد تصاحبها جملة أمر أو نهى أو تحضيض أو تمني أو حتى استفهام"⁽⁴⁾

وسر جمالية النداء بلاغيًا يكمن في استعمال اللغة بشكل فني وجمالي للوصول إلى المتلقي، ففن البلاغة يمتاز بإتقان استعمال الكلمات بطريقة تثير المشاعر وتلهم الأفكار وتخلق التأثير الإيجابي، لتشد المتلقي إلى النص وموضوعه، لأنه بمنزلة "توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريد المتكلم"⁽⁵⁾

4.3.1. التلطف في النداء ونظريات التأدب الحديثة

يُعدّ التلطف في أسلوب النداء واستعراضه باستفاضة ضمن نظريات التأدب والدراسات الحديثة من المواضيع المهمة في المجتمع الحديث، والتي تولي اهتمامًا بمشاركة المتلقي في الخطاب والعناية بالسياق، مع التركيز على الإستراتيجيات التي تلعب الدور الأهم في تحقيق أهداف هذه الخطب. لذا،

(1) ابن السراج، ص329.

(2) هنيدي الحمد، حسن: آيات النداء في القرآن الكريم، النداء بين الرسل وأقوامهم الآية 64 من آل عمران أنموذجاً، مجلة ربحان للنشر العلمي، مج40، 2023/10/28، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة بينجوا، ص69.

(3) فريد رشاد، شهد: أساليب الإنشاء الطلبي في شعر الزبيديين، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، مج25، ع6، رمضان 1439هـ/ حزيران 2018م، صص 243-262، ص250.

(4) الهلالي، حسن فاضل: أسلوب النداء في نهج البلاغة، مجلة آداب الكوفة جامعة فرديوسي، كلية العلوم والآداب الإنسانية،

ع51، ج1، 2022م، صص 372-373.

(5) حسن، عباس: النحو الوافي، ط3، دار المعارف بمصر، ج4، ص1.

سأبحث مواطن التلطف وتجلياته في النداء، وكيفية تأثيره على المخاطب والعلاقات الإنسانية، ودوره في إنجاح التواصل الفعال بين الخطيب وأفراد المجتمع، وتحسين الاستجابة وقبول الوعظ عند المتلقي، بالتركيز على أدوات النداء المستعملة في هذه الخطب ودلالاتها البلاغية، وأهم الصفات التلطفية التي نودي بها المخاطبون، وكيف اتضح التلطف في سياسة اختيار العناوين وقصدية إحاطتها بقضايا الإنسان ككل، ودور عناصر المقام والسياق في إبراز هذا التلطف. ومن أهم المفاهيم الأساسية التي ينبغي التركيز عليها في هذا الموضوع تحليل مفهوم التلطف كتصرف إيجابي يعبر عن حسن الأخلاق والتعبير الودي في الخطاب، وأهمية فهم كل من التلطف والنداء في سياق الاتصال الإنساني والدور الذي يلعبانه في تحسين العلاقات الدينية والاجتماعية وتحقيق الأهداف الوعظية. فالتلطف في النداء يساهم في تعزيز وفتح آفاق الاحترام المتبادل بين الأطراف المتخاطبة ويعزز شعور الانتماء للمجتمع وهذا يدعم حس تبادل المسؤولية المشتركة في القضايا المطروحة، وبدوره يساهم في خلق بيئة إيجابية فاعلة ومريحة للتواصل الفعال.

كما تلعب العوامل الاجتماعية والنفسية والثقافية دورًا في التأثير على ظهور التلطف في الخطاب، فطبيعة العلاقات الاجتماعية التي يعيشها الفرد في مجتمعه تؤثر إيجابًا أو سلبيًا، كما يمكن أن يكون للتربية والثقافة دور مؤثر في تشكيل نمط التعامل بشكل عام، فالاعتقادات والقيم الشخصية لكل فرد تؤثر في طريقة خطابه وتعامله مع الآخر. ويتجلى التلطف في أسلوب النداء في خطب الجمعة من خلال البدء في انتقاء أداة النداء والعناية في اختيار أسماء المنادى وصفاته، وما تحمله من دلالات يمكن أن يظهرها السياق كإحياء نفسي يحدد مكانتهم ويعكس علاقته وحرصه بهم، مع تجنب استعمال اللغة العدوانية والانتقادات والحد من توجيه الطلب المباشر، تجنبًا لكل ما يوحي بالاستعلاء والإلزام ليصل النداء لطيفًا مبنيًا على الاحترام والتفاهم والتعاطف والتقدير بلغة لطيفة ومتسامحة وتعبيرات صديقة وودية، والانتقال من الجوانب الجافة والمملة إلى الأفكار المشوقة والملهمة.

ويمكن أن يرتبط التلطف أيضا بتقديم المعلومات والمواظب بشكل واضح ومنظم مع استخدام الأمثلة والقصص الواقعية الملموسة والمواقف الإرشادية الهادفة التي يمكن أن تعين المخاطبين على التعاطف معها؛ وعليه تبنيتها وتطبيقها كمنهج حياة. بهذا يكون الخطيب قد حقق التأثير والهدف

الأسْمى من خطبته وهو التأثير العميق في نفسية المتلقي الذي يدفعه للتصحيح والتغيير والتطبيق الإيجابي وليس مجرد تعاطف لحظي لا يتعدى الشعور دون أن يتبعه إصلاح أو تغيير في السلوك. فعندما يشعر المخاطبون بالتلطف والاهتمام من جانب الخطيب؛ فإنه يزيد من احتمالية استجابتهم بإيجابية واتخاذ إجراءات إصلاحية، كما أن توجيه الخطاب بهدوء ولين واحترام يعبر عن خبرة وثقافة عالية وقيادة فعالة تسهم في تعزيز الثقة بين الخطيب والمخاطبين وخلق علاقة قوية ومستدامة بينهما، وهذا يجعل المخاطبين أكثر استعدادًا لاستيعاب الرسالة والتفاعل معها بشكل إيجابي. خلاصة القول: إن استعمال التلطف في النداء يعد عاملاً حاسماً للتواصل الفعال والتأثير البلاغي الناجح وعنصرًا مهمًا في تحقيق الاستجابة؛ لأنه يساعد في جذب المخاطبين والحفاظ على اهتمامهم، كما يساهم في تحقيق قوة الإقناع والتأثير. لذلك أرى أن إيلاء خطب الجمعة العناية اللازمة والحرص على انتقاء أفضل الألفاظ ومراعاة التلطف في النداء وغيره من الأساليب الأخرى من أبرز الأمور التي تعين على تحقيق أهداف الخطبة.

5.3.1. حروف النداء المستعملة في هذه الخطب

إن الطبيعة الخطابية في خطب الجمعة تستدعي حضور أسلوب النداء، وسأقف على أهم الأدوات المستعملة في مادة الدراسة مع محاولة الوصول إلى فهم معانيها ودلالاتها التلطفية والتداولية وتحليل الدور اللغوي والثقافي والتأثيري على المخاطبين وتأثيرها في لغة الخطاب الديني، بالإضافة إلى توضيح الدور الحيوي لجملة النداء في التأثير على المجتمع وطريقة تفاعل الأفراد معها مما يساهم في تعزيز وصول الرسائل الدينية والنفسية الموجهة للمخاطبين. وحروف النداء، كونها أول عناصر جملة نداء، فإن استعمالها يجعل الخطبة أكثر تشويقًا وإيجابية بالنسبة للمستمعين، وهذا يساعد بوضوح في تعزيز فهم الرسالة واستيعابها بشكل أفضل وأسهل. لذا يتبين أن استعمال حروف النداء اللغوية بعناية له دور في التأثير الثقافي والديني، وليس لأغراض التأثير اللغوي فقط. وفقًا لمعنوياتها اللغوية والثقافية وتأثيرها على المخاطبين، فعلى الرغم من صغر حجمها، إلا أن طريقة استعمالها من عدمه يمكن أن تحدث فرقًا وتأثيرًا عميقًا على المخاطبين، ودفعهم لاتخاذ إجراء معين أو التفكير في قضية محددة. ورغم تعدد أدوات النداء في العربية، لم أجد حضورًا في مادة الدراسة إلا لواحدة منها وهي (يا).

وقد يعود السبب إلى أن النداء في أصله لغوي عملي يستعمله أصحاب اللغة الواحدة في تحقيق أغراض ومقاصد الحياة لذا أرى أن (يا) هي الأنسب والأصلح في مقام كخطب الجمعة، حيث الحضور الديني والاجتماعي والثقافي والخطاب الرسمي الموجه والمقصود. يمكن لهذا الحرف أن يحقق المقاصد المطلوبة على تنوعها، لأن استعمال النداء بشكل عام بين الناس يمثل علامة وصل واتصال فيما بينهم، أي أنه يثبت اجتماعية اللغة. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن لارتباط النداء بالمسافة سبباً آخر يعين على تحديد الأداة المناسبة، مما جعل اختيارها له معنى وقيمة ويعطي للموضوع أبعاداً مختلفة، فتتشكل الأدوار الدلالية التي تلعبها في الجمل على اختلافها بناءً على الصوت والتركيب. فبروز (يا) في خطب الجمعة واستثناء استعمالها دون غيرها ليس اعتباطياً، بل لصالح استعمالها لمناداة البعيد تارةً، سواء كان بعده من حيث المسافة أو بعيداً في الحكم، وللقريب تارةً من باب التوكيد، كما أكد ذلك سيبويه بقوله: "فهو للبعيد إلا أنه يجوز نداء القريب بما للبعيد على سبيل التوكيد"⁽¹⁾، والمتأمل لسبب صلاحية استعمال (يا) للبعيد والقريب يرى كثرة استعمالها عند العرب، كما أن شيوعها يجيز حذفها، ولا يقدر المحذوف إلا بها، وهذه خصائص تكاد تكون (يا) فقط.

وقد وردت (يا) في مادة الدراسة من خُطب الجمعة على أربع حالات:

1. حاضرة الذكر، مثل: (يا باغي الخير أقبل)،⁽²⁾ و(يا ابن آدم)،⁽³⁾ و(يا عبد الله)،⁽⁴⁾ و(يا أمة الله)،⁽⁵⁾ و(يا من يريد محبة الله)،⁽⁶⁾ و(يا عباد الله)،⁽⁷⁾ و(يا عشاق القراءة)⁽⁸⁾.

(1) المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، ط1، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هـ/1992م، ص:354.

(2) خطبة 29 شعبان 1443 هجري.

(3) خطبة 6 رمضان 1443 هجري.

(4) خطبة 27 رمضان 1443 هجري.

(5) خطبة 26 شوال 1443 هجري.

(6) خطبة 2 ربيع الآخر 1444 هجري.

(7) خطبة 27 جمادى الآخرة 1444هـ/1444 هجري.

(8) خطبة 3 شعبان 1444 هجري.

2. مقترنة ب(أيها)، مثل: (يا أيها الذين آمنوا إن من الحوادث التي خلدها القرآن..الخ)،⁽¹⁾ و(يا أيها الإنسان)،⁽²⁾ و(يا أيها الشباب)،⁽³⁾ و(يا أيها المعلم)،⁽⁴⁾ و(يا أيها المؤمنون).⁽⁵⁾

ويعود سبب استعمال الخطيب ل(يا) في الحالات والأمثلة السابقة لأسباب منها:

أ. إنه في مقام خطبة فيحتاج أن يمدّ الصوت، فجاءت الألف في (يا) مناسبة لرفع الصوت ومدّه، وكأنه يعلم أن مستمعيه لا يقتصرون على الجمهور المتعلق حوله، وإنما هناك جموعٌ كثير يتربّون في يوم الجمعة من خلف الشاشات، والعديد من المهتمات من النساء ممن يسكنن قرب هذه الجوامع. فيرى أن مدّ الصوت لازم لأن البعيد لن يستجيب إلا من خلال مدّ هذا الصوت، وأن النداء عام موجه إلى كل من يدخل في دائرة الذين آمنوا، وكل باغٍ للخير، وكل بني آدم دون أن يجعل لهذه الدعوة حدودًا زمانية أو جغرافية. ورغم علمه أن الحضور في خطب الجمعة موجب على الرجال، إلا أنه يخص بالنداء النساء تارة كقوله: (يا أمة الله)،⁽⁶⁾ وجعلهنّ ضمن عامة المؤمنين في قوله: (يا أيها المؤمنون)،⁽⁷⁾ إذ النداء ب (يا) حقق استعماله للبعيد مسافة، أي البعد الحقيقي الذي يمثل بعد المسافة بالجسد والروح.

أيضًا، في خطابه للشباب (يا أيها الشباب)،⁽⁸⁾ أعلم الخطيب أن تلة كبيرة من الشباب لم تحضر، إلا أنه حريص على إقبالهم فمدّ الصوت هنا لعلمه أنه سيصلهم وإن كان من خلف الشاشات ولو بعد حين. كذلك بالنسبة للمعلمين عندما خصهم بالنداء وقال: (يا أيها المعلم)،⁽⁹⁾ جعل غياب حضورهم بمنزلة البعيد الذي يحتاج لمد الصوت حتى يستجيب. كما أن اقتران كل من الشباب والمعلم بـ (أيها) جاء من

(1) خطبة 8 شعبان 1443 هجري.

(2) خطبة 23 ذي الحجة 1443 هجري.

(3) خطبة 17 شعبان 1444 هجري.

(4) خطبة 15 صفر 1445 هجري.

(5) خطبة 6 ربيع الأول 1445 هجري.

(6) خطبة 26 شوال 1443 هجري.

(7) خطبة 6 ربيع الأول 1445 هجري.

(8) خطبة 17 شعبان 1444 هجري.

(9) خطبة 15 صفر 1445 هجري.

باب التأكيد لوجوب وصول الصوت لهذه الفئة لعلو منزلتهم وبقينه بدورهم التأثري في المجتمع. أما استعماله للبعيد حكماً بمعنى أنه جعله بعيداً لسهوه وغفلته، فاحتاج لمدّ الصوت بـ (يا) لشد انتباهه وإعادته من غفلته كما في قوله: (يا من يريد محبة الله)، هو يريد محبة الله ولكنه يبدو أنه في حالة غفلة فأراد أن يوقظه من هذه الغفلة. وأيضاً (يا باغي الخير)، يريد الخير لكنه ساهٍ يحتاج لمن يذكره. ويمكن أن نلمس لطف هذا الدين من خلال مشاركة المرأة في هذا النداء والخطاب لتأكيد أن النساء شقائق الرجال، يُراد لهن الأجر والخير في كل شيء وأنها مشاركات لهم بطريقة أو أخرى لكل خير، فالدين أعزهن وأحاطهن بلطف لا يمكن أن تلمسه الواحدة منهن إلا إن فهمت جوهر الدين، فبينما أنت في البيت معزة مكرمة يصلك النداء لكل خير، وهنا يمكن أن يتضح التلطف اللغوي في تقدير الغائبين والتأكيد بأهميتهم ووجوب وصول الصوت إليهم لمخاطبتهم بما يمكن أن يُوصل الخير لهم.

ب. أما استعمال الخطيب (يا) للقريب رغم وجوده المواجه والمباشر للمخاطبين ووجود مكبرات وعلمه اليقيني بوصول صوته إليهم، فيكمن في أن استعمالها يكون بمعنى حرصه البالغ على إقبال المُخاطَبين ورغبته الشديدة في التأكيد على لفت انتباههم وتوجيه تركيزهم إلى أمر مهم جداً، لا سيما عندما خاطبهم بـ (يا عبدالله)،⁽¹⁾ و(يا عباد الله)⁽²⁾ فهنا جاءت دلالة (يا) بمعنى التأكيد والطلب للأمر الذي يدعوهم إليه. وعادة ما يتجلى هذا الأمر في المواضيع التي يناديهم ليذكروهم بأصل خلقهم وهو العبادة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾⁽³⁾ والذاريات: ٥٦. ومواطن يدعوهم فيها للتقوى مثل قول الخطيب: (يا عباد الله: اتقوا الله تبارك وتعالى واعلموا أنكم في شهر عظيم)،⁽³⁾ فهنا أراد أن يؤكد لهم أهمية التزام التقوى، والتأكيد على روحانية شهر رمضان الذي يعينهم على تحقيق هذه التقوى قولاً وعملاً.

(1) خطبة 27 رمضان 1443 هجري.

(2) خطبة 27 جمادى الآخرة 1444 هجري.

(3) خطبة 16 رمضان 1444 هجري.

وقد ذكر السيوطي هذا في مواطن ذكره لاستعمال (يا) للقريب، وأنها تأتي لإظهار الحرص فقال: "إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو"،⁽¹⁾ ومما جاء صراحة في هذه الخطب لتأكيد هذا المعنى قول الخطيب: "توجه إلى الله يا عبد الله، وتوجهي إلى الله يا أمة الله، وسلوا الله من فضله"،⁽²⁾ فيمكن ملاحظة شدة الحرص عند الخطيب في توجيه لهم، وكيف جعل الخطاب بشكل منفرد ومخصوص، وكأنه يوجه كل فرد على حدة، ولم يقتصر الأمر على تفريد التوجيه، بل من شدة الحرص جعل خطاب الجنس الأنثوي منفصلاً أيضاً لإثبات حرصه وشدة اهتمامه. أيضاً من الأمثلة قوله: "يا عباد الله، إن المسلم العاقل ليجرص كل الحرص على تكوين عائلة لها بصمات في مجتمعها"،⁽³⁾ حريصاً على أن تكون لهم بصمات في مجتمعاتهم، بهذا تتضح مظاهر التلطف اللغوي في معاني الاهتمام بالمتلقي والحرص عليه.

أما عن اقتران حرف النداء (يا) بـ (أيها) مثل قول الخطيب: (يا أيها الإنسان)، و(يا أيها الآباء)، و(يا أيها المعلم)، فإن الاسم المبهم (أيها) يعلب دوراً مسانداً لحرف النداء وتوكيد معناه، ويمكن أن تحذف (يا) وتبقى (أيها) فقط. فأصل اقترانها بـ (يا) قد وضعه القرطبي في قوله: "وجاءوا بها عوضاً عن ياء أخرى، وإنما لم يأتوا بياء لئلا ينقطع الكلام".⁽⁴⁾ فـ (يا) لا تصل للمنادى المعرف بـ(ال)، فلا يمكن القول: (يا الإنسان، يا المعلم)، لذا تزداد (أي) ليبقى الكلام متصلاً⁽⁵⁾، إلا أن التركيب لا يستقيم مما يستدعي إضافة ياء أخرى لتصبح الجملة (يا أي يا الإنسان)، وتجنباً للتكرار والفصل الذي يعيد ذات المشكلة، تضاف هاء التنبيه لتصبح (يا أيها الإنسان)، فتكون الهاء للتنبيه وتحل محل النداء الثاني. ومنع الثقل، إذ لا يمكن أن يأتي الاسم المعرف بعد (يا) مباشرة، أيضاً من الناحية الصوتية لحاجة التركيب لمدّ الصوت ومساندة عمل (يا) لهذا الأمر. وعادة تأتي (أيها) في جملة النداء بمعنى التنبيه إلى من يهمله الأمر بصورة مخصوصة لترشده لأمر مهم منوط إليه، فنلاحظ في قوله: (يا أيها الذين آمنوا إن من الحوادث التي خلدها القرآن)،⁽⁶⁾ فخص هنا المؤمنين دون غيرهم

(1) الأوسي، قيس إسماعيل: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد، ص223.

(2) خطبة 26 شوال 1443 هجري.

(3) خطبة 7 شوال 1444 هجري.

(4) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هجري/2003م، ص225.

(5) السامرائي، فاضل صالح: كتاب معاني النحو، دار الفكر للطباعة، الأردن، ج4، ص329.

(6) خطبة 8 شعبان 1443 هجري.

لعلمه أنهم أهل القرآن وخاصته، وهم أدرى من عامة المسلمين بالحوادث المنكورة في القرآن، لذا خصهم. وفي قوله: يا أيها الآباء، لعلمه أن هذا الأمر يخص كل أب ألقيت على عاتقه مسؤولية تربية النشء. وفي: يا أيها المعلم، خص المعلم ليكون أول من يتأسى ويقتدي بالرسول، ليكون خير معلم وخير مربٍ.

3. وتأتي (يا) محذوفة مع بقاء (أيها) مثل: (أيها المؤمنون)،⁽¹⁾ و(أيها الموفق)،⁽²⁾ و(أيها المسافر)،⁽³⁾ و(أيها الشباب)،⁽⁴⁾ و(أيها المقتدي).⁽⁵⁾

4. حذف (يا) وتقديرها مثل: (عبادالله)،⁽⁶⁾ و(أهل الإيمان)،⁽⁷⁾ و(إخوة الإيمان)،⁽⁸⁾ و(معاشر المؤمنين)،⁽⁹⁾ و(أمة الإسلام).⁽¹⁰⁾

إن حذف "يا" "جائز عند علماء النحو"⁽¹¹⁾، لشيوع استعمالها ولتخفيف الكلام أيضًا، وقد حذفها الخطيب في مواقف كثيرة في هذه الخطب، محدّدًا حكمه على المخاطبين في ذهنه من حيث القرب والبعد، والانتباه والشروء. ففي كل موقف رأى منهم الانتباه والإقبال استغنى عنها، وفي كل موقف أراد جعلهم بمنزلة القريب العزيز ليدنيهم منه تطفًا بهم استغنى عنها أيضًا. وكما هو معلوم أن مقام النداء مقام قصد موجه إلى منادى معين، ولهذا السبب يأتي الحذف في حال استعمالها للمنادى القريب الذي لا يحتاج لرفع الصوت، بالإضافة إلى المعرف من الأعلام والمنادى المعرف مثل: (عباد الله، إخوة الإيمان، معاشر المؤمنين، أمة الإسلام) والمنادى بأبيها مثل: (أيها الناس، أيها الشباب، أيها الإنسان). ففي كل هذه المواضع تحذف "يا" ويستغنى عنها، ولا يقدر المحذوف بسواها.

(1) خطبة 12 صفر 1444 هجري.

(2) خطبة 5 ذي الحجة 1444 هجري.

(3) خطبة 12 ذي الحجة 1444 هجري.

(4) خطبة 17 شعبان 1444 هجري.

(5) خطبة 16 رمضان 1444 هجري.

(6) خطبة 4 جمادى الآخرة 1443 هجري.

(7) خطبة 27 رمضان 1443 هجري.

(8) خطبة 7 محرم 1444 هجري.

(9) خطبة 10 شعبان 1444 هجري.

(10) خطبة 15 جمادى الآخرة 1445 هجري.

(11) السامرائي، فاضل صالح: كتاب معاني النحو، ط1، دار الفكر، الأردن، 2000م، ج4، ص322.

1.3.6. أنواع الصفات التلطفية التي نادى بها الخطيب مخاطبيه

يعد المنادى أحد العناصر الأساسية في جملة النداء لما له من دور مهم وبارز فيها، وهو عنصر استبدالي أي أنه مجال واسع لتعدد صور المنادى وأشكاله؛ فقد "يأتي مفرداً، وقد يأتي مركباً، ويأتي هذا المفرد بصور عديدة مختلفة منها ما هو مفرد ومثنى وجمع"⁽¹⁾، ويأتي على هيئة أعلام وصفات.

المركب مضافاً وشبيهاً بالمضاف، هذا من الناحية التركيبية. أما من ناحية الإعراب، فيأتي فيها المفرد مبنياً على ما يرفع به، ويأتي المركب معرفاً منصوباً. لذا فمن الأهمية بمكان أن يكون الخطيب حريصاً على تخير الأسماء والصفات التي سيخاطب بها مستمعيه؛ لينجح عملية التواصل معهم، ويخلق فيهم التأثير. وبما أن النداء قائم على لفت الانتباه والاستدعاء؛ فالحري بالمنادي أن يتلطف في خطابه ليستدعي أسماعهم، ويستخدم الصفات الدافئة التي تعزز العلاقة مع المخاطبين، وتحفزهم على التفاعل مع المحتوى المطروح. وقد وجدت تنوعاً واضحاً في الصفات والأسماء التي استخدمها الخطيب في مادة الدراسة، وتنوعت بين الصفات المفردة والمركبة، وكانت العناية واضحة في انتقائها، ومخاطبة المستمعين بناءً على طبيعة المقام الذي هم فيه، وسأقسمها إلى صفات مفردة ومركبة:

1. الصفات المفردة: وهي ما ليست بمضاف ولا شبيهاً بالمضاف، وتأتي مبنية على ما ترفع به، وقد جاءت بعدة صور منها:

أ. مفرد معرف بـأل مثل: (أيها المسلم)⁽²⁾ وأيها المعلم⁽³⁾، وأيها المؤمن⁽⁴⁾، وأيها السائق⁽⁵⁾، وأيها المقتدي⁽⁶⁾، وأيها الحريص⁽⁷⁾، وأيها الموفق⁽⁸⁾، وأيها اللبيب⁽⁹⁾، وأيها الساعي⁽¹⁰⁾.

(1) السامرائي، ج 1، ص 70.

(2) خطبة 8 شعبان 1443 هجري.

(3) خطبة 15 صفر 1444 هجري.

(4) خطبة 26 صفر 1444 هجري.

(5) خطبة 24 شعبان 1444 هجري.

(6) خطبة 16 رمضان 1444 هجري.

(7) خطبة 16 رمضان 1444 هجري.

(8) خطبة 5 ذي الحجة 1444 هجري.

(9) خطبة 26 ذي الحجة 1444 هجري.

(10) خطبة 26 ذي الحجة 1444 هجري.

ب. جمع معرّف بأل مثل: (أيها المؤمنون،⁽¹⁾ وأيها المرّبون،⁽²⁾ وأيها الرّاجون،⁽³⁾ وأيها الأبياء والأمهات،⁽⁴⁾ وأيها الأخوة،⁽⁵⁾ وأيها المتقربون،⁽⁶⁾ وأيها الكرام،⁽⁷⁾ وأيها المسلمون،⁽⁸⁾ وأيها المصلون،⁽⁹⁾ وأيها الشباب).⁽¹⁰⁾

2. صفات مركبة: وهي ما جاءت على هيئة مضاف أو شبيهه بالمضاف وتأتي معربة منصوبة.

أ. مثل: (عباد الله،⁽¹¹⁾ وعباد الكريم،⁽¹²⁾ وعباد القوي العزيز،⁽¹³⁾ وأمة الإسلام،⁽¹⁴⁾ وباغي الخير،⁽¹⁵⁾

وابن آدم، - وإخوة الإيمان⁽¹⁶⁾ ومعشر الشباب⁽¹⁷⁾ وعشاق القراءة).⁽¹⁸⁾

إن المتأمل لهذا التنوع الواضح لأسماء وصفات المخاطبين يستطيع أن يتبين أن المقاصد كثيرة والأهداف متعددة حول هذا الاختيار في المخاطبة، حيث وجد الخطيب والقائمون على كتابة هذه الخطب أن هناك حاجة ملحة لتحقيق غرض الخطاب وأهداف الخطبة، لذا كان الحرص البالغ على انتقاء الكلمات وتحين الفرص في المناسبات على اختلاف أنواعها من دينية واجتماعية وتعليمية لغرس

(1) خطبة 4 جمادى الآخرة 1443 هجري.

(2) خطبة 8 شعبان 1443 هجري.

(3) خطبة 20 ربيع الأول 1443 هجري.

(4) خطبة 6 رمضان 1443 هجري.

(5) خطبة 17 محرم 1445 هجري.

(6) خطبة 16 رمضان 1444 هجري.

(7) خطبة 31 ربيع الأول 1445 هجري.

(8) خطبة 3 شعبان 1444 هجري.

(9) خطبة 3 شعبان 1444 هجري.

(10) خطبة 17 شعبان 1444 هجري.

(11) خطبة 22 شعبان 1443 هجري.

(12) خطبة 23 رمضان 1444 هجري.

(13) خطبة 30 رمضان 1444 هجري.

(14) خطبة 15 جمادى الآخرة 1445 هجري.

(15) خطبة 2 رمضان 1444 هجري.

(16) خطبة 7 محرم 1444 هجري.

(17) خطبة 17 شعبان 1444 هجري.

(18) خطبة 3 شعبان 1444 هجري.

القيم وزيادة الوعي وتصحيح المفاهيم وبذر الخير والتشجيع عليه بكل السبل المتاحة من خلال هذا المنبر الأسبوعي الذي يعمل كمنبه طبيعي بنهاية كل أسبوع، يوقظ النفوس من غفلتها وينبه الساهي والغافل ويحيي الضمائر ويُشعل جذوة الإيمان ويبني عقول النشء ويقيم قناعات الشباب وتوجهاتهم.

ب. اسم موصول مثل: (يا أيها الذين آمنوا،⁽¹⁾ ويا من يريد محبة الله).⁽²⁾

1.7.3.1. تجليات التلطف في أسلوب النداء وإحاطته بقضايا المجتمع.

إن خطبة الجمعة ليست مجرد قضية إيمانية وحسب، بل تمثل إحدى ركائز المواضيع الأساسية التي تشغل بال المسلمين لاختيار مادة مواضيعها، لأنها بوابة مستمرة مشرعة على الدوام باتجاه المجتمع، وتمثل فرصة لنشر الدين وتقوية الإيمان والتذكير بأمر مختلفة تخص الدنيا والآخرة، كما أنها تعزز التلاحم والتواصل الاجتماعي والروحاني، ولها دور واضح في تحفيز المشاركة لبناء المجتمع وتطويره والإحساس بالآخر والاتصال بالعالم واتخاذ الإجراءات المناسبة لبناء الحياة بشكل عام.

من هذا المنطلق، سأتثبت أن اختيار المواضيع لم يكن عشوائياً، بل وفق رؤية مدروسة تهدف لتحقيق أكبر هدف للخطب، وهو اتصالها بقضايا الحياة في مختلف الجوانب، واهتمامها بالإنسان كروح وجسد وفكر، وتراعي كونه فرداً من جانب، وبكونه جزءاً من بناء كبير في هذا المجتمع من جانب آخر، وهذا أكبر تجليات اللطف، فسعيها لبناء إنسان سوي في كافة جوانبه النفسية والعقلية والدينية والأخلاقية والاجتماعية يعد غاية الاهتمام وبالغ الترفق واللطف. وكيف سيساهم التلطف اللغوي في أسلوب النداء بتحقيق أهداف هذه الخطب؟ وما دور اختيار الصفات التلطفية في مناداة المخاطبين في إنجاح عملية التواصل؟ وسأقسم مواضيع هذه الخطب، حسب المواضيع التي عالجتها، إلى خمسة جوانب:

1.7.3.1.1. مواضيع الجانب الديني (الروحي):

يعد تأصيل القيم الدينية والروحية أمراً بالغ الأهمية، بل والهدف الأكبر الذي تسعى إليه خطب الجمعة، والذي يتمثل في نشر الوعي الديني والروحي وتعزيز الجانب الروحاني للأفراد في أي مجتمع،

(1) خطبة 18 جمادى الآخرة 1443 هجري.

(2) خطبة 2 ربيع الآخر 1444 هجري.

وخلق فرصة للتأمل والتأثير الإيجابي، وهذا مما يُسهم في تعزيز الاتصال بالله وتقوية الروح الدينية، فالنفوس البشرية جُبلت على اتباع هواها والركون إلى السهو واللهو، فتأتي خطب الجمعة كمنبه أسبوعي لتذكير الناس وتوجيههم نحو الحق والخير، ودفعهم عن مواطن المنكر والشر، فيتطلب هذا الأمر براعة من الخطيب والقائمين على كتابة الخطب لاختيار المواضيع الدينية والحيوية الهامة التي تلامس الجانب الروحي، بحيث تكون ذات صلة بواقع ما يشعر به الناس ويعيشونه، ولا بد أن يكون الخطيب على قدر من الوعي الكافي بأهمية تأصيل هذه القيم الروحية لتأخذ مجراها في الفرد كروح سوية، فتحفيز الناس على العمل النبيل والعطاء في سبيل الخير والتطوير المستمر للذات وتعزيز الفهم الصحيح للدين، ولا بد من تأصيل هذا الجانب في الجيل بشكل دقيق وفعال، لأن معالجة الجانب الديني في الحياة هو أساس كل صلاح، لذا يلجأ كثير من الناس إلى الجوامع نهاية كل أسبوع كمحطة استراحة تهون عليهم الثقل الروحي، وتكالب الحياة على أرواحهم، وكمن يبحث عن التوازن الذي يعيد لأرواحهم سكينتها، فاختيار عناوين الخطب والعناية بمضمونها بما يعزز إيمانهم ويبعث اليقين في أرواحهم له دور في تقويم الوعي وتصحيح القناعات حول الممارسات الدينية الصحيحة وفهم تعاليمها، مما يعينهم على مواجهة التحديات الروحية التي تواجههم في حياتهم اليومية، وعلى إثر ذلك تتبنى السلوكيات لتصبح جزءاً من حياة الفرد بأسلوب تلطفي مؤثر. ولو لم يكن حظ المرء من هذه الخطب في هذا الجانب غير الأمان الروحي الذي يعين على الحياة بسلام، وعاملاً للوصول إلى الجنة في الآخرة، لكفاه من تल्प عميق وكبير لا توفيه الشروح والأدبيات حقه.

وأهم المواضيع التي جاءت في هذا الجانب:

أ. خطبة بعنوان: "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"⁽¹⁾، فعنوانها كفيل بشرح مضمونها والذي تجلّي عن حقيقة أن القرآن ما جاء ليشفى به الإنسان، بل هو سر كل أمان وعافية واطمئنان، وقد استهل الخطيب فيها بعد أن ناداهم بالمؤمنين بقوله: (أيها المؤمنون: لا يمكن لإنسان في الوجود أن يحيا من غير روح، والقرآن هو الروح)، فلا ريب أن القرآن حياة القلوب، يزكو في ظله الإنسان،

(1) 22 شعبان 1443 هجري.

وتتمو بذاته الفضائل، وينير له عقله، ولا مجال لشيء من الأمراض النفسية كالاكتئاب واليأس والقنوط والجزع في نفس يسكنها القرآن وغذيت بآياته. فنجد هنا أنه ناداهم بصفة الإيمان تيمناً بهم أنهم سيكونون كذلك، فلا يأخذ بزمام القرآن كدستور حياة تلاوة وتطبيقاً إلا مؤمن صادق. ثم أعاد لهم النداء بقوله: (يا أيها الذين آمنوا: عجباً لأمر إنسان ليس له حظ من القرآن)، متلطفاً في خطابه للذين كان لهم حظ من الإيمان ولكن لا يلتزم بورده القرآني، فلم يلجأ بعد النداء إلى الزجر أو التقرع رغم تخليهم عن وردهم، بل اختار التعجب من صنيعهم ليفتح لهم باب الرجوع للنفس ليكون المحاسب لنفسه بنفسه، فيختار لنفسه ما يصلحها بعد أن بين فارق الحياة عند المرء مع القرآن وبدونه. والمتأمل لهذا الأسلوب يجد حضوراً لقاعدة التخيّر عند روبين لأكوف التي تدور فكرتها "حول جعل المخاطب يتخذ قراره بنفسه دون أن يكره أو يلزم لفعل شيء من باب التلطف والتأدب معه، لذا نجد أن الخطيب تجنب أسلوب التقرير ولجأ لأسلوب التعجب لعلمه أنه الأكثر تأثيراً وأدل على الإلزام"⁽¹⁾ كما نلاحظ أيضاً أنه في النداء الأول وصفهم بـ (المؤمنين) وهي صفة لازمة ثابتة، أما في النداء الثاني فقال: (الذين آمنوا) فالإيمان ما زال فعلاً في (آمنوا) لم يصل إلى مرحلة الثبات، وهذا يدل على أن إيمانهم ما زال فيه شيء من الغفلة، فالذين آمنوا تدخل في عموم الإيمان أما المؤمنون فتدل على خصوصه، والسبب أنهم تركوا وردهم، ورغم ذلك فالتلطف في خطابهم قائم لأنه عرفهم بأفضل صفاتهم وهي الإيمان، وجاء الاستنكار من ترك الورد بالتعجب لا بالزجر والقمع مع تذكيرهم بخصلة الإيمان ليقوموها ويصلحوها فيصلون بها إلى صفة الإيمان الثابتة. ثم قال: (عباد الله، إن القرآن يجب أن يكون حاضراً مع الإنسان في تفاصيل حياته كلها)، يمكن أن نلخص التلطف في اختيار صفة (عباد الله) في هذا السياق دون غيرها من الصفات لإشعارهم بأن الجميع في حاجة ماسة لحضور القرآن في تفاصيل حياتهم دون استثناء، مؤكداً حاجة (الإنسان) لهذه الكفاية الروحية ليعيش سويًا سعيدًا، فلا معنى لإنسانية البشر الخاوية أرواحهم من القرآن. كما أن استعمال التركيب

(1) كاده، ليلي: الاستلزام الحوارية في الدرس اللساني الحديث: طه عبدالرحمن أنموذجاً، مجلة الممارسات اللغوية، ع21، ص194-169، 2014م، ص174.

(عباد الله)، يحقق لطفًا لغويًا من خلال أن كلمة (عباد) فيها تنكيرًا لطيفًا بأصل خلقهم وهو (عبادة الله) مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ الذاريات: ٥٦، كما أن النفس البشرية المؤمنة عندما تستشعر أصل خلقها ومرجعها لله العظيم، هذا مما يبعث الأمن والإيجابية فيها، كما يعكس اللفظ علاقة الأصل البشري بخالقه؛ حيث يتعامل المؤمن مع الله كحبيب وقريب يلجأ إليه، فكل من له صلة بالله يكتسب التكريم والتشريف، كما أن الدعوة لحمل القرآن وتمثله تخص كل عابد لله، فـ (عباد الله) أنسب من غيرها في هذا السياق، وكل هذه المعاني جاءت على سبيل التلطف.

ب. خطبة بعنوان: (نحن نرزقكم)،⁽¹⁾ جاء فيها ضمان الله لعباده بالرزق، وتكاد هذه المسألة تكون في أول سلم عناء الناس وشقاء نفوسهم، فمسألة حصول الرزق من أكثر ما يشغل قلوب الناس وعقولهم. وضيق رزق أحدهم قادر على أن يحول حياته إلى أتعس حياة وأسوء حال، هذا بالنسبة للخالية قلوبهم من الإيمان واليقين، أما من أحسن ترويض نفسه بالإيمان واليقين الجازم بأن الأرزاق بيد الله الرزاق، وأنه ليس للإنسان إلا ما سعى، هنا يجد الطمأنينة والتسليم والرضا. فالعنوان بحد ذاته جرعة من اللطف، فيه من الضمانة التي تدعو إلى الرضا والتسليم، وبدأ بالنداء العام مستفتيًا بـ "اتقوا الله - عباد الله - فمن اتقى يسره الله ليسرى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ الطلاق: ٤، فالخطيب رغم أنه حدد لهم مفتاح السير لهذا الرزق وهو التقوى، إلا أنه أراد لخبره هذا التأكيد فأسنده بدليل الآية المتقدمة، بمعنى: لا تسمح لضيق العيش أن يقودك للطرق الملتوية لبلوغ الرزق، فالله الضامن لرزقك ما سعيت، فكن تقيًا. وقد جاء الخطيب بالدليل حتى تكون مساهمته بهذا الخبر صادقة، فقد جاء عند غرايس. "لتكن مساهمتك في الموضوع صادقة"⁽²⁾ لأن غرايس يرى أن معيار الصدق يتضح بوجود الحجج والبراهين، وهذا مما يدعو إلى

(1) 6 جمادى الآخرة 1444 هجري.

(2) البلداوي، جنان سالم: فلسفة اللغة عند بول غريس محاولة جديدة لقراءة مقالة (المنطق والمحادثه)، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، ع92، 2022م، جامعة الإمام جعفر الصادق، كلية الآداب، ص289.

قبوله في نفس المتلقي دون تردد. وحرص الخطيب على برهنة وعظه وتوجهاته بالأدلة يُعد من قبيل الذوق والتلطف بنفس المتلقي. وفي قوله: "أيها المؤمنون: تدبروا قول ربكم. وفي قوله: "أيها المؤمنون: تدبروا قول ربكم: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الزخرف: ٣٢، طمأنة وزيادة وعي يبعث على الراحة والرضا، فالأرزاق لا تقتصر على المال، فالصحة والعلم والجاه والقوة كلها أرزاق، ومن قُتِرَ عليه في جانب وُسِّعَ له في جوانب أخرى، وهذا مؤكد، وحكمة الله في خلقه اقتضت التفاوت في الأرزاق ليكون بعضهم مسخرًا لبعض، فلا يستغني مخلوق بنفسه، فحاجة النفوس البشرية لبعضها تستدعي التعامل والتآخي والتراحم، وهذا أحد مظاهر لطف الله بالعباد، فالله لطيف يرزق من يشاء. فإذا عاش المرء بهذه القناعات النفسية الإيمانية رضي بما لديه تاركًا الحسد والطمع بما في يد غيره، وهذا غاية اللطف.

ج. خطبة بعنوان: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)،⁽¹⁾ تضمّن هذا العنوان رسالة عظيمة مفادها أن التقوى الخالصة واستشعار معية الله سر من أسرار الكفاية والرضا، والله في محكم كتابه يقول: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحجّية: ١٩، وهي بمثابة دعوة إلى الأخذ بزمام التفاضل مهما اشتدت الخطوب، فمن كان الله وليه لن يسلمه ولن يخذله، والشدائد في الحياة مسلم بها، ولا تخلو حياة أمرئ منها، فقد جُبلت الحياة على المنغصات والشقاء. والصبر والتعامل الإيجابي مع هذه العوارض مقياس تتمايز فيه النفوس العظيمة من الخاوية الهشة، والله إذا أحب عبدًا ساق له جملة من الاختبارات والابتلاءات ليمحص النفوس ويطهرها، وبها تتكشف معادن الإيمان ودرجاته والله يقول: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ العنكبوت: ٢، الأنبياء والأتقياء أكثر من ابتلي، وكانوا ممن مستهم البأساء والضراء، فكانوا أكثر من واجهوا ابتلاءاتهم باليقين والرضا والتسليم والصبر، فلم يجعلوا للقنوط سبيلًا إلى نفوسهم المكتنزة بالإيمان واليقين، فكان الوصول إلى بر النجاة والنصرة والتيسير جزاء لهم. فإذا عاش الإنسان بوعي أن البلاء رحمة تقبل وعاش برضى، وهذه غاية اللطف. وناداهم بالمؤمنين كصفة

(1) خطبة 30 ذي الحجة 1443 هجري.

لازمة لمن يصل إلى هذه المرحلة من الإيمان واليقين في مواجهة الابتلاءات، فلا يصبر ويرضى بالبلاء إلا مؤمن. وهذا التوجيه والفلسفة في التربية النفسية هي النقطة الفارقة بيننا كمسلمين والأديان الأخرى ممن شاعت فيهم الأمراض النفسية التي تؤول بأكثرهم إلى الانتحار، أو المصحات النفسية والعقلية، فما أعظمه من لطف توعوي وما أعظمه من دين يراعي فينا التفاصيل المعنوية بلطف. بهذا نستطيع أن نتبين قواعد التأدب الأقصى عند ليتش الذي جاء فيه تكثير الريح للمخاطب "أكثر من ربح الغير"⁽¹⁾، فالمؤمن في هذا الموقف لا تُعد بلاءاته خسارة بل ربح محض، فهو بهذا البلاء مأجور ومطهر ومرفوع الدرجة عند الله، والرضا والتسليم سيهون عليه الأمر مهما اشتد البلاء، وفي كلا الحالات الأمر سيمضي فيكون قد نال صحة نفسه واغتم أجر صبره الذي وعد الله به الصابرين ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠، وفي خطبة: "بادروا بالأعمال الصالحة"⁽²⁾، تمثل لطفه في زيادة الوعي عند الناس بحقيقة أن العطاء والخير والإحسان وكل عمل صالح من شأنه أن يبعث في النفوس الراحة والانشراح، مما يجعلها آمنة مطمئنة، وهذا أكبر أسرار الانشراح والشعور بالسعادة. وجاء النداء فيها بـ (ابن آدم) وكأنه يوجه دعوته لكل واحد منهم فرداً فرداً على سبيل الاهتمام والتفرق بهم، واختار هذا النداء بالذات لأن الأمر الذي يناديهم إليه متعلق بالوعظ والنصح والإرشاد للمبادرة للأعمال الصالحة وعدم الركون لتضليل الشيطان، فالنداء بـ (ابن آدم) هنا يحمل أيضاً معنى الاستنهاض وإثارة الحمية ليظل الإنسان منتبهاً ومتذكراً لقضية أبيه الكبرى التي أخرجته من الجنة، وغاية هذا التوجيه هي العناية واللفظ وحماية هذا الإنسان من الخطأ وإكسابه الغنائم الروحية اللامحدودة التي سيجنيها من الأعمال الصالحة.

وفي خطبة "ولا يشقى"،⁽³⁾ ناداهم فيها بالمؤمنين وعباد الله، وأرشدهم إلى أن الله خلقهم ليسعدهم لا ليشقيهم، وأن طريق الله هو طريق السعادة والنجاة، وما سلكه سالك إلا نجا. واللفظ في هذه

(1) كادة، ص 13.

(2) خطبة 6 رمضان 1443 هجري.

(3) خطبة 16 ربيع الآخر 1444 هجري.

الخطب يتجلى في لين القول بما يستعطف المخاطبين ويستميلهم ويؤنس قلوبهم وعقولهم، وهذا متجلى في أسلوب الخطيب في طريقة وعظه وانتقائه للمفردات والتراكيب، فالبلاغة - كما يقول محمد بن علي -: "قول مفقه في لطف"،⁽¹⁾ أي تتمثل بلاغة المتحدث في إفهام المتلقي وإصال الرسالة إليه بلطف، واللطف من الكلام ما تُعطفُ به القلوب النافرة. ومما جاء في كتاب الصناعتين أيضًا "أن من آلة البلاغة كما يرى حكيم الهند: (تخير اللفظ). وقال في التعامل مع اللغة: (ويُصَفِّيها كل التصفية، ويهذبها كل التهذيب). أما عن اللفظ فقال: (يكون اللفظ مُونِقًا، ومعناه نَيْرًا واضحًا). وقد جاء في خطبة داود بن علي في سياق وصف الألفاظ المستعملة: (فتخير منه ما حَلُو وَعَدْب، ونطرح منه ما املَّوَح وَحَبِثُ)."⁽²⁾ المتأمل يجد أن التلطف حاضر في هذا الجانب من حيث: عناية الدين بالروح البشرية تطفًا، والسعي لتحقيق الأهداف التي تسعى لبناء إنسان مستقيم دينيًا ومرتز روحياً تطفًا، ومخاطبة المخاطبين بأحسن صفاتهم تطفًا، والتودد إليهم في الإرشاد لتحقيق نجاتهم وسعادتهم تطفًا. وكما يرى جوفري ليتش أن من قواعد التأدب الأقصى "الإكثار من الكلام المؤدب"⁽³⁾ وتكثير الريح للآخر تطف، وما أكثر أرباح المؤمن في هذا الجانب.

2.7.3.1. مواضيع الجانب الأخلاقي:

الجانب الأخلاقي لا يقل أهمية عن الجانب الروحي، فجاءت عناية خطب الجمعة به لضمان بناء الأفراد أخلاقياً، لذا عنيت بنقل الرسائل والتوجيهات الأخلاقية لدفع الناس نحو الأخلاق الفاضلة ونبذ كل ما يخرج عن إطار الأدب والحشمة، ويأتي هنا دور الخطيب في إنجاح دور الخطبة في رفع الوعي الأخلاقي وتعزيز القيم الأخلاقية الحميدة المرغوبة باستعمال التلطف في أسلوب النداء واعتماد ظاهرة التلطف. "كظاهرة لغوية اجتماعية"⁽⁴⁾ كما جاء عند دي سوسير في دراسة اللغة أنها اجتماعية في جوهرها، وجاء عند آخرين كدور فردي، وهذا عندما تتدخل القصديّة التي كلما ظهرت في الخطاب

(1) العسكري، أبي هلال الحسن بن عبدالله: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار أحياء الكتب العربية، 1371/1952م، ص51.

(2) المصدر نفسه، ص19-22.

(3) كادة، ص13.

(4) حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، مكتبة انجلو المصرية مطبعة الرسالة، القاهرة، 1955م، ص32.

بدت الحياة أكثر أمانًا وسلامًا، وتوجيه السلوك وضبط التصرفات كلها يأتي بقصد، وذلك لينعم المجتمع ببيئة أخلاقية راقية. ومن الجدير بالذكر أن خلق مثل هذه القيم النبيلة وبناء الأخلاق الفاضلة في المجتمع يتطلب مرجعيات شرعية ثابتة بالاستناد إلى القرآن والسنة، والرجوع إلى المدرسة المحمدية التي ربّى أصحابه وأهل زمانه فيها على خلق القرآن أصل كل نزاهة ومنبع كل رقي. لذا فإن التعامل مع القضايا الأخلاقية ليس اعتباطيًا، ولا بد أن يستعين كل من له دور في هذه المسؤولية الكبيرة بآراء العلماء المعاصرين والاطلاع على كل مستجدات العالم والانفتاح على العالم الآخر حتى يستطيع أن يواكب هذا البون الشاسع في التفكير والتطلعات، ويكون قادرًا على جعل حديثه مقبولًا وذا تأثير إيجابي في نفوس المخاطبين. ويتمثل دور الخطيب في تنمية الوعي الأخلاقي وتسليط الضوء على القيم والأخلاق التي تعتمدها الشريعة الإسلامية، وتحت على اتباعها في الحياة اليومية في ظل التطور والانفتاح، فالجيل بأمس الحاجة لفهم ما يجري من حوله ومعرفة الأحكام الدينية والأخلاقية المتعلقة بهذه المستجدات ورأي الشرع بها.

ومن أهم المواضيع التي جاءت في هذا الجانب:

أ. خطبة بعنوان: (إشراقات في سبيل اكتساب الأخلاق)،⁽¹⁾ جاء فيها: (اعلموا يا عباد الله أنه ما تقرب الإنسان بشيء إلى الله كتقربه بحسن الخلق)، فحسن الخلق من أجل الصفات التي امتدح الله بها نبيه في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ القلم: ٤، فقد كان الحبيب المصطفى أزكى الناس وأرفعهم خلقًا، كان رحيماً حليماً أميناً صادقاً، وبرحمته كان سبباً لقرب الناس إليه، فالله يقول: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّيْتَ لَهُمْ﴾ آل عمران: ١٥٩، ثم دعاه الله إلى جملة من هذه الأخلاق للتعامل مع الناس في الدعوة، وهي العفو والاستغفار لهم ومشورتهم في الأمر، وهذا من الأسس الدينية التي تدعو الداعية إلى التزام اللطف واللين في الوعظ، ومما ورد عنه في السنة أن أقرب الناس مجلساً منه يوم

(1) 6 ربيع الأول 1445 هجري.

القيامة أحسنهم أخلاقًا، كما روي عنه عليه السلام أن سأل ثلاثًا: "ألا أحدثكم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟ قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: "أحسنكم أخلاقًا".⁽¹⁾

فالأصل في الذوق هو الإدراك الحسي، لذا فالمخاطب يستشعر لطف الحديث من وقع الكلمة وروعها من لسان المخاطب ودمائه أخلاقه، فيستسيغ لطف الوعظ ويحسن استقباله، واللطف في الأخلاق والقيم ينعكس لا شعوريًا في لغة صاحبها ومفرداته، ولا يحسنه متكلف، فالتلطف نابع من صاحب الخلق والذوق ومتشعب القيم، ويتجسد هذا المعنى في خلق النبي وطريقة تعامله. أما التلطف اللغوي في الخطب فناتج عن توجه عميق وقصد هادف، سره تحقيق أهداف الخطبة، فيبذل قصارى جهده مقتديًا في ذلك بنبيه متمثلًا بتوجيهات دينه، فنلاحظ أنه في الوقت الذي يحدثهم فيه عن حسن الخلق يتمثل محاسن الأخلاق، فيناديهم متوددًا بالإخوة قائلاً: (أيها الإخوة المؤمنون: إن لاكتساب حسن الخلق وسائل من سلكها نجح ومن سار على طريقها استقام وأفلح)⁽²⁾ وعدد لهم هذه الوسائل متمثلة في غرس الإيمان في القلب، فمن صدق إيمانه زكت أخلاقه، وأمن الناس شره لإدراكه مغبة فعله وليقينه أننا إلى الله راجعون، فالله لا تخفى عليه خافية فيتقي الله في الخلق ويحسن إليهم ولا يؤذيهم. وأيضًا تكتسب الأخلاق بالمحافظة على العبادات، فمن لزمها على تمامها كانت له حرزًا من سوء الخلق، ومصدق ذلك قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥، وفي قوله: (يا عباد الله: إن من وسائل الإعانة على حسن الخلق مصاحبة الأخيار) دعوة إلى ضرورة انتقاء الصحبة والحذر ممن يؤثرون سلبيًا على القيم والمبادئ، فالصاحب صاحب، والبيئة السيئة موطن لمساوي الأخلاق وانحطاط القيم، كما أن نزول الخطيب إلى مستوى المخاطبين وإلزام نفسه بالأمر معهم يعد لطفًا، وحرصه على تركيتهم بالأخلاق لطفًا، إذ قال: (عباد الله: ولنكن من أولى الأخلاق الحسنة لننال كل أجر وفضيلة). وكان مسار حديثه معهم كله ترفًا ولينًا، لم يستعمل لغة الزجر والتهديد والوعيد، بل حبيبهم إلى حسن الخلق ورجبهم فيه، وسرد لهم المنافع التي

(1) ابن حنبل، ج 11، ص 609.

(2) 6 ربيع الأول 1445 هجري.

يمكن أن تتأتى وتحقق من هذه الأخلاق كبلوغ الفضيلة، فاللطف متحقق من استعمال الخطيب التقدير والاحترام، وتجنب الغلظة والفظاظة اللغوية، واستبدالها باللطف واللين.

ب. وخطبة بعنوان: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)،⁽¹⁾ خصّ الخطيب في حديثه خلق الأمانة، وهي صفة لازمة للأنبياء والأصفياء، فأرقى ما يكون عليه المرء من أخلاق أن يتأسى بأخلاق الأنبياء فيكون أميناً. كما أن الله في سورة المؤمنون عندما ذكر صفات المؤمنين كانت الأمانة من بينها، قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ الْمُؤْمِنُونَ: ٨، ومن المعلوم أن خلق الأمانة لا يقتصر على حفظ الشيء ورده من غير نقصان، بل إن الأمانة خلق تربوي ديني يدخل في تفاصيل الحياة كلها: في النفس والبدن، والأخذ والعطاء، في القول والفعل، في التفاصيل التي لا يعلم أمانة المرء فيها غير الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فحري بالمرء أن يكون وصياً على نفسه في هذا الخلق الرفيع.

ج. وفي خطبة: (الحياء لا يأتي إلا بخير)⁽²⁾ كان خُلقُ الحياء محور الحديث فيها وأهم ركائزها، كونه خُلُقاً عظيماً، وأصل وجوده في النفس البشرية يُعدُّ شعبة من الإيمان، وهو من الصفات القلبية الفطرية التي فطر الله عليها عباده؛ ليكون كمحرك يردعهم عن القبائح والانتكاسات، ويحركهم نحو خصال الفضائل والكمال. دعا أن تكون صفة الحياء صفة ملازمة للمرء ذكراً كان أم أنثى، وقال في هذا السياق: (والحياء عباد الله يكون من الرجل ومن المرأة، وإذا كان الحياء من المرأة زينة فإن منه للرجال كمال)، فلفظ الخطيب في الطرح يجعل المتلقي سواءً ذكراً أو أنثى يسعى للتخلق بهذا الخلق عن رغبة وقناعة متجنباً أسلوب الإكراه والزجر، ومحبباً وداعياً باللطف ولين القول. وفعلا كما جاء في العنوان أن الحياء لا يأتي إلا بخير، فقد جسد الخطيب هذا المعنى بأسلوبه ورقي ذوقه في الخطاب والطرح، واستحى أن يكون أسلوبه مبنياً على الإلزام والإكراه والزجر فينفرهم. كما أن استثناء إتيان الخير به لطف ومدعاة للاستجابة، وقد استعمل الاستلزام الحوارية في تصوير الحياء بهيئة لطيفة فجعلته ككائن يجلب الخير أينما حل، فالحضور من لوازم الكائنات، ونجد الخطيب قد اختار توضيح

(1) خطبة 28 محرم 1444 هجري.

(2) خطبة 1 جمادى الأولى 1444 هجري.

قيمة هذا الخلق الرفيع وأثره في نفوس المؤمنين بصورة رائعة محببة للنفس مقترنة بالخير. كما أن

تصويره الحياء في أخلاقهم كالزينة والكمال من أبلغ اللطف، فمن ذا الذي لا يستجيب بعد هذا؟

د. وفي خطبة: (كن سفير أخلاق في سفرك)،⁽¹⁾ جاءت دعوته للناس أن تكون أخلاقهم سفيراً لهم، تدل

عليهم في حلهم وترحالهم، وأن تجسد حركاتهم وسكناتهم. وخلاصة ما جاء فيها: أراد للمسلم في أسفاره

أن يكون آية في حسن الخلق والذوق، حتى يأسر بأخلاقه وفكره ومبادئه وقيمه وحسن تعامله كل من

يراه أو يتعامل معه، فتكون هذه الأخلاق والقيم واجهة الإسلام، ففعل الله أن يهدي به نفساً تلمس رقي

الدين من أخلاقه، فيكون بذلك سفيراً للإسلام. وفي قوله: (إخوة الإيمان: أخاف ما يخاف على المسافر

غفلته عن ذكر الله وعن الصلاة) يتجلى في خطابه الحرص على المخاطبين والخوف عليهم من

الغفلة، وهذا غاية اللطف، فقد قام مقام الوصي الرحيم عليهم وجعلهم إخوة له في الدين.

1.3.7.3. مواضع الجانب العلمي والثقافي (العقلي):

من المعلوم أن قيام الأمم وسر تقدمها يكمن في عقول أفرادها، فالعلم والثقافة هما محركا

التقدم والرقي في المجتمعات، وحجر الأساس في بناء الأمم المتحضرة القائمة على أسس ثقافية

راسخة. وخطب الجمعة إحدى البوابات الأساسية في المجتمعات المسلمة التي تسهم في نشر الوعي

بأهمية التعلم والتنقيف، وتعزز سياسات نشر العلم وتطويره، وتعمل على نقل الخبرات والمعارف بين

الأجيال المتعاقبة، فتدعو إلى التفكير النقدي والابتكار ونشر الوعي، وتستثمر المناسبات الثقافية

ومواسم فتح المدارس والمعاهد لتكثيف سياسة الوعي بأهمية تعلم العلم والاهتمام بالثقافة لأثرهما على

تقدم المجتمع وازدهاره.

كما تدعو إلى احترام العلماء والمعلمين والاستفادة من معارفهم في تطوير المجتمع وبناء

شخصية الفرد، فجدير بالخطباء الاعتناء بالخطبة لتكون مناسبة للأوضاع الراهنة والتغيرات المتسارعة،

وتحترم تنوع الجماهير واحتياجاتها، فتظهر تقديراً للفنون والثقافات المختلفة، وتشجع على التعلم

المستمر والاستزادة من المعرفة والتاريخ الثقافي للأمة.

(1) خطبة 12 ذي الحجة 1444 هجري.

ومن أهم المواضيع التي جاءت في هذا الجانب خطبة بعنوان: "العلم والتقى سبيلان لصلاح العمل"،⁽¹⁾ جاء فيها الوعظ بضرورة إعمار الحياة بالعلم والتقى وأنهما زاد المؤمن لكل خير، ومما قاله الخطيب منادياً مخاطبيه: (أيها المؤمنون: إن عمل المؤمن لا بد أن تتحقق به أمور حتى يوصف بالصلاح ويكتب له عند الله القبول، ومن هذه الأمور العلم)⁽²⁾.

فهنا تتضح قاعدة التودد التي أشار إليها لايكوف، ومفادها: "تظهر الود للمخاطب"،⁽³⁾ وقد أظهره بوصفه إياهم بالمؤمنين. وقاعدة التخيير: "تجعل مخاطبك يتخذ قراراته بنفسه"،⁽⁴⁾ فنلاحظ كيف عرض الأمر عليهم تاركاً للمخاطبين مبادرة اتخاذ القرار بأنفسهم، إذ جعل عمل المؤمن الصالح مقترناً بالعلم، وهذا يجعل العلم وطلبه مطلباً شرعياً ودينياً دون أن يطلب منهم أمراً مباشراً لتحصيله. وخاطبهم بـ (المخلصين) في موضع آخر من هذه الخطبة لأنه يأمل أن يتمثلوا صفة الإخلاص في الإقبال إلى الله للوصول إلى درجة التقوى، وهذا لا يتأتى إلا بالعلم الصحيح النافع، فالأمر بمثابة حلقة موصولة ببعضها ولا انفصام بين العبادة والعلم النافع، فكلاهما معين لكمال الآخر للوصول إلى الله. ومن الواضح أن التلطف اللغوي يتجلى في الاهتمام بهذه العقول لتسمو، فجعل من الذوق ولين الخطاب سبيلاً لندائهم بأفضل صفاتهم، وبوابة العبور لقلوبهم قبل عقولهم. كما أننا نلمس ظهوراً لمبدأ ليتش الذي يقتضي تنظيم التواصل في قاعدة اللباقة عن طريق تكثير ربح الغير، فقاعدة اللباقة لديه تنص على: "أكثر من ربح الغير"،⁽⁵⁾ فطلب العلم أصبح له أرباح وفوائد لا حصر لها كونه مطلباً دينياً يعين على الوصول الصحيح إلى الله، وكونه بوابة للرقى والتقدم وبلوغ الأهداف وتحقيق الغايات ورفي المجتمعات. بهذا نجد أن الخطيب سخر التلطف اللغوي والتأدب ليكون لوعظه وقع مقبول تألفه الأسماع وتستسيغه الأذان ويقبله المخاطب قناعة وتطبيقاً، وبهذا يكون الخطيب قادراً على تحقيق أهداف خطبته بجدارة.

(1) خطبة 1 صفر 1445 هجري.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه، ص 8.

(4) المرجع نفسه، ص 8.

(5) المرجع نفسه، ص 13.

أ. خطبة بعنوان: "القراءة طريق الوعي"،⁽¹⁾ جاء فيها: (أيها المسلمون: إن من يتأمل المجتمعات ليجد من أسباب رقيها وازدهارها انتشار ظاهرة اقتناء الكتب النافعة). وجاء النداء هنا بصفة الإسلام إشارة إلى أن هذه الدعوة عامة لعموم المسلمين، الكبير فيهم والصغير، لاقتناء الكتب والقراءة الجادة التي تبني جسورًا من العقول الواعية في مجتمعاتها. وأراد أن يجعل نداءه أكثر لطفًا وخصوصية، يستثير بها شغف محبي الكتب ويستنهض بها همة الجيل الصاعد، فناداهم بـ (يا عشاق القراءة). واختار كلمة عشاق لأنها درجة أكبر في التعلق والإقبال من الحب، وقالها بصيغة الجمع لأنه لا يريد فردًا أو اثنين أو قلة ممن يملكون هذا الشغف بالقراءة، بل أرادها أن تكون طبيعة متأصلة تجري في دماء الجيل ككل، يقبلون على الكتب وينكبون عليها ويستزيدون من خيرها بنهم لا يكون ولا يملون. وهذا هو إقبال العشاق وهذا هو الأثر المطلوب تحقيقه، ولعلمه أن النفوس ميول واتجاهات. قال في موضع آخر: (عباد الله: لا بأس أن يستشير المرء غيره في الكتب النافعة في كل فن)، فلم يحصرهم في نوع معين من الكتب، بل رأى بعين البصير العارف والحكيم الموجه أن المجتمع بحاجة لعقول صانعة بانية في كل فن وفي كل مجال، وسينبغ العشاق كلٌّ في مجال ميوله واختصاصه. وقال على سبيل التأكيد وقيل أن يختم: (أيها المصلون: اجعلوا هدف القراءة الوصول إلى الحق والبحث عن الصواب)، وناداهم بالمصلين إشادة بحرصهم وتلطفًا بهم وإشارة إلى أن الخطاب يخص جميع المصلين ولا استثناء ولا غنى لأحد منهم عن القراءة، وبالتحديد القراءة الهادفة، والتي تعين على الوصول إلى الحق والصواب. فيتجلى في الخطاب نوع من الحرص والاهتمام والصدق في التوجه للقراءة الهادفة بطريقة فيها نوع من الإغراء والتحفيز، وكل هذا من قبل التلطف بهم ومن القواعد المنفرعة عن مبدأ الصدق في الجانب التبليغي كما تحدث عنها طه عبد الرحمن: (أن يكون للكلام داع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر)،⁽²⁾ ونجد هنا كمية النفع الذي يحاول الخطيب أن يدعو إليه من خلال القراءة الهادفة والمرشدة إلى الحق والصواب.

(1) خطبة 3 شعبان 1444 هجري.

(2) كاده، ص 184.

ومن العناوين في هذا الجانب أيضًا: "العلم زين لأهله في الدنيا والآخرة"،⁽¹⁾ جاءت أيضًا تدعو لتحصيل العلم وتشيد بفضله، وقد هنأت عودة الطلبة إلى المدارس وسمتها رياض العلم دلالة على فضلها والإشادة بمكارم قدر هذه الأماكن في الرقي بالإنسان وإعلاء شأنه، وتلطفت بالألفاظ وأحسنت المسميات تطفًا وتحببًا، فجعلت العلم جمالًا يكسو أهله وفوائد العلم ثمارًا يقطفونها، ورغبتهم وحببتهم في العلم وأحسنت توظيف اللغة والبلاغة بلطف واضح تجلى في انتقاء المفردات وحسن التراكيب؛ لتحافظ على التفاعل الإيجابي في مثل هذا الموضوع المهم دون مبالغة أو تكلف، مكيفة إنتاجها اللغوي لتحقيق أهداف وعظها.

وفي خطبة "العلم خلق وفضيلة"،⁽²⁾ دعا الآباء والأمهات قائلًا: (أيها الآباء والأمهات: اجلسوا إلى أولادكم واسألوهم عن أحوالهم في مدارسهم وكلياتهم وجامعاتهم)، وهنا تتجلى غاية التأدب واللطف، فالجلوس إليهم وتفقد أحوالهم من سبل الاهتمام التي تحسن الجوانب الأخلاقية والنفسية عند الطلبة وتشعرهم بالأمان النفسي الذي يعينهم على التقدم الدراسي، لاسيما في هذه المرحلة العمرية وما يمر بها الإنسان من تغيرات وتقلبات هرمونية يحتاج فيها البالغ إلى معين ومرشد حتى لا يكون عرضة للمؤثرات الخارجية، وأرشدتهم إلى ضرورة تحسس الأخلاق وتزكيتها لأنه يرى أن التزكية قبل المعرفة. ولا بد للخطيب أن يكون على "قدر من الثقافة والمعرفة عارف بمقام وتفكير وتوجهات هذه الفئة حتى يكون قادرًا على اختيار صيغ التأدب واستعمالاته بما يراعي منازل ومقام وتفكير مخاطبيه لما في البعد الثقافي من دور واضح في تحقيق الأهداف التواصلية بنجاح وانتماء التأدب إلى دائرتي اللغة والثقافة في آن واحد يتحكم في طرق التصرف والسلوك مما ينعكس على تفاعلاتهم الاجتماعية وردود أفعالهم بشكل عام".⁽³⁾

(1) خطبة 5 صفر 1444 هجري.

(2) خطبة 10 ذي القعدة 1443 هجري.

(3) عبيد، حاتم: البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية من وجهة نظر لسانية تداولية "نظرية التأدب أنموذجاً"، مجلة اللسانيات العربية، ع2، ذو القعدة 1436 هجري/سبتمبر 2015م، ص134.

1.4.7.3. مواضع الجانب الاجتماعي:

إن الاجتماع الأسبوعي لخطب الجمعة بحد ذاته سلوك اجتماعي يعين على تعزيز العلاقات في المجتمع، ناهيك عن الوعظ المقدم والقضايا المطروحة والجوانب النفسية المتحققة بهذا اللقاء، ضمن جوه الروحاني والإيماني، فهذه الخطب تحظى بأهمية كبيرة في بناء القيم الاجتماعية والعلاقات الإنسانية نظرًا لدورها الحيوي في توجيه المجتمع نحو سلوكيات إيجابية وفعالة، وتعزيز التفاهم والتكافل بين أفراد المجتمع، والعمل على تعزيز الانتماء والتضامن بين الأفراد، مما يؤدي في النهاية إلى تحسين الحياة الاجتماعية بشكل عام. ويتجلى دور الخطيب هنا في تعزيز هذه القيم والعلاقات من خلال زيادة الوعي ولفت الانتباه إلى القضايا المهمة وإيجاد الحلول والاقتراحات لتحقيق التلاحم الاجتماعي، كقضايا مهمة أساسها الدين. ومن أهم المواضيع التي جاءت في هذا الجانب:

أ. خطبة بعنوان: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"،⁽¹⁾ جاء فيها من التوجيه والوعظ ما يمثل الخطوط العريضة لمسؤوليات كبيرة جدًا، موجهاً إياهم لحمل مسؤولياتهم الملقاة على عواتقهم، وركز عنايته على الأسرة كون الأبناء من ذكور وإناث يتأثرون بالوالدين على وجه الخصوص. من هنا وجب عليهم التنبيه لهذه الرعاية ورعايتها بما يرضي الله عنهم في ظل المؤثرات التي تتدخل في تنشئة الطفل من شبكات وفضائيات وأجهزة، فتوخى السلبية والتهكم في الخطاب، واختار نداءهم بـ (يا أيها الذين آمنوا) ولم يقل (مؤمنين) في هذه القضية لإشعارهم بأحسن صفاتهم أولاً، وتذكيرهم أن الإيمان فيهم فعل مضارع لا يمكن وصفه بالثبات، لأن تقصيرهم في هذا الجانب وارد لشدة مزاحمة هذه المؤثرات المحيطة في تربية الأبناء. كما أن تركيز الخطيب على هذه الفئة العمرية ليس جزافاً، فهؤلاء هم لبنات المجتمع غداً وسواعد بنائه، يصلح المجتمع بهم ويفسد بفسادهم. وقد ضرب الخطيب أمثلة من نماذج التربية النبوية جسد بها ضرورة اختلاط الطفل بالكبار ليتعلم التعامل والحوار، وأن يكون على صلة بالطبيعة ومكوناتها. فقد تفقد النبي يوماً الطفل زيد بن سهل عندما كان في بيت أنس بن مالك وهو أخوه الصغير من أمه، لأن النبي الكريم اعتاد ملاقة زيد والاختلاط

(1) خطبة 18 جمادى الآخرة 1443 هجري.

به مع أنس، فعلم أنه حزين لفقده عصفوره الذي كان يلعب به. فقال النبي موسياً له مقولته المشهورة: "يا أبا عمير ما فعل النغير"⁽¹⁾ وجاءت تكنيته له في هذا المقام تليفاً به. كما ذكر الخطيب موقف مشاركة النبي لعمر بن أبي سلمة في طعامه، فكان الموجه التربوي له في آداب الطعام، الآداب التي كانت وما زالت تُدرس في المناهج الدراسية لأبناء الأمة الإسلامية المتمثلة في البسمة والأكل باليمين والتزام الموضوع الموالي للأكل، فقد كان النبي مدرسة تربوية يجلس مع الفئات العمرية المختلفة حتى يتعلموا منه خصال الإيمان والتربية الحسنة والأخلاق الكريمة على أصولها، وهذه المواقف بحد ذاتها أحد الأدلة الكبيرة على التلطف اللغوي الذي كان جلياً في أسلوب النبي الوعظي والتربوي والتعليمي، وكأسلوب حياة في تواصله مع الناس على اختلاف أعمارهم ومكانتهم.

ب. وخطبة بعنوان: "إضاءات مفيدة لبناء أسرة سعيدة"⁽²⁾، لفت فيها الانتباه إلى ضرورة اتخاذ المبادئ السوية لبناء الأسرة، موضعاً لهم أن السعادة تكمن في مرضاة الله، فوجههم بالالتزام بالصلاة لأنها باب كل الطاعات. وتلطف منادياً المربين قائلاً: (أيها المربون الكرام: إن مما يجعل بناء الأسرة متماسكاً أن تكون روح الحوار بينهم حاضرة وقبول الرأي عادة متواترة)، مشيداً بسياسة الحوار في التربية لما فيها من بناء للثقة ودعمًا نفسيًا لبناء الشخصيات الواثقة والراسخة في المبادئ والقيم، لأنها اعتادت أن تبني حياتها على وعي بعد أخذ ورد في الحوار، كما يبرز الذوق في اختيار الكلمات والنسق الصوتي فيها مما يدعو إلى تقبل الحديث ومواصلة الإصغاء. ويمكن التركيز على أن الحديث عن قضايا الأسرة قضية مجتمعية مشتركة، والاهتمام بهذا الأمر أقصى غايات اللطف.

ج. وخطبة: "نحو أسرة مستقرة"⁽³⁾ تجلت عن تودد ملحوظ نادى فيه المخاطبين قائلاً: (إخوة الإيمان: ما أجمل البيوت السعيدة التي تربط أهلها مشاعر الحب والوئام والمودة والانسجام!)، فاللطف هنا جلياً في كل لفظة قالها، بدايةً من اهتمامه بعلاقتهم الأسرية وجعلهم من القرب بحيث دعاهم إخوة في الدين، إلى استعراض التعجب من البيوت السعيدة. كما أن السجع في الوئام والانسجام أعطى

(1) خطبة 18 جمادى الآخرة 1443 هجري.

(2) خطبة 7 شوال 1444 هجري.

(3) خطبة 17 محرم 1445 هجري.

انسجاماً صوتياً يدعو النفس للانجذاب ومواصلة المتابعة، مما يوحي للعقل بالاعتناء وحب تجريب العيش في ظل هذه الأسر السعيدة. بهذا يكون الخطيب قد استطاع أن يحقق هدفه دون أن يحتاج إلى الأمر المباشر أو حتى عن طريق الوعظ الذي يحمل لهجة الزجر والشدة.

1.5.7.3. مواضع الجانب المستقبلي (الأهداف - والتخطيط):

لم يقتصر دور الخطب على الاهتمام بواقع وقضايا حياة المسلمين الحالية فحسب، بل انطلقت عنايتها حتى بمستقبلهم، فجاء جانب فيها يحث على أهمية التخطيط للمستقبل وفائدة استشراقه، ونادى بضرورة اعتماد بعد النظر وعدم السير بعشوائية، فالمؤمن بصير برؤيته وحسن الظن والتدبير، وهذا يدعو للسعي الجاد والتأمل والتفكير المثري الذي من شأنه أن يحقق نتائج مرجوة، يعينه ويصله بما يريد، لذا قدمت الخطب دوراً في استعراض قضايا العصر، وبالتالي ساهمت بشكل واضح في التخطيط للمستقبل ووضع الأهداف. ويكمن دور الخطيب هنا في المساهمة البناءة في خلق الوعي المجتمعي حول أهمية التخطيط المستقبلي وضرورة الاستعداد الواعي لمواجهة التحديات التي قد تعيق المضي قدماً نحو التطورات المستقبلية. إن حياة المؤمن والعمل فيها لآخرته خير مثال للتخطيط والعمل للمستقبل والسير وفق أهداف وخطط واعية. ويتضح هنا دور خطب الجمعة في نقل الرسائل الإيجابية والتحفيزية التي تدفع المخاطبين إلى استثمار المعرفة والتعلم المستمر، مما يدفعهم إلى الاجتهاد والعمل الجاد للوصول إلى النجاح في مستقبلهم. ومن أهم المواضيع التي جاءت في هذا الجانب:

أ. خطبة بعنوان: "نظرات في التخطيط"⁽¹⁾ جاء فيها عصاره أن دين الله كامل ولطف الله عميم، إذ لم ينز شيئاً في صالح الإنسان إلا وأحاط به، ومنها حاجة الإنسان لاستشراق المستقبل والمضي فيه على بصيرة، والسير ضمن أهداف وتخطيط حتى لا يكون للعشوائية والتخبط سبيل للمؤمنين. وقد ضرب الخطيب أروع مثال للإنسان القدوة في مسألة التخطيط في حادثة هجرة النبي، حيث خطط للرفقة وللعدة والراحلة وما يتعلق بإيصال الأخبار والطعام ومحو الآثار وتغيير المسار وغيرها من الأمور التي تؤدي إلى نجاح خطة الهجرة. أيضاً مما جاء في القرآن ويدعونا لأخذ الدرس منه

(1) 23 ذي الحجة 1443 هجري.

تخطيط سيدنا يوسف لسبع سنوات تنبأ فيها بالقحط والجفاف من رؤية فسرها، فكان تخطيطه معيناً للخروج من هذا المأزق الكبير الذي كاد أن يودي بحياة أهل الشام ومصر.

ب. خطبة بعنوان: "بين عام نودعه و عام نستقبله"،⁽¹⁾ دعا الخطيب المخاطبين فيها إلى التأمل فيما كان منهم من قصور ونقص في عامهم المنصرم، وطلب منهم قائلاً: (عباد الله، اعلّموا أن من أسرار النجاح وضع خطة وبرنامج للعام القادم)، وهذا توجيه صريح لوضع الأهداف والخطط وعدم ترك الأمور مفتوحة دون تخطيط. وجاء خطابه لهم بعبارة (عباد الله) إشارة إلى أن العباد كلهم بحاجة إلى أهداف وخطط حتى لا تضيع أيامهم دون هدف، والمتأمل لحياة المؤمن يجدها مخططة ومنظمة ومضبوطة بمهام والتزامات، وفرض الصلاة في أوقات مخصوصة أحد ضوابط التخطيط والنظام في الدين.

ج. وفي خطبة: "أولادنا على أبواب الإجازة الصيفية"،⁽²⁾ دعوة لاستثمار أوقات الإجازة بالتخطيط الجيد ووضع الأهداف المثمرة التي يمكن أن تحمي الأبناء من الفراغ وآفته، ومخاطبة الناس بما يصلحهم ويحقق سعادتهم، بلغة لطيفة توحى بالاهتمام والحرص، سُخِّرَتْ لتحقيق الأهداف التواصلية في الخطاب.

(1) خطبة 23 ذي الحجة 1443 هجري.

(2) خطبة 26 شوال 1443 هجري.

4.1. المبحث الرابع: التلطف اللغوي في الأمر غير المباشر.

1.4.1. أسلوب الأمر غير المباشر

يعد الأمر غير المباشر من الأساليب البلاغية التي لها القدرة على تحقيق طلب الأمر بطريقة بلاغية لطيفة غير ملزمة، ويتميز هذا الأسلوب بقدرته على تحقيق تواصل فعال مع المخاطب، فهو بمثابة الأداة الفعالة في يد المتحدث تعينه على فرض أفكاره وتعزيز قناعاته لتصل الرسالة المرغوب توصيلها بطريقة لينة غير ملحة، وهذا يفتح المجال أمام المتلقي للتفاعل مع هذه الأفكار بشكل إيجابي ويتيح فرصة التفكير والأخذ عن اقتناع لا إكراه فيه، لا سيما فيما يخص الأمور الدينية لسمو الرسالة المقدمة؛ لذا ينبغي أن يكون الخطيب على قدر من الوعي بالسياقات المحيطة بالخطبة، ومسلحًا بالمهارات التواصلية، عارفًا بالخصائص الاجتماعية والنفسية بالمخاطبين حتى يتحقق وصول الرسالة بشكل مؤثر ومقنع يعكس طبيعة التواصل الإنساني القائم على الاحترام.

2.4.1. الأمر في اللغة.

وقد ورد ذكر مصطلح الأمر عند ابن منظور في لسان العرب بأنه: "تقيض النهي، والعرب تقول: أمرتك أن تفعل، ولتفعل، وبأن تفعل"،⁽¹⁾ كما ورد ذكر مصطلح الأمر في المعجم الوسيط: "(أَمَرَ) عليهم أمرًا، وإمارة، وإمرة: صار أميرًا عليهم. وفلائًا أمرًا، وإمارة، وأمرة: كلفه شيئًا. والأمر منه: مر. ويقال: أمره به، وأمره إياه."⁽²⁾

3.4.1. الأمر في التراث العربي والبلاغة.

كما أن الأمر من الأساليب التي ورد ذكرها في كتب البلاغية في التراث العربي، ومن المواضيع التي أفردت لها أبوابًا خاصة وتناولوها بحثًا ودراسة؛ لذا نجد حضوره في الأدب العربي في الشعر والنثر على حد سواء، وقد جاء القرآن معززًا لدوره التأثيري والموجه، والذي أكسبه بعدًا عميقًا لكون أن معظم التشريعات الدينية فيه قائمة على الأمر والنهي، لتبلغ بالمرء الصراط القويم، كما أن خواصه الإنشائية والطلبية صنعت له دورًا في صميم اللغة التبليغية، ليكون جوهر اللغة التواصلية،

(1) ابن منظور، محمد مكرم: لسان العرب، ص: 125.

(2) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص26.

فكان حظ النصوص الدعوية واضحاً منه لا سيما الخطب، وقد اتفق علماء اللغة والبلاغة على أن مصطلح الأمر هو "طلب الفعل على جهة الاستعلاء"⁽¹⁾ مع الإلزام، "وأن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء يورث إيجاب الإتيان على المطلوب"⁽²⁾، ويأتي هذا النوع من الأمر المباشر والصريح بأربع صيغ محددة ومعروفة وهي: "فعل الأمر على وزن أفعل، والمصدر النائب عن فعل كصبراً، والمضارع المقترن بلام الأمر مثل: لينفق وليتق، واسم فعل الأمر كمه، وصه"⁽³⁾. إلا أنه من المهم الإشارة هنا أننا في هذا البحث غير معنيين بهذا النوع من الأمر، ولا نرى ما يستدعي البحث فيه لإحاطة الدراسات به جملة وتفصيلاً. كما أن الأمر الحقيقي الذي يأتي على سبيل الاستعلاء لا يدخل ضمن الظواهر البلاغية، ولا يدخل في دائرتها، ويُطلق عليه أمراً حقيقياً. لذا سيكون الحديث عن النوع الثاني من الأمر وهو الأمر (غير المباشر) أي: غير الصريح، والذي يُطلق عليه اسم الأمر البلاغي، وهو كل أمر اختل فيه أحد شرطي الاستعلاء والإلزام أو كلاهما، يقول قلقيلة: "الأمر البلاغي يدل على معاني بلاغية نهتدي إليها بذوقنا وبسياق الكلام وقرائن الأحوال"⁽⁴⁾، ويأتي غير الصريح على أنواع مثل:

بصيغة خبرية أو تقريرية، ويأتي مادحاً لفاعله، و"كل ما يتوقف عليه المطلوب من مباحات والفضائل"⁽⁵⁾. فالطلب في هذا النوع من الأمر يأتي غير صريح، فقد يكون أيضاً على سبيل الحث والعرض في صيغ خبرية، فكل معنى طلبي يمكن أن يُفهم من السياق يدخل في هذا النوع، فالأمر وليد السياق. ويقول السكاكي في سياق حديثه عن الأمر: "إنما تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام"⁽⁶⁾، ويمكن إيجاز القول بأن الأمر غير الصريح هو كل ما خرج من الأساليب المختلفة إلى معنى الطلب ويُفهم من خلال القرائن والسياق، ويكمن تميزه في جانبه الإبلاغي الذي يكون خروجه بلين ولطف مراعاة للمتلقي ودون إشعاره بشيء من الإلزام أو أدنى استعلاء، فيكون أقرب لطلب

(1) عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ط4، دار الفرقان، 1417/1997م، ص149.

(2) السكاكي، يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، 1407/1987م، ص318.

(3) عباس، ص149.

(4) قلقيلة، عبده عبدالعزيز: البلاغة الاصطلاحية، ط3، دار الفكر العربي، 1412-1992م، ص152.

(5) صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 2005م، ص156.

(6) السكاكي، ص319.

الالتماس والنصح والإرشاد بصيغ خبرية أو إنشائية عن طريق الحث والعرض أو الاستفهام أو المدح لطلب الفعل بحيث يستسيغه المتلقي ويرحب بقبوله.

1.4.4.1. أسلوب الأمر غير الصريح وطرائقه في المدونة.

إن المتأمل لمادة المدونة يجد أن جل العبارات قد وظفها الخطيب توظيفاً تداولياً فيه نوع من اللطف والتأدب والذوق الجم، فعدل عن توجيه الكثير من الرسائل والتوجيهات الخطابية المباشرة وحولها بأسلوب المعلم المرشد الحكيم إلى توجيه غير مباشر بليين وحكمة، منوعاً في ذلك باستعمال الجمل الخبرية والإنشائية. وجمالية هذا التنوع في تحقيق الأمر تؤكد روعة هذه اللغة التي تجسدها جمل فاعلة وحيوية، تؤازرها التراكيب والسياقات في استحضار المعاني المتعددة وبيان وظيفتها في بلاغة وبيان، لتحقيق التأثير في المتلقي والوصول لاستجابته بشكل محبب ولطيف، بغرض البعد عن نمط الوتيرة الواحدة التي قد تبعث السآمة والملل، وهذا مما يدل على حضور أسلوب التلطف. لهذا "يعد أسلوب الأمر غير الصريح من الأساليب المهمة في اللغة العربية لأنه يمثل أحد عناصر الإبلاغ والبلاغة والإيحاء والإثارة الهادفة إلى تحريك النفوس والتأثير فيها وإشراكها في عملية الإقناع"⁽¹⁾.

1.4.4.1. الأمر في الجمل الخبرية.

وردت العديد من جمل الأمر بصيغة الجمل الخبرية، إلا أن قوتها الإنجازية كأمر ظهرت من خلال السياق. بهذا تتحول دلالة التركيب من مستوى الخبر إلى أمر يفيد فعلاً إنجازياً، وسنستعرض هنا بعض الأمثلة التي وردت في الخطب وليس كلها، ففي قوله: "الإيمان باليوم الآخر ليس إدعاء باللسان بل منهاج حياة يظهر في أقوال الإنسان وأفعاله"⁽²⁾، في الحقيقة، الخطيب يريد أن يقول: (اجعل إيمانك باليوم الآخر يظهر في أقوالك وأفعالك). ولكنه عدل بالأمر إلى صيغة خبرية غير مباشرة، وفي قوله: "إن من عظيم مقام الأرحام عند الله أن قرن تقواه بوصولهم"⁽³⁾ لا يريد بقوله خبراً وإنما أراد: (صلوا أرحامكم لتتحقق

(1) ناجي، حسين علي وحسين، مهذب ناصر: أسلوب الأمر غير الصريح وطرائقه في القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية، مج 25، ع 3، أيلول 2018، ص 174.

(2) خطبة 9 رجب 1443 هجري.

(3) خطبة 23 رجب 1443 هجري.

تقواكم). وفي قوله: "أفرادها مطالبون أن يكونوا خير مثال للمثل الأعلى وهو الرسول"،⁽¹⁾ كان يريد أن يأمرهم بأن يكونوا خير الناس ليتحقق قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ آل عمران: ١١٠، وفي قوله: "إن هذا الشهر العظيم الذي أنتم فيه أعظم فرصة للتغيير وخير زمن للتطوير"،⁽²⁾ أراد غيروا من أنفسكم في هذا الشهر وطوروها. وفي قوله: "الحياة فرص والفائز من اغتمها"⁽³⁾، إنما أراد اغتموا فرص الحياة، وفي قوله: "إن خير ما تشغلون به أولادكم كتاب الله"⁽⁴⁾، إنما أراد أن يأمرهم بشغل أولادهم بكتاب الله أي: (اشغلوهم بكتاب الله قراءة وحفظاً وتدبراً).

وتعددت صيغ الخبر الأمرة بشكل واضح وجلي، بقيت بصورتها وإعرابها كجمل خبرية، وتحققت معانيها ودلالاتها الإنجازية الفعلية كأمر غير صريح. إن عدول مؤلف الخطبة عن الأمر المباشر الصريح ليس صدفة ولا من قبيل العشوائية، وليس يريد إخباراً، فهو يخاطب مسلمين قرأوا كتاب الله ودرسوا التعاليم، وإنما أراد لهم توجيهاً ونصاً وإرشاداً ليهبوا للتنفيذ عن قناعة ورضى دون أن يشعرهم بدلالة الأمر المباشرة التي يأتي فيها معنى الإلزام والاستعلاء، لا سيما أن الجمل الخبرية اتسمت بوجود أنواع المؤكدات التي لها دلالتها في التصديق والأخذ به، فشتان بين أن تتلقى النفس أمراً على وجه الإلزام، وبين خبر يتسلل للنفس فتمحصه وترجح خيره وصدقه، فيستشعر المخاطب أنه صاحب اللب الذي يتخير الفضل لنفسه فيمتمثله بإرادة واقتناع وعن طيب خاطر ورضى. وهذه من أوكد المؤكدات لوجود التلطف في تحقيق الأمر غير الصريح بالأساليب الخبرية، يقول ابن يعيش: "اتقى الله امرؤً وفعل خيراً"، معناه: ليتق الله وليفعل خيراً"⁽⁵⁾ وكما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ البقرة: ٢٣٣، أي ليرضعن.

(1) خطبة 1 شعبان 1443 هجري.

(2) خطبة 6 رمضان 1443 هجري.

(3) المرجع نفسه.

(4) خطبة 26 شوال 1443 هجري.

(5) ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، الطباعة المنيرية، ج7، ص49.

1.2.4.4.1. الأمر بألفاظ الوجوب

لا يخفى على ذي لب أن القرآن مصدر البلاغة وأساسها، وقد جاء فيه العديد من ألفاظ الوجوب التي تدل على الأمر غير الصريح مثل صيغة: "فرض"، و"كُتِبَ"، و"قضى"، و"أوحى" وغيرها. وعند تأمل المدونة وجدت أن الخطيب قد سلك هذا المسلك في خطبه أيضًا واستعان ببعض الألفاظ التي توحى بالأمر وتغنيه دون أن يصرح بصيغ الأمر بشكل مباشر مثل: (أوجب الواجبات، لزاما، لزم، الواجب، كان مطلوباً، ينبغي، المؤمن مأمور، بل يجب، يجب أن) لما في هذه الألفاظ من عموم وهذا هو سر اللطف فيها. وسأستعرض جملة من هذه الأمثلة التي حرص فيها الخطيب على توجيه الناس لامتنال بعض القضايا المهمة بصيغ مشابهة دون اللجوء للأمر المباشر فيها. ففي سياق وعظهم بضرورة اختيار القرين الصالح لأبنائهم استعمل صيغة (أوجب الواجبات) قال: "إن أوجب الواجبات على الأباء والأمهات تحري القرين الصالح لأولادهم"،⁽¹⁾ إنما أراد فعل الأمر (تحروا). وفي سياق آخر استعمل لزاماً قال: "لزاماً على الأمة أن تستفرغ جهودها في دراسة الأحداث"،⁽²⁾ أي: استفرغي. وفي قوله: "لزم المعلمين والمعلمات أن يراقبوا سلوكهم"⁽³⁾ أراد (راقبوا). وفي سياق ترغيبهم لجعل القرآن أولوية في حياتهم قال: "الواجب أن يكون القرآن قبل كل شيء وأول كل شيء"،⁽⁴⁾ أي: اجعلوا القرآن.

أيضاً في سياق الحديث عن خصوصية يوم عرفة والتأكيد على وجوب استغلاله، قال: "كان مطلوباً من المؤمن أن يعامله معاملة خاصة وأن يكون له فيه استعداد"،⁽⁵⁾ إنما أراد تخصيص هذا اليوم بالاستعداد له. وجاء أيضاً: "ينبغي تدارسها والوقوف على مكنوناتها للعظة والعبرة"،⁽⁶⁾ وهو يريد أن يأمرهم بضرورة دراسة أحداث الهجرة النبوية، فمعنى القول: ادرسوها ووقفوا عليها. وفي سياق الحديث عن الحفاظ على النفس قال: "المؤمن مأمور بأن يحذر من مسببات الأذية"،⁽⁷⁾ والحقيقة إنما

(1) خطبة 9 رجب 1443 هجري.

(2) خطبة 8 شعبان 1443 هجري.

(3) خطبة 5 صفر 1444 هجري.

(4) خطبة 22 شعبان 1443 هجري.

(5) خطبة 9 رجب 1444 هجري.

(6) خطبة 3 محرم 1445 هجري.

(7) خطبة 24 شعبان 1444 هجري.

أراد: احذر. وفي قوله: "الشباب يجب أن يكونوا مشاركين"⁽¹⁾، يعني: شاركوا. بهذا يمكن القول إن عناية الخطيب بالمتلقين جلية، إذ إن تركيزه على إيصال الرسائل الأمرية بأسلوب خال من الإلزام أو الإكراه، بل وفيه نوع من حرية القبول، وهذا دليل على الذوق الرفيع في استعمال اللغة وتلطفه في الخطاب، فالنفوس البشرية ميالة لمن يقدرها ويحرص على مصالحها.

1.3.4.4.3. الأمر جاء على سبيل مدح فاعله.

من طرق الأمر غير الصريح أيضًا، مدح الفاعل، وهذا يمثل عمق فنون التواصل الفعال، ويعد سمة في القيادات الملهمة. فالعدول عن إصدار الأمر المباشر لفعل معين إلى مدح وثناء لفاعل هذا الفعل يعد أحد سبل الخطاب اللطيف في مخاطبة النفوس والتأثير عليها، إذ يتولد حكم مسبق بأهمية هذا الفعل وصلاحه؛ لأن الإشادة سبقت لصاحبه، بل هو بمثابة الإقرار بمواهب وقدرات الفاعل. فالثناء على شخص بشكل صادق والاعتراف بإنجازاته يعمل على تعزيز العلاقات الإيجابية وربط هذا الفعل بقيمة فعلية مضافة لقوته الإنجازية تتجلى في رضا المادح لصاحب الفعل، وقد أحسن الخطيب في اعتماد هذه السياسة في خطبة إذ لجأ إلى مدح كثير من الأفعال وفاعليها كاستنهاض غير مباشر لوجوب الامتثال لهذا الفعل فقد استعمل بعض صفات المدح والثناء الجلية، مثل: (الكيس، الفطن، الناجحين، العاقل، المؤمن الحصيف، السعيد، طوبى). ففي سياق حثهم على مكارم الأخلاق مدح النبي مبرزًا أفضل صفاته، إذ قال: "إن نبيكم كان الغاية في كل خلق حسن والنهاية في كل سجية كريمة"⁽²⁾، والسياق يشير إلى أنه يدعوهم إلى حسن الخلق ومكارمه، أي: حسنوا أخلاقكم، إلا أنه اكتفى بمدح سيد الأخلاق، فهذا كفيل بإقناعهم بالامتثال. وفي سياق آخر، جاء مادحًا الفاعل بالكياسة والفطنة، مشيدًا بذكائه، فقال: "الكيس الفطن من حسب لتلك الأيام المعدودات ألف حساب"⁽³⁾، وهو يريد استعدادها وأحسنوا استقبالها. أيضًا في سياق الأمر بعدم التسوية قال مادحًا الناجحين: "إن

(1) خطبة 23 ربيع الآخر 1444 هجري.

(2) خطبة 4 جمادى الآخرة 1443 هجري.

(3) خطبة 29 شعبان 1443 هجري.

الناجحين من السابقين واللاحقين ما كانوا يتركون عمل اليوم للغد"،⁽¹⁾ وهو يريد اعمل دون تسويق لتتج. وجاء أيضًا قوله: "العاقل من يزداد عمله كل يوم"،⁽²⁾ "والعاقل من تحلى بالقناعة"⁽³⁾، بمعنى: زد في عملك، وكن قنوعًا. وفي سياق دعوتهم إلى رفع سقف الأهداف والمقاصد في السفر، قال: "المؤمن الحصيف من يضع لسفره أهدافًا ومقاصد نبيلة"،⁽⁴⁾ وهو يريد فعل الأمر (ضع). وأثنى على المؤمن الذي يتعظ من ماضيه بالسعيد، فقال: "السعيد من اتعظ بالماضي وعمل للحاضر"،⁽⁵⁾ وهو يريد أن يقول: اتعظ من ماضيك لتسعد. أيضًا في سياقات عديدة مدح أصحاب بالفعل بطوبى، فقال: "طوبى لمن كثرت حسناته وسعى لرفع درجاته"،⁽⁶⁾ وجاء أيضًا "طوبى ثم طوبى لمن غرس في ذريته حب الصلاة".⁽⁷⁾ وهو يريد أكثروا واغرسوا. وكل ذلك في سبيل التلطف واستقطاب استجابتهم.

1.4.4.4. أمر الأفعال المضارعة.

إن استعمال الفعل المضارع في الجمل الخبرية بصيغة الطلب هو أحد الأساليب البلاغية التي يتم بها الأمر غير الصريح لإعطاء طلبات وأوامر بطريقة أقل مباشرة وأكثر لطفًا وأرفع ذوقًا، وهذا مما يعكس اللطف والتهديب في الخطاب أيضًا؛ لتمييز المضارع بالحيوية التي يضيفها للنص، حيث يجمع بين الطلب والاستمرارية أو قرب التنفيذ، فالمضارع "يدل على الأمر ذلك لأنه يقاربه في الدلالة الزمنية"،⁽⁸⁾ وقد جاء في القرآن التعبير بالمضارع عن فعل الأمر في قوله تعالى من سورة الصف: "تؤمنون بالله وتجاهدون"، لفظ المضارع ومعناه الأمر أي: آمنوا وجاهدوا. وقد جاء بلفظ المضارع وبصيغة الخبر لطلب الامتثال وقد بين الزمخشري في الكشاف الغرض من هذا الاستعمال بقوله:

(1) خطبة 23 ذي الحجة 1443 هجري.

(2) المصدر نفسه.

(3) خطبة 10 شعبان 1444 هجري.

(4) خطبة 12 ذي الحجة 1444 هجري.

(5) خطبة 3 محرم 1445 هجري.

(6) خطبة 23 ذي الحجة 1443 هجري.

(7) خطبة 26 رجب 1444 هجري.

(8) أسلوب الأمر غير الصريح وطرائقه في القرآن الكريم، ص 179.

"للإيدان بوجوب الامتثال لله"⁽¹⁾ وقد بنى الخطيب الكثير من الصيغ الطلبية في خطبته على نفس هذا النمط، كقوله: "ياخذ بزمام المبادرة إلى عمل الصالحات ويسارع في فعل الخيرات"⁽²⁾ وهو يريد أمرًا أي: خذ وسارع. وفي سياقات أخرى جاء فيها: "على المرء أن يواصل طلب العلم"⁽³⁾ و"على أرباب الأسر أن يُبصّروا أبناءهم"⁽⁴⁾ و"جدير بنا أن نستلهم"⁽⁵⁾ و"على الطالب أن يحرص على تنمية نفسه"⁽⁶⁾ و"يدعو إلى ضرورة التضامن العالمي لوقف ذلك"⁽⁷⁾ و"أن نكون يدًا لإخواننا في أرض الإسراء"⁽⁸⁾ و"حري بهم وقد وسع عليهم أن ينفقوا من مالهم"⁽⁹⁾ و"كان حريا به أن يعمل بهذه الحقيقة"⁽¹⁰⁾ و"الأمة تستدعي سواعدكم وتستوجب وحدة قلوبكم"⁽¹¹⁾ و"أن نرجع لسيرته"⁽¹²⁾ ففي كل ذلك أراد أمرًا بمعنى: (واصلوا ، بصروا، استلهموا، احرص، أدعو، كونوا، انفقوا، اعملوا، شمروا، وحدوا).

وإنما خرج الأمر في صورة الخبر باستعمال الأفعال المضارعة للمبالغة في إيجاب الأمور به فجعل كل هذه الأوامر وكأنها وُجدت، فهو يخبر عنها للتأكيد على وجوب فعلها، وإشعار المخاطبين بأنه يجب المسارعة للامتثال بها، تأكيدًا على أهميتها ورفقًا بالمتلقي من الأمر المباشر الذي قد يحمل معه نوعًا من الإلزام وتلطفًا به.

(1) الزمخشري، جار الله محمود: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، علق: خليل مأمون، ط3، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ج28، 2009/1430م، ص1104.

(2) خطبة 6 رمضان 1443 هجري.

(3) خطبة 14 شوال 1444 هجري.

(4) المصدر نفسه.

(5) خطبة 3 محرم 1445 هجري.

(6) خطبة 15 صفر 1445 هجري.

(7) خطبة 5 ربيع 1445 هجري.

(8) خطبة 15 جمادى الآخرة 1445 هجري.

(9) خطبة 20 رمضان 1443 هجري.

(10) خطبة 19 صفر 1444 هجري.

(11) خطبة 17 شعبان 1444 هجري.

(12) خطبة 3 محرم 1445 هجري.

1.4.4.5. أمر على سبيل الحث.

ويعد الحث والعرض أحد الأساليب التي استعملت لتحقيق وإنجاز الأمر غير الصريح، والتي يستطيع من خلالها المتلقي تحديد جوهرها الإبداعي وتحولها الجمالي من خلال السياق، فيُنجز فعل الأمر. وقد سبق النحاة الإشارة إلى ذلك، إذ إن الحث والعرض في أصلهما يدلان على ما يدل عليه الأمر في "افعل"، وقد قال سيبويه في هذا الصدد: "إنك تقول: "هَلَّا تَقُولَنَّ وَأَلَّا تَقُولَنَّ فَكأنك قلت: افعل"،⁽¹⁾ وأكد هذا الأمر ابن فارس قائلًا: "الحث والتحضيض كالأمر"،⁽²⁾ والمتأمل يجد أن الحث والعرض يدلان على الأمر بأسلوب فيه رفق ولين بخلاف الأمر الصريح القائم على الإلزام، لهذا كان للخطيب حظ من استعماله في بعض خطبه كقوله: "هَلَّا نغرس في أبنائنا اختبار صحة أي رأي نسمعه"،⁽³⁾ وهو يريد، اغرسوا في أبنائكم صحة التثبت. وفي سياق توجيههم إلى منظومة الأخلاق، قال: "ألا فلتنتهياً نفوسهم ليكونوا ما يأتون وما يذرون في إطار منظومة القيم الاجتماعية"،⁽⁴⁾ وهو يريد بهم أمرًا، أي: هيئوا نفوسكم. كما وردت سياقات عديدة على هيئة الحث والعرض وإن لم تستعمل فيها أدواته، يستنهض فيها الهمم ويحرك فيهم العزائم لأوامر عدة غير صريحة كقوله: "ما أحرى المصلي أن يستحضر"⁽⁵⁾ وهو يريد استحضر، وقوله: "كان أحرانا أن نتدبر"⁽⁶⁾ وهو يريد تدبروا، وغيرها من الأمثلة والشواهد.

1.4.4.6. أمر بأسلوب الحصر.

ورد أيضًا الأمر غير الصريح بأسلوب الحصر لفظًا، إلا أن السياقات والقرائن تشير إلى أنه يريد أمرًا، كقول الخطيب: "لا يمكن لذلك الإنسان إلا أن يكون كمن أخبر الله عنه"،⁽⁷⁾ أي أيها الإنسان "كن" كما أخبر الله عنك إذا بلغت أربعين سنة شاكرًا لله ولوالديك. وجاء أيضًا قوله: "ما كان إقام

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب، ط1، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج3، ص514.

(2) ابن فارس، أبي الحسن أحمد: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق: أحمد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1997/1418م، ص140.

(3) خطبة 7 شوال 1444 هجري.

(4) خطبة 19 ذي الحجة 1444 هجري.

(5) خطبة 12 رجب 1444 هجري.

(6) خطبة 29 جمادى الأولى 1444 هجري.

(7) خطبة 16 رجب 1443 هجري.

الصلاة والإنفاق من رزق الله إلا ثمرة الإيمان بالغيب"⁽¹⁾ أي: أقم الصلاة وأنفق فذاك هو الإيمان بالغيب. وفي قوله: "وماذا بعد هذه البشارة إلا حمل النفس للخير"⁽²⁾ أي: احمل نفسك على فعل الخير. وجاء أيضًا: "فما يكون من الإنسان عند تلاوة هاتين الآيتين إلا أن يتدبر وينظر"⁽³⁾، و"ينبغي للمرء ألا يكثر إلا لأمر ينفع"⁽⁴⁾.

5.4.1. جوانب التلطف في استعمال الأمر غير الصريح ودواعيه.

جاء الأمر في أساليب وألفاظ متعددة أثبتته القرائن والسياقات ودل على معناه محققًا بقوته الإنجازية دوره الطلبية، فالأفعال الإنشائية الطلبية على عمومها تقع أحيانًا في مسترسل من المعاني والدلالات كالأمر "باعتباره أقواها من حيث إيرادة إيقاع الفعل"⁽⁵⁾، وهذا مما يؤكد جمال هذه اللغة الفاعلة والنابضة بالحياة، فهي ليست مجرد حروف صماء، بل إنها قادرة على توليد المعاني على اختلاف الأساليب وتباين التراكيب. هذا بالإضافة إلى تجلي الأمر في الصيغ الخبرية الناشئة عن قصد المتكلم بإفادة طلب معين والحث عليه، إذ تأتي الجملة خبرية اللفظ طلبية المعنى، وهو أحد وجوه البلاغة التي يرد فيها الأمر غير الصريح، فعندما يرد الأمر الطلبية بألفاظ خبرية يكون أبلغ بيانًا من الصريح المباشر، ودليل ذلك قول الجرجاني: "إن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح"⁽⁶⁾، وروده بصيغة الخبر يفيد معنى تأكيد الأمر، بل وطلب الحث على تنفيذه وكأنه تم ونُفذ وأصبح في عداد الأخبار التي تأتي لإفادة الخبر أو تأكيده، فيكون حثًا للمتلقي على الاستجابة المقرونة بالقناعة والرضا؛ لأنه عادةً ما يأتي هذا الخبر مؤكدًا ويأتي مقترنًا بشيء من الإيجابية المحمودة النابعة من بلوغ الأمر وتنفيذه كالثناء على فاعله. كما أن الخبر والإفادة في النصح والوعظ محبب إلى النفس ويضفي إليها نوعًا من الألفة في القبول، فهي بمثابة بديل مؤدب يراعي فيه مشاعر

(1) خطبة 1 شعبان 1443 هجري.

(2) خطبة 5 صفر 1444 هجري.

(3) خطبة 4 ربيع الأول 1444 هجري.

(4) خطبة 12 ذي الحجة 1444 هجري.

(5) ميلاد، خالد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، ط1، المؤسسة العربية، تونس، 1421 هجري/2001م، ص591.

(6) الجرجاني، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، ص70.

المتلقي، فيكون فيه نوع من الإغراء بالعمل والحث عليه بخلاف الأساليب المباشرة التي تدعو للاستجابة دون أن تفسح مجالاً للمتلقي أن يفكر أو يقرر أو فرصة التعرف على النتائج المترتبة عليه أو سبب الطلب، فهو تحت خيار واحد فقط: تنفيذ الأمر المطلوب على وجه الاستعلاء، ورفضه أو عدم استجابته يأذن بفشل وصول الرسائل التبليغية أولاً، ناهيك عن توتر التواصل بين الخطيب ومستمعيه. لهذا نجد أن النفوس البشرية تأنف من قبول التوجيه المباشرة إلى أمر أو نهي على وجه الاستعلاء، بل وتأبى القبول والانصياع التام المباشر دون اقتناع. كما أن عناية الخطيب وحرصه على تحقيق أهدافه التبليغية تدفعه إلى انتقاء الصيغ المناسبة للوعظ والتبليغ، فيلجأ إلى التراكيب التي تضي على الدلالات المطلوب إيصالها نوعاً من الترفق واللطف، والحياد عن كل ما من شأنه أن ينفر المتلقي من ألفاظ وأساليب وتراكيب، فيقلل الصيغ الطلبية الاستعلائية، ويلتمس الإيحاءات الهادفة إلى تحريك النفوس للاستجابة والقبول، فطرق استعمالات الخطيب لا تقتصر على كونها بنى إنشائية طلبية، بل تعدت ذلك. "إلى كونها بُنى توليدية كغيرها من بنى الإنشاء لأنها لا تعرف الالتزام بأصل المعنى بل تنتج ما لم تتعود اللغة انتاجه".⁽¹⁾

لذا نجد أن دائرة توليد المعاني الطلبية للأمر تتسع، والتي تكسب النصوص نوعاً من الثراء في الدلالة، وتوحي فيها بنوع من الرقة واللين في الخطاب وتقدير المخاطب والعناية بمشاعره، وهذا أحد جماليات اللغة التي تدخل في أطر اللطف والتلطف، لا سيما عندما يكون استعمالها في مواضع الدعوة والوعظ، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥، وأمر موسى بالتلطف حتى مع فرعون على كفره، يقول تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ طه: ٤٤، فكيف بالنفوس المؤمنة المصدّقة؟ لهذا يمكن القول: إن الأساليب غير الصريحة وعلى رأسها الأمر تأتي عناية بالمأمور وتترفق به، فينشأ الأمر أكثر تأدباً ونوقاً من الصريح، هذا بالإضافة إلى أنه يمكن أن نعدّ الإخبار في الأمر نوعاً من التفاوض باستجابة الطلب وتحقيقه، لا سيما أن طريقة التعبير بالأفعال المضارعة تُعدّ من الأمور الواقعة والحاصلة إذ لا يرافقها طلب قد يثير حفيظة المتلقي

(1) عبد المطلب، محمد: البلاغة العربية قراءة أخرى، ط2، لونجمان، 2007م، ص293.

باستعلاء واستصغار وإلزام بالاستجابة للطلب، بل فيه نوع من حسن الظن بالمخاطب ورفع سقف التوقع منه بالاستجابة المؤكدة والإذعان والقبول، شأنه في ذلك شأن الفطن اللبيب الذي ما إن تظهر لديه الحجج لا يتوانى عن القبول التام والإذعان دون تردد، ليس كالصریح المباشر الذي ينتظر فيه المخاطب جوابًا بعد الطلب، إنما هو إخبار عن امتثال بالمأمور به وكأنه أمر حاصل فعله.

ولم تخلُ النصوص المدروسة من الأمر المباشر أيضًا والذي جاء فيه: "اغتموا الزمان الذي أنتم فيه قبل انتقالكم عنه"⁽¹⁾، وجاء بالطريقة المباشرة لأن بعض المواضيع الحتمية والمصيرية تحتم علينا أخذها بأي شكل كان لجدية الأمر وحتمية وقوعه، بل إن السلامة لنا تتحقق بأخذه، فلا مجال للاختيار والتخير فيها، فالقضية هنا قضية موت مسلط على رقاب العباد لا مناص منه ويعقبه مصير أبدي لا رجعة منه، فالأمر جلل استدعى الطلب المباشر بما فيه من معاني الإلزام، فالإلزام بالاستقامة والاستعداد للموت هو عين اللطف بنا وأصل الرحمة بمصيرنا، والقرآن الكريم اتبع هذا المنهج في طرح القضايا الدينية بين المباشر وغير المباشر أيضًا. لذا يمكن القول أن نوع المأمور به الذي قد يتعلق عليه تحديد مصير أبدي أو حياة أو موت أو شرك ودين يوجب على الداعية والمرشد والحكيم والواعظ وأولي الأمر والمشرع أن يقدموه بشكل مباشر، وهذا لا يتنافى مع اللطف لأنه عين السلامة والنجاة في الامتثال به، أما باقي الأمور التي فيها سعة جاءت لطيفة لينة مراعية للمتلقي.

(1) خطبة 16 رمضان 1444هـ جري.

5.1. المبحث الخامس: التلطف اللغوي في النهي غير المباشر.

1.5.1. أسلوب النهي والصرف غير المباشر.

إن أسلوب النهي والصرف غير المباشر يرتبط غالباً بالخطابات التي تسعى لتحقيق مصلحة ونفع ونصح للطرف الآخر، والميل فيه إلى عدم المكاشفة الصريحة نابع من الحرص والرحمة والرغبة في استمالة الطرف المخاطب واستجابته الإيجابية. حيث يأتي هذا التوجيه الطلبي بطريقة توحى بالإنشائية كالصيغ الخبرية وضم الأفعال ونتائجها إلا أن معناه طلبي بمعنى كف ولا تفعل، والحديث عن النهي غير المباشر من الموضوعات التي ترتبط بالأساليب اللغوية المستعملة في عمليات تحليل الخطاب وفهم ما وراء النصوص للوصول إلى فهم التأثير الذي يوقعه الخطاب على المتلقي، إذ يسير تأثيره في طلب الكف عن أمر معين، ولكن خروجاً عن الطريقة المألوفة "لا تفعل"، فتدخل البلاغة العربية وتلعب دورها في إنجاح الطلب وتحقيقه بالاستعانة في ذلك بالملابسات المحيطة بالخطاب كالسياقات والقرائن على اختلافها. والغرض من هذا التحول من المباشرة إلى غيرها هو خلق نوع من التلطف في طلب النهي والصرف، فيجعل الطلب أكثر قبولاً وأقل مواجهة وأكثر تأثيراً في تصرفات المتلقي وسلوكياته، إذ إن هذا التوجه غير المباشر يمكن أن يصل لأعماق المتلقي ويغير إدراكه؛ وعليه يوجه تصرفه دون أن يثير مقاومة أو رفض، فيعزز القبول وينجح التأثير العاطفي والإقناعي، لا سيما عند استعمال بعض الاستراتيجيات كالتحذير والتلميح لخطورة الأمر أو أضراره، كما أن الأساليب غير المباشرة يمكن أن يُعدَّ أكثر احتراماً من الناحية الثقافية، مما يعزز العلاقات الاجتماعية ويقوي أوصالها، ويحول دون الحدة والصدام اللذين يمكن أن يتولدا من الأساليب المباشرة في الحوار.

2.5.1. النهي في اللغة

جاء معنى النهي في المعاجم العربية بمعنى الكف والانتهاز، ففي لسان العرب لابن منظور يعرف النهي بأنه: "خلاف الأمر ويقال: نهاه وينهاه نهياً فانتهى وتناهى أي: كف".⁽¹⁾

(1) ابن منظور، ص4564.

وفي المعجم الوسيط ورد ذكر النهي على أن نهى بمعنى "اكتفى بما أخذه منه، ويقال: طلب الحاجة حتى نَهِيَ منه وشبع. وعن الشيء: كَفَّ".⁽¹⁾

3.5.1. النهي في البلاغة والتراث العربي.

يعرف النهي في البلاغة والتراث العربي بأنه أسلوب إنشائي طلبى، قلما تكاد تخلو منه كتب اللغة، ويأتي عادةً مقترناً بالأمر، لأن كليهما يمثلان طلباً على وجه الاستعلاء، يقول السكاكي: "والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء"،⁽²⁾ ويأتي طلب النهي متمثلاً بإنتاجيته في "طلب الكف عن فعل معين على وجه الإلزام والاستعلاء"،⁽³⁾ وقد ورد النهي في القرآن الكريم والحديث والشعر في سياقات التوجيه والتقويم والإرشاد لطلب الكف عن كل ما يمس الدين والأخلاق والأعراف الاجتماعية، ويأتي بغرض الحكمة والتأدب أيضاً، ويكون الزجر فيه سمة من سماته اللازمة. وقد تناولته الدراسات بنوعين من الدراسة والتحليل: كنهى حقيقي يكون فيه منع الفعل بشكل جازم وقاطع، والآخر مجازي يأتي فيه طلب المنع لإظهار التحذير أو من باب النصح والإرشاد. أما عن صيغته فيصاغ بـ (لا تفعل)، وتسمى لامه بالجازمة، والتعامل مع هذه البنية "يستدعي حضور حالة شعورية وذهنية تبدأ فاعليتها من منطقة الإثبات"،⁽⁴⁾ فطلب الترك يستوجب شغل النفس بعكسه، ولا ينهى المخاطب إلا ولديه شعور متقدم عن الترك أو وعي بطريقة وقوعه، إذ لا يُنهى عن ترك شيء إلا ولديه تصورات عنه. أما دخول بنية النهي إلى النصوص الأدبية فيُخرجها عادةً من ملازمة الاستعلاء لأنها ترد في سياقات أخرى وباستعمال أساليب غير صيغة النهي المباشر لإنتاج دلالاته بنوع من الترفق.

(1) المعجم الوسيط، ص 960.

(2) السكاكي، ص 320.

(3) عبد المطلب، ص 298.

(4) المرجع نفسه، ص 298.

4.5.1. بعض صيغ النهي غير الصريح.

1. الجمل الخبرية بمعنى النهي: وقد جاءت مثل هذه الصيغ في القرآن الكريم، ومن المعلوم أنه لا

بلاغة تساويه ولا بيان يجاريه، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا زُفَتْ وَلَا فَسُوقَ﴾ البقرة: ١٩٧، أي: لا

ترفثوا ولا تقسقوا. أيضاً تأتي الصيغة الخبرية على نحو: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ

اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٧٢، "قالوا: هو خبر وتأويله نهى، أي: لا تتفقوا إلا لوجه الله"،⁽¹⁾ ويرى أهل

البلاغة أن هذه الأساليب الخبرية أبلغ من النهي المباشر "لما فيها من إيهام أن المنهي يسارع

إلى الانتهاء فهو مخبر عنه".⁽²⁾

2. ألفاظ التحريم والنهي: كقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ النحل: ٩٠، و﴿

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ النساء: ٢٣.

3. "نفي الحل وصيغ الأمر الدالة على الترك"،⁽³⁾ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾ البقرة:

٢٢٩، و﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الحج: ٣٠.

4. ترتيب العقوبة على الفاعل: وقد وردت هذه الصيغة في بعض آيات القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١٠)

النساء: ١٠، وأيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾

النساء: ٩٣، والسياقات هي التي تحدد مع القرائن الطلب المراد إنجازه وسيكون حديثي خلال

الصفحات التالية عن طرائق النهي غير المباشر في مادة المدونة.

(1) الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ص 841.

(2) المصدر نفسه، ص 841.

(3) الزحيلي، محمد مصطفى: الوجز في أصول الفقه الإسلامي، ط2، دار الخير، بيروت-لبنان،

1427هجري/2006م، ص30.

5.5.1. النهي غير الصريح وطرائقه في المدونة

إن اللجوء إلى النهي بالتلميح دون التصريح سببه أن العامل البلاغي يتدخل فيه فيكون أكثر تأثيرًا وإقناعًا، هذا بالإضافة إلى أنه يضيف على النص نوعًا من الفصاحة، مما يزيد النص جمالية وقوة تعبيرية، وعندها يكون وجوده ليس مجرد طلب الكف عن الفعل بل يتعداه إلى كونه أداة للتأثير الإيجابي الذي يقود إلى الإقناع النفسي. ومن هذه الطرائق التي اتبعها الخطيب في خطبه:

1.5.5.1. الجمل الخبرية بمعنى النهي.

إن استعمال الجمل الخبرية في النهي من الأساليب المتقدمة لغويًا، لأنه يُضيف إلى النصوص والخطابات نوعًا من التلطف والكياسة، وذلك لأن استبدال (لا تفعل) بالجمل الخبرية يجنب المتلقي سلطة (الحزم والاستعلاء) التي تحملها دلالة النهي المباشر بـ (لا تفعل)، والتي قد تُشعر المتلقي بنوع من الإكراه والتقييد، فتأنف نفسه كردة فعل عكسية عن القبول والانصياع، لهذا يلجأ الخطيب إلى الجمل الخبرية لخلق بيئة لغوية أكثر ودية، يتجنب بها المواجهات المباشرة، فيتخذ من الإيحاء سبيلًا أطف لتوجيه طلب النهي عن الفعل المقصود تجنبه والمراد النهي عنه، كقوله: "أن التقوى لا تتحقق مع قطيعة الرحم"،⁽¹⁾ بأسلوب خبري لطيف، وهو يريد: (لا تقطع رحمك) بسلطتها وحزمها. وجاء في سياق آخر بإيحاء التعجب من صنيع المتلاعبين بزكاة أموالهم بإنفاقها لأهل بيتهم، قال فيها: "والعجب من غني تكون زكاته بالآلاف ويدفعها إلى ولده"،⁽²⁾ أي: لا تدفع زكاتك لأهل بيتك، فأهل بيت الغني أولى أن يُنفق عليهم من أصل ماله لا من زكاته، فليسوا من مستحقي الزكاة، إلا أنه اختار عدم الحدة في مواجهتهم والتلطف في إيصال الرسالة إليهم، بهذا يكون قد فتح بابًا للمخاطب لإعمال عقله واتخاذ قراره، لا سيما إن أتقن الخطيب سياسة تقديم المبررات المنطقية المقنعة، إذ تكون الجمل خبرية بلفظها لكنها تتضمن تحذيرًا غير مباشر كقوله: "لا يتركوهم للفراغ الذي يأخذ الإنسان لطريق الغي"،⁽³⁾ فهنا يقنعهم بأن كونهم في إجازة ليس مبررًا لأن يُتركوا في حال فراغ، لأن الفراغ مما يقود إلى الفساد والغي.

(1) خطبة 23 رجب 1443 هجري.

(2) خطبة 20 رمضان 1443 هجري.

(3) خطبة 26 شوال 1443 هجري.

بهذا يكون قد برّر وحدّر في سياق لطيف، وهو يريد: (لا تتركوهم للفراغ)، وليس للمربي السويّ في حياته أهم من استثمار طاقات ابنه ليقوده بها للفوز والفلاح، فهذا اللطف كفيّل بأن يقنعه ويغير من قناعاته. أيضًا تجلت براعة الخطيب في توجيه النهي اللطيف بإثارة التساؤلات والاستفهامات التقريرية أو الإنكارية كقوله: "فأين هذا الدين السمح ممن يدّعي الحضارة وهو يهلك الحرث والنسل؟"⁽¹⁾ فهذا الأسلوب من شأنه أن يفتح آفاقًا من الوعي لدى المخاطب تجاه الأفعال المنهي عنها، فيكون كمن أبصر نورًا بداخله يدلّه على الطريق الصحيح، فيكون تجنبه للمنهي عنها من أفعال وصفات وتصرفات ناتجًا عن وعي واقتناع. ولا أنكر حقيقة الحاجة إلى النهي المباشر في المواقف الحاسمة والقطعية التي لا تقبل الخيار، والتي يكون الناهي الأول عنها هو المشرع سبحانه، بل أرى أن عين اللطف في حسم الاستجابة بتركها لسوء العواقب الوخيمة التي تنتظر مرتكبها كقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ النساء: ٢٩، و﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ النساء: ٢٩، و﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَ﴾ الإسراء: ٣٢، فكل هذا مما يتطلب وضوحًا وسرعة في الاستجابة، بل والردع. والترك واجب لا مجاملة فيه ولا مداراة. أما السياقات التي تحتمل الإصلاح والتفكير وقابلة لفرص التغير، فيكون التلطف أكثر فاعلية في تحقيقها.

2.5.5.1. نهى عن طريق ذم الفعل أو نتائجه.

إن عدول الخطيب في كثير من السياقات عن استعمال النهي المباشر واللجوء إلى طريقة ذم الفعل المنهي عنه أو ذم النتائج المترتبة عليه هو من قبيل ذوق الخطيب ووعيه بأهمية الرسالة التي تقتضي ضمان إيصالها بالطريقة المقبولة، كما أن التقليل من استعمال الأساليب المباشرة كالنهي يخفف حدة النهي ويجعله أكثر قبولًا لدى المتلقي، لا سيما في مواقف الوعظ حيث يؤمن أغلب الناس أن إيمانهم وقناعاتهم الدينية هي من الخصوصيات التي لا يحبون تدخل الناس فيها ويزعجهم الانتقاد حولها؛ لذا فالمواجهة المباشرة قد تولد نوعًا من النفور وعدم القبول للنصح، فعندما يلجأ الخطيب إلى ذم الفعل نفسه بدل النهي المباشر لصاحبه يجعل النقد أقل حدة. ومن الأمثلة التي جاءت في هذا

(1) خطبة 4 جمادى الآخرة 1443 هجري.

السياق قوله: "أن من كبريات الأخطاء أن يعمد الأب إلى ولده الصغير فيعطيه هاتفا"،⁽¹⁾ وهو يريد في الحقيقة: (لا تعطِ هاتفا لابنك). إلا أنه اختار وصف هذا الفعل بالخطأ متحاشياً المواجهة المباشرة للمخاطب وفي سياق آخر قال: "أنه من الخطأ أن ينصرف الإنسان قبل أن يخطب الإمام"،⁽²⁾ وهو يعني: لا تنصرف قبل أن يخطب الإمام، وقد وصف هذا الفعل بالخطأ أيضاً. وفي موضع آخر يُنهي فيه عن الإسراف والتقتير، وقد وصفهما بالضرر، قال: "إن الإفراط ضرر والتفريط ضرر أيضاً فالإفراط يولج الإنسان في الإسراف والتفريط يولجه في التقتير وكلهما مذموم"،⁽³⁾ وهو يريد قطعاً لا تسرف ولا تقتّر. إلا أنه تحاشى ذلك بزم الفعل وتوضيح أنهما مذمومان، وجاء في سياق آخر يصف فيه الفعل بالخطر، قال فيه: "أن من الخطر بمكان أن يميل الناس إلى المحاكاة والتقليد"،⁽⁴⁾ أي: لا تحاك ولا تقلد. ومما جاء في النصوص من ذم العواقب قوله: "حسب المسرف أن الله لا يحبه"،⁽⁵⁾ وقوله: "وحسب الشحيح أنه بعيد عن الفلاح"،⁽⁶⁾ فإدراك المرء لما يوبق مصيره الديني كالخروج من محبة الله والبعد عن الفلاح كفيل بأن يعيد المرء إلى رشده فيزدجر من تلقاء نفسه ليعيد النظر في تصرفاته فيصلحها. كما أن اتباع الخطيب طريقة التحذير من الفعل وعواقبه وما يترتب عليه من نتائج سلبية بعيداً عن المواجهة المباشرة بالنهي بـ (لا تفعل) يعزز من فتح مجال عند المتلقي ويدفعه للتفكير والاختيار دون إكراه أو إلزام. أيضاً يأتي الاستشهاد بنماذج كانت ضحية لهذا الفعل أو الصنيع المنهي عنه بوقوعهم في خطر البعد عن منهج الله وهدى نبيه جديراً بوصول النهي بلطف كما جاء في قوله: "إنه من البعد عن منهاج الله وعن هدى رسوله أن تكون هناك قطيعة بين والد وولده"،⁽⁷⁾ فهذا يجعل المتلقي يراجع نفسه فيأبى عليها الوقوع في مثله.

(1) خطبة 18 جمادى الآخرة 1443 هجري.

(2) خطبة 9 ذي الحجة 1443 هجري.

(3) خطبة 8 جمادى الأولى 1444 هجري.

(4) خطبة 22 صفر 1445 هجري.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

(7) خطبة 23 رجب 1443 هجري.

1.3.5.5.1. نهى عن طريق التوجيه ونفي السلوك.

اتَّخذ الخطيب التوجُّه باستعمال عبارة "لا ينبغي" و "ليس من" ينفي السلوك كبديل عن النهي المباشر، وأرى أن اتباع مثل هذا التوجه أكثر دقة وفاعلية من المواجهة المباشرة في تحقيق أهداف الخطاب، بل ويضمن استجابة إيجابية من المتلقي دون التعرض لنوع من المقاومة أو الرفض. فنجد أن الخطيب أحسن استعمال السياق المناسب وعبر بالكلمات والتعبير التي تتناسب مع الخلفية الثقافية والاجتماعية لأغلبية المخاطبين، فركز على الملمح الروحي لعلمه بحاجة الناس لما يسمو بأرواحهم من ثقل الحياة كقوله: "في آية الإسراء ملمح روحي لا ينبغي أن يغفل عنه المؤمن"⁽¹⁾ وفي سياق آخر قال: "لا ينبغي أن يكون في المسلمين من هو غير سعيد في ذلك اليوم"⁽²⁾، و"لا ينبغي أن يترك الدعاء بالشفاء"⁽³⁾ فهذه السياقات كفيلة بأن توجي للمخاطب مدى حرص الخطيب واهتمامه بسلامتهم وسعادتهم واستقرار أرواحهم، وهذا مما يوجب له الإصغاء والقبول. وحقيقة الأمر أن الخطيب لو استعمل أسلوبه المباشر لكان: (لا تغفل، لا تترك الدعاء، لا تعطل تعظيم شعيرة العيد)، وشتان بين تأثير الأسلوبين! فالإنسان إن أتاه العيد وهو مكلوم بفقد عزيز، لا يمكن أن يتقبل فكرة هذا النهي (لا تفعل)، ولكنه اختار تعبير (ينبغي أن تكون سعيدا)، وكذلك بالنسبة للحالات الأخرى ممن ابتلي بأمراض مزمنة يئس فيها من الشفاء، أو أرهقته الحياة عن صفاء التأمّلات الروحية فتزعزعت لها سكينتهم واطمئنأنهم. أيضًا استطاع الخطيب تعزيز الدوافع الداخلية في خطابه، مسخرًا عبارة "لا ينبغي" بطريقة لطيفة تلامس الروح وتستنهضهم برضى للترك والتغير، كقوله: "لا ينبغي للإنسان أن يكون سفره مهملا من غير نية خير"⁽⁴⁾ فهنا تعزيز واضح لتجديد نوايا الخير وتحسينها، وفي سياق مماثل قال: "للسفر آداب لا ينبغي للإنسان أن يغفل عنها"، وأيضًا استنهض لدوافع الخير من آداب وخصال. أيضًا، جاء في بعض السياقات استعمال النهي بعبارة "ليس من"، وغالبا ما ترتبط هذه العبارة بالسلوك والقيم الاجتماعية، ومما جاء بها: "ليس من استقبال ذلك اليوم العظيم بقاء قطيعة بين

(1) خطبة 1 شعبان 1443 هجري.

(2) خطبة 27 رمضان 1443 هجري.

(3) خطبة 22 جمادى الأولى 1444 هجري.

(4) خطبة 16 ذي الحجة 1443 هجري.

مؤمّنين"،⁽¹⁾ فقد جاء النهي هنا عن الخصومات بين المؤمنين، ووجوب إصلاح العلاقات، وفضّ وجوه القطيعة بين الناس. ولو أنه باشر بالنهي الصريح لقال: لا تقاطع أخاك المؤمن إلا أنه اختار هذا الأسلوب اللين واللطيف طلبًا للاستجابة وسعيًا لتحقيق أهداف الوعظ ووصولًا بهم إلى الإيمان الحق. كما ورد النهي في بعض السياقات باستعمال بعض الألفاظ التي تدل عليه في غير صيغته المعلومة كلفظ "تجنب"، حيث قال: "وتجنب مواطنه وعدم الاقتراب منه"،⁽²⁾ وهو يريد قطعًا نهائيًا بـ (لا تقترب)، فأعطت اللفظة نوعًا من الترفق في القول والحرص على مشاعر المتلقي واحترامًا لمقامه.

4.5.5.1. التعبير الشرطي

يُعد التعبير الشرطي أحد الأدوات اللغوية في اللغة العربية، وتأتي أهميته من كونه يعكس العلاقة بين كل سبب ونتيجته، وقد وجدنا أن مؤلف الخطبة سخّر كأحد الأساليب في التعبير عن النهي غير الصريح، إذ يمكن من خلاله تحديد فعل غير مقبول يريد أن ينهى عنه، فيربطه بنتيجة سلبية تنعكس عن ذلك الفعل المشين، فيحقق الأسلوب قراءة توعوية للمخاطبين بقبح ذلك الفعل دون الحاجة لنهيم بشكل مباشر عنه، ويُعد اتباع الخطيب لهذا الأسلوب من قبيل التلطف والتخفيف من حدة الطلب أو التوجيه، فيجعل التعليمات والتوجيهات أكثر دبلوماسية؛ هذا بالإضافة إلى أنه يعبر عن نوع من الاحترام للطرف الآخر إذ يتيح له خيار الاختيار بنفسه دون إكراه، وكخطوة ذكية للتحايل باللغة وتحويل الخطاب إلى نمط إيجابي مقبول دون الحاجة للتصادم مع المخاطب بالمواجهة التي قد ينتج عنها رفض. فالشرط منه إقرار ولطفه عام وفي عمومه سر لطافته.

سنوضح ذلك بالأمثلة ففي قول الخطيب: "ومتى ما كان الإنسان بتعاملاته المخالفة للدين سببا في نفور الناس عن الإسلام ووطنهم أنه ليس حقًا كان فتنة للذين كفروا"،⁽³⁾ فهنا جعل الخطيب قوله في أسلوب شرطي بمعنى: كلما كان تعامل الإنسان مخالفاً لأخلاق القرآن، تسبب في نفور الناس عن الإسلام، وكان سببًا في فتنهم عن دينهم. فالسبب سوء معاملة، والنتيجة فتنة الناس عن

(1) خطبة 27 رمضان 1443 هجري.

(2) خطبة 5 رجب 1444 هجري.

(3) خطبة 20 رجب 1444 هجري.

دينهم، وهذا أمر خطير جدًا له دوافع وخيمة. فهو يريد أن ينهاهم عن سوء الخلق وعن سائر التعامل الذي لا يتوافق مع المنظومة الأخلاقية في القرآن الكريم، لأن الدين المعاملة، والمؤمن يجب أن تكون أخلاقه دالة على جوهر دينه الذي يدعو للصدق والأمانة والبر والعدل والإحسان والرفق. فالرسول الكريم عندما وُصِفَتْ أخلاقه شُبِّهَتْ بالقرآن الذي يمشي على الأرض. "عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"⁽¹⁾ فنجد أن جعل الفعل غير المرغوب كسبب تتولد عنه نتيجة غير مقبولة ولا مرغوبة أكثر إقناعاً من النهي المباشر، وهذا يدفع المخاطب بشكل تلقائي إلى تجنب هذا الفعل دون الشعور بأي نوع من الإلزام أو الإجبار.

فيكون الخطيب قد وُفِّقَ في تحقيق هدفه في إيصال الرسالة، وبطريقة يتجسد فيها نوع من اللباقة والذوق في طريقة الخطاب، فجعل النهي أكثر قبولاً؛ إذ إنه أعطى نوعاً من حرية القرار للمتلقي، وهذا يشعره بأنه يملك القرار فلا يقاوم النهي. ومن ناحية أخرى، يمكن وصف هذا الأسلوب بأنه إيجابي لأنه يبرز النتيجة بدلاً من التركيز على الفعل السلبي والتفريع عليه؛ فهو يجعل التوجيه أكثر لطفاً وأقل حدة وأفضل للاستجابة. وفي سياق آخر، جاء قوله: "إن من مظاهر الغفلة عن الحق أن يسأل سائل عن جواز إعطاء الزكاة لأبيه أو أمه"،⁽²⁾ فسبب سؤال الغني عن جواز تقديم زكاة ماله لأهل بيته كان نتيجة الغفلة عن الحق، لذا وجب تجنب النهي الذي أراد به (لا تدفع زكاة مالك لأبيك أيها الغافل)، لما يحمله من مواجهة شديدة اللهجة قد تعكس النتائج المرجوة وتمنع تحققها. بهذا يمكن أن نصف تواصل الخطيب بالناجح إذا أتقن فن التواصل الذكي واستطاع بخبرته قدر الإمكان تجنب الأساليب الطلبية المباشرة التي تحمل معاني الإلزام والاستعلاء، واستبدالها بطرق وأساليب غير مباشرة تحقق الطلب والأهداف المرجو تحقيقها، متجنباً زيادة الرفض والمقاومة كردة فعل طبيعية من المتلقي إن أحس بعدم مراعاته أو بنوع من الإجبار في التوجيه، مما يدفعه إلى التمسك بسلوكه. أيضاً يمكن القول إن المواجهات المباشرة تؤدي أحياناً إلى نوع من التصعيد؛ وخلق جو من التحدي، لا سيما إن

(1) ابن حنبل، ج42، ص183.

(2) خطبة 20 رمضان 1443 هجري.

شعر المتلقي بالنقد والاستهانة بأفكاره ومشاعره وظروفه أو حتى التشكيك في بذله وقدراته، فالمرء يميل بدواعٍ فطرية لمن يقدره ويعززه ويحترمه.

ولا يمكن أن نغفل أن استعمال الشدة في المواجهة وعدم مراعاة الطرف الآخر يحد من تحقيق الأهداف التواصلية، ويقلل من الاستجابة بشكل عام، ولو اتبع الخطباء هذا المنهج لَخَلَّت المساجد من حضور الناس، لا سيما هذه الأجيال بتفكرها المنفتح للاستقلالية والحرية، ووجود القناعة كمطلب أساسي في تقبل الأفكار والعقائد في زمن أصبحت فيه للمؤثرات الدخيلة اليد الطولى في التأثير على العقائد وتشكيل الفكر لدى الشباب. فالواحد منهم قبل أن يُمنع بالنهاي يجب أن يقتنع ويفهم سبب نهيه وإلا أثر التجاهل والرفض لشعوره بسياسة الإكراه دون أن يسمح لنفسه حتى بفرصة لاستيعاب الهدف المنشود والتفكير فيه، وقد يقود كل ذلك إلى نفور العلاقات فيعزف الكثير منهم عن التجمعات الدينية وأخذ انطباع الشدة عنها، وهذا حاصل في المجتمعات التي رأى وعَظَّها أن الشدة والغلظة في الخطاب أسلوب دعوة وإرشاد، فعاش شبابها بفكر مشوه عن الوعظ والدين.

لأنهم أحسوا الرفض وعدم التقدير والتعارض مع توجهاتهم ومشاعرهم، وهذا فكر مغلوط، فالدين يسر ورحمة ونجاة، بل ودستور قويم يناسب كل زمان ومكان، وهو بمثابة خارطة الطريق للحياة السوية والنجاة، ودليل السعادة والخير. بهذا فالأسلوب الخطأ في الوعظ سبب في فقدان الفرص لإحداث التغيرات العميقة المطلوبة في الناس. ناهيك عن أن الأساليب المباشرة في الخطاب، إن اتسمت بنوع من شدة اللهجة والغلظة وكانت سياسة الاستعلاء والإلزام أساساً فيها، فسيكون التغيير في المتلقي عادة بدافع الهيبة أو الرهبة، وحتى وإن حصل تغيير فلا يلبث أن يزول لأنه سطحي لم يحصل عن اقتناع.

6.5.1. النهي المباشر ودواعيه في الوعظ.

بالاطلاع على نصوص المادة المدروسة، نلاحظ أنها لم تخلُ من أسلوب النهي المباشر، فاستعمال الأساليب غير الصريحة ليس حصراً في هذه المادة، بل جاءت النصوص متزنة ومدروسة بحيث وضع كل أسلوب في موضعه بوعي وعناية تحددهما الحاجة والسياقات وطبيعة المخاطبين ونوع المنهي عنه. ففضية الحاجة الماسة إلى اتباع اللين والرفق في الوعظ، هذا أمر لا خلاف فيه، بل هو

مطلب ديني وإنساني وأخلاقي، وأن دعوة الناس بالترغيب أدعى للاستجابة والقبول من الدعوة بالترهيب، إلا أنه من الضروري أن يستوعب المرء أن هناك حالات تستوجب الحزم والتحذير من كبريات المعاصي والمحاذير الشرعية التي تفسد على المرء دينه وإنسانيته وأخلاقه أو تخرجه من دائرة الدين كله. فيكون اللين والتعاطف في هذه المواطن ليس رحمة وليست من باب اللطف؛ لأن اللطف الحقيقي هو الحرص على السلامة والنجاة مهما بدت قسوة وغلظة في بادئ الأمر، كالنهي عن الشرك والظلم والباطل، فكلها مفسدة مهلكة موبقة. وأوضح ما جاء في النهي المباشر في هذه الخطب هو النهي التحذيري الذي يدل على الحرص وليس من قبيل الشدة كقوله: "إياك أن تجرح مشاعر الآخرين متناولاً أعراضهم"⁽¹⁾، وقوله: "إياك وسوء الظن بالمسلمين"⁽²⁾، وتأتي هذه السياقات المباشرة مدعومة بالبراهين المقنعة ليكون الانتهاء عنها بوعي وليس مجرد نهى جاف منفر، ومما أود الإشارة إليه أن مراعاة الأوقات المناسبة كطرحها في وقت شيوع ظاهرة عمت نتائجها السلبية وفاح أثرها ليكون الوقوف المباشر لها أمراً ضرورياً. أيضاً، من الأهمية بمكان حسن انتقاء الألفاظ بحيث تكون في حدود الذوق والأخلاق والأدب والنأي عن كل ما هو نابٍ وجارح قد يؤدي النفوس ويجرح كرامتها، وهذا كله مما رُوعي في نصوص المادة المدروسة إذ تفيض أدباً ووعياً وذوقاً وحشمةً، تأسيا بمنهجية القرآن الذي تراوح فيه النهي بين المباشر وغير المباشر بما يستدعيه النهي ويتطلبه، فنهي مباشرة عن القضايا التي لا تحتمل المجاملة والمداراة كقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الإسراء: ٣٩.

(1) خطبة 8 صفر 1445 هجري.

(2) المصدر نفسه

الفصل الثاني

أساليب التلطف في خطب الجمعة: بين التداول والإحصاء

- المبحث الأول: دور أساليب التلطف تداوليًا في تحقيق أهداف الخطب وتهذيب خطابها
- المبحث الثاني: أثر أساليب التلطف في خطب الجمعة عند جموع المصلين.
- المبحث الثالث: بيان مدى تكرار أساليب التلطف اللغوي إحصائياً وشيوعها.
- المبحث الرابع: علاقة شيوع أساليب التلطف اللغوي بنمط الخطبة وأهدافها.

الفصل الثاني

أساليب التلطف في خطب الجمعة: بين التداول والإحصاء

1.2. المبحث الأول: دور أساليب التلطف تداولياً في تحقيق أهداف الخطب وتهذيب خطابها

1.1.2. الخُطب من منظور تداولي:

ترى التداولية أهمية الخطاب في كونه أحد أشكال التواصل في المجتمعات الإنسانية بين الناس، وقد أولى العرب فن الخطابة اهتماماً منذ القدم لأهميته كجسر تواصل في كثير من القضايا الاجتماعية والسياسية والقضائية والدينية المشتركة التي تعيشها المجتمعات، فجاءت هذه الخطب كمنبر إبلاغي وتواصلية وتوجيهي فاعل. لذا، لم يكن غريباً يوماً أن تمثل هذه الخطب ركيزة مهمة في نمط الحياة التواصلية بين الناس، لذا فإن تناول اللسانيات التداولية في الدراسات الحديثة للخطاب كان مركزاً على مقاصد الكلام والسياق، وعنايتها بالإستراتيجيات التوجيهية والإقناعية والتأثيرية فيها، والتي تقوم على فكرة إيصال الأفكار والرسائل والقناعات إلى الناس. وهنا سأخص الحديث عن نوع محدد من الخطاب وهي (الخطب)، وعلى وجه الخصوص خطب الجمعة بأبعادها التداولية، من خلال الوقوف على الأساليب المتضمنة في هذه الخطب من تحية وتقدير ونداء ودعاء وأمر ونهي للوصول إلى التلطف اللغوي فيها، وكيف ساهمت في تهذيب الخطاب بشكل عام. فخطب الجمعة في عمان لم تكن اعتباطية، بل هي خطاب مُعدّ ومدروس ومقصود بأهداف محددة، تسخر فيه جهود كُتّاب وخطباء مُدْرَبين لإيصالها من خلال خُطبة مُعدة ومدروسة ومقصودة في معظم الأحيان بما يتزامن مع مرور الناس بظروف طارئة أو أحوال ومناسبات معينة، فتوكل أمور إيصالها لخبير بليغ مُلم بأحوال الخطاب وسياساته، يعتمد فيها على أساليب وإستراتيجيات مختلفة ترمي إلى تحقيق أهدافها وبلوغ مقاصدها.

وبالحديث عن التداولية، فإن "الدراسات التداولية تعود إلى خمسينيات القرن العشرين"⁽¹⁾، وقد تم اصطلاح مصطلح (التداوليات) منذ "عام 1970م مقابلاً للمصطلح (براغماتيقا)، وذلك لأنه يفي

(1) صديق، محمد رجب: الخطاب والتداولية مدخل نظري، حوليات آداب عين شمس، مج44، يوليو- سبتمبر 2016، ص254.

المطلوب حقه باعتبار دلالاته على معنبي (الاستعمال والتفاعل) معاً"،⁽¹⁾ ومصطلح البراغماتية كترجمة عربية له يعني "المنفعة التي تتحقق من الخطاب أو الإنجاز الفعلي"،⁽²⁾ ومن هذا المعنى استقر الباحثون على مصطلح التداولية. وتحدد "التداولية باعتبارها دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة النسق اللغوي"،⁽³⁾ غُنيت الدراسات التداولية بدراسة الخطاب على أسس ومعايير محددة؛ فهي بمثابة الدعائم والركائز فيه، ف جاء تركيزها على الأفعال الكلامية وطريقة إنجازها، التي قد تكون بشكل مباشر أو غير مباشر، المهم أن يتحقق إنجازها بإيصال المقصد الخطابي لدى المتكلم، وعليه يكون المتلقي أو المخاطب قادراً على فهم الخطاب الموجه إليه مستعيناً بالسياق وحال المُخاطب ووجود المعرفة المشتركة بينهما، مما يعينه على فهم الخطاب وتحليله. وبذلك يكون المتكلم قد حقق مقاصد خطابه الضمنية في القول دون الحاجة في كثير من الأحيان إلى التصريح بها، مراعاةً لنفسية المخاطب وتقديرًا له، مع ضمان تحقيق الرسالة ووصولها، ومن ثم معاينة مدى أثرها وتأثيرها على المتلقي أو دورها في التأثير على السامع "فالمعالجة التداولية ليست مختصة ولكنها تعود إلى الاشتغال المركزي للفكر، ويتمثل الحل الوسط في افتراض تفاعل بين التداولية واللسانيات".⁽⁴⁾ كما أن المعطيات البلاغية في النصوص ليست مجرد زينة لغوية بل لها دور واضح في التأثير التداولي المباشر بمعنى أن المعطيات البلاغية تثري التحليل التداولي من خلال تفسير هذه الأساليب بالكشف عن المقصود "وتتداخل المعطيات البلاغية بشكل كبير مع منظومة التداولية، كحالات الأفعال الكلامية وحالات إنتاج الخطاب المكونة من العناصر الرئيسية للتداولية (المخاطب، والمخاطب، والخطاب، والسياق)، تجسيداً لقصدية المتخاطبين التي تقوم على التواصل".⁽⁵⁾

(1) عبدالرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، 2000م، ص28.

(2) عكاشة، محمود: النظرية البرجماتية (التداولية)، ط1، القاهرة-مكتبة الآداب، 2013م، ص15.

(3) شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك: معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، دار سناترا، تونس، 2008م، ص442.

(4) المرجع نفسه، ص443.

(5) صديق، الخطاب والتداولية مدخل نظري ص252.

فمن الأمور المهمة في نظر التداولية في الخطاب أيضًا رتبة المتكلم، فالخطيب في الخطبة يكون في أعلى مرتبة في الخطاب، والذي يكون خطابه موجهاً إلى عقليات مختلفة ومتباينة التفكير، وهنا لا بد أن يركز على سلطته التوجيهية لأنها مرتبط التأثير في سلوك المتلقين، مع الحرص البالغ على وصول هذه الرسائل وضمان تحقيق أهداف الخطاب. ومن المعلوم أن كل ذلك لن يتحقق إلا بالحرص على شعور المتلقي ومراعاته، ومحاولة الوصول إلى قلبه قبل عقله بسياسة فن التلطف اللغوي، والنزوع عن اتباع كل ما من شأنه أن يترك المتلقي تحت تأثير الإكراه أو الاستعلاء أو الإلزام، والنأي في الخطاب عن فرض الآراء والأفكار، واللجوء إلى سياسة التوجيه والإقناع مع مراعاة حضوره الذهني وشد انتباهه بين الغينة والأخرى، كون أن الخطاب في الخطبة خطاب يستأثر فيه الخطيب بالحديث. ويأتي اهتمام "التداولية بالمتكلم ومقاصده باعتباره المحرك لعملية التواصل"،⁽¹⁾ بهذا، فإن القائمين على كتابة الخطب في السلطنة كان لهم جهد واضح في تلطيف الخطاب الديني، والحد من توجيه الأوامر والنواهي بطرق مباشرة، أو استعمال الطلب والأمريات بطريقة ملزمة، بل كانت سياسة التأمل والتدرج في الإقناع المنطقي وفتح المجال أمام المخاطبين لاتخاذ القرار بديلاً واضحاً يعين المتلقي على قبول الوعظ والإرشاد، فيصبح عندها التوجيه والعرض والطلب ليناً لطيفاً يستدعي القبول والاستجابة، وتسخر في سبيله أساليب الدعاء وألفاظ مشعرة بالتقدير والنداء الرقيق، والأمر والنهي غير المباشرين.

وهذا شأن التداولية في تبنيتها لسياسات الخطاب، إذ تولي المتلقي أقصى درجات الاهتمام، متفحصة جوانب استقباله وتقبله وتأثير الرسالة عليه، متجنبة لكل ما من شأنه أن يخلف ضرراً أو تأثيراً سلبياً عليه، مع الحرص الكبير على تحقيق أهداف الخطاب بشكل عام، والخطاب الديني على وجه الخصوص المتمثل في خطب الجمعة، وذلك لارتباط أهدافها بصلاح الأفراد والمجتمعات ونمائها ورفقها ونهضتها. لذا، فإن توخي الحرص لتحقيقها يتمثل في مراعاة التلطف اللغوي بها، مع الحرص على فاعلية الأساليب المستعملة بقوة إنجازية محققة في أفعالها الكلامية، ومراعاة وضوح القصد فيها. فكما هو معلوم أن مما يضمن تحقيق أهداف الخطاب هو وضوح القصد وظهوره، مع التركيز في هذا

(1) صديق، الخطاب والتداولية مدخل نظري ص 255.

البحث على ظهوره بطريقة تطفية أقل حدة وأقل أمرية، والتي تظهر بشكل واضح في أساليب الأمر والنهي. لذا، يكون التوجه الإرشادي غير الصريح أدعى لظهور الرغبات الصادقة في الوعظ المدفوع بحب النصح لتحقيق النفع وبلوغ النجاة للمخاطبين. وهذا الأسلوب من شأنه أيضًا أن يخفض سقف سلطة الخطيب الاستعلائية في الخطاب، فيقربه إلى مرتبة القبول لدى المخاطبين، وهذا بدوره يدعو إلى قبول الخطاب وتقبله، مع بقاء الخطيب في رتبة مقامية رفيعة يسودها التقدير والاحترام والإجلال، دون أن ينقص من قدره شيء.

2.1.2. التداولية لغة واصطلاحًا

إن الباحث عن أصل كلمة تداولية يجد أنها من الأصل اللغوي (د و ل)، وبالرجوع إلى معجم لسان العرب لابن منظور يجد أن دول - كما قال أبو عبيدة -: "الدولة بالضم اسم للشيء الذي يُتداول به بعينه. وقال الفراء في قوله تعالى: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)، إنما الدّولة للجيشين يهزم هذا هذا ثم يهزم الهازم. وقال الزجاج: الدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال. وفي حديث الدعاء وقول النبي: (لم يتداوله بينك وبينه الرجال) أي: لم يتناقله الرجال. ودالت الأيام أي: دارت، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة".⁽¹⁾

فالتداولية عندما تأتي لدراسة خطاب كخطب الجمعة، لا بد أن يكون تركيزها على ما سيقال في هذه الخطبة، ولماذا قيل وكيف سيُفهم، مع الأخذ في الاعتبار السياق الذي يتم فيه عرض هذا الخطاب، فكل ما يطرحه الخطيب لا بد أن يكون مرتبطًا بواقع المخاطبين، حتى يستطيع المتلقي أن يستنتج المغزى الأخلاقي أو الديني أو التربوي المطروح، فيكون التوجيه والإقناع مقدمين في قالب من الاستشهادات، وكثيرًا ما يلجأ الخطباء إلى التلميح في بعض الأحداث دون تسميتها صراحة من باب الحرص والذوق، وبسبب وجود المعرفة المشتركة يستطيع المتلقي ربطها تلقائيًا بالمستجدات التي يعرفونها. لذا تعد التداولية تخصصًا لسانيًا حديثًا يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في

(1) ابن منظور، ص 1455-1456.

أحاديثهم وخطاباتهم، وكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث. وتهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل، باعتبارها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت".⁽¹⁾

ومن التعاريف التي اصطلح عليها العلماء لتعريف التداولية: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى يتمثل الوصول إليه في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما"،⁽²⁾ وتهتم التداولية بقصد المتكلم حتى إن كان القصد منطوقاً غير صريح، وتأتي أهميتها في أنها تساعد على فهم اللغة كما تستعمل فعلياً، إذ يكشف تحليل الخطاب عن فهم اللغة الطبيعية وطريقة استعمال الناس لها لتحقيق أهدافهم على اختلافها، لأن التداولية هي بمثابة "مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب"،⁽³⁾ ومن أهم المبادئ في اللسانيات التداولية هو مبدأ (القصدية)، "الذي استثمره الفيلسوف أوستين في دراسة ظاهرة (الأفعال الكلامية)، وقام تلميذه سيرل بنفس الصنيع حينما اتخذ معياراً أساسياً لتصنيف (القوى المتضمنة في القول)"⁽⁴⁾ وبهذه المبادئ تقوم دراسات تحليل الخطاب الحديثة في اللسانيات التداولية.

3.1.2. البعد التداولي في التحية والتقدير.

تعالج الدراسات التداولية موضوع التحايا من خلال تحليل السياقات التي وردت فيها، فيكون تحليلها مبنياً على فهم الخطاب في ضوء المقام والسياق وعلاقتها بالمتكلم والمخاطب، وتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية المحيطة. لذا، تُعامل التحية في الخطاب كعنصر أساسي له دور واضح في عملية التواصل والاتصال وتعزيز التفاعل الاجتماعي، كما أنها مظهر من مظاهر التقدير بين المتخاطبين، وتساهم في بناء العلاقات الإيجابية والمهنية في البيئات الرسمية، وتمثل التحية الرسمية في المنظور التداولي طابع الرسمية والمهنية والتزاماً بأخلاقيات العمل، وتُقدم هذه التحايا وفقاً لثقافة

(1) صديق، ص 251.

(2) المرجع نفسه، ص 255.

(3) صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ط 1، دار الطليعة للطباعة، بيروت-لبنان، 2005م، ص 5.

(4) المرجع نفسه، ص 23.

المجتمع الذي تنشأ فيه؛ فقد تكون على هيئة مصافحة باليد، أو تقديم بعض العبارات المهذبة والمهنية مع الرؤساء والزملاء. كما أن التحية تلعب دورًا في بناء العلاقات الدولية، فتعكس بدورها احترام الدول والثقافات المختلفة، ويعد تبادل التحايا من قبل المسؤولين بين الدول مؤشرًا على مدى حسن العلاقة بين البلدين، ولا يمكن بطبيعة الحال تجاهل مثل هذه الخطابات، بل تستوجب الرد عليها من باب الذوق والتهذيب، ويبرز مقام التحية في الجوانب الثقافية كمؤشرات إيجابية تتجلى فيها إستراتيجيات التحايا كأفعال كلامية تعكس الاحترام والمجاملات. كما أن إلقاء التحايا والرد عليها يأتي من باب حفظ الوجه، يحفظ بها المتخاطبون كرامتهم من خلال انتقاء المفردات المناسبة، ويرتبط استعمال التحايا في التداولية بالتقدير في الخطاب وتعزيز الفهم المتبادل حسب السياق الذي ترد فيه.

تعد التحايا من المواضيع التي تناولها التداوليون كنقاط اتصال لفظية بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، إن تبادل التحية يتكون من ثلاثة مكونات: العبارات الصيغية، أشكال الخطاب والتواصل اللفظي⁽¹⁾ والتي بدورها يمكن أن تمثل قوانين اجتماعية وثقافية، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بمفاهيم اللباقة والأعراف الاجتماعية، والموجهة بمعايير تعكس التوقعات الاجتماعية، وتبرز أهميتها في التداولية من خلال أنها تعكس شخصية المتحدث والسمات الثقافية والاجتماعية التي ينتمي إليها، فهي ليست مجرد كلمات تقال بل تحمل من المعاني والدلالات ما يتجاوز المعنى الظاهري، إذ إنها تمثل أدوات حيوية لتأسيس العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها، ولدورها الفعال في عمليات الاتصال اللغوي، لكونها تمثل جزءًا من السلوك اللغوي اليومي عند الأفراد، ودورها في تحديد العلاقات الاجتماعية، وتأثيرها على شكل الحوار والتفاهم بين الأطراف المشاركة في عمليات الاتصال؛ لذا اهتم العلماء والدارسون بتفسيرها ودراسة تأثيرها النفسي والاجتماعي، وتحليل العوامل التي تساهم في اختيار وتحديد نوعية التحية، وكيفية استعمالها في سياقها اللغوي، مما يعزز الفهم الأعمق لكيفية بناء العلاقات، كما سيأتي بيان نماذج من هذه الدراسات خلال السطور التالية والهدف من ذلك كله الوصول إلى عمليات اتصال ناجحة تتحقق بها أهداف الخطاب لتسهيل التفاعلات الاجتماعية بطريقة تتماشى مع توقعات المجتمع وقيمه، لذا كانت

(1) ربابه، محمود علي: لغة الرجال والنساء "استفسارات حول الصحة باللهجة العربية الأردنية"، المجلة العلمية الأوروبية، مج8، ع10، طبعة مايو، ص86. بحث مترجم <https://core.ac.uk/download/pdf/236413015.pdf>

التحايا وما زالت من العوامل المؤثرة في بناء العلاقات والثقة في التواصل الفعال. وتلجأ التداولية في تفسير أساليب التحايا في دراستها إلى استعمال العديد من النظريات والمفاهيم الخاصة بالعلم اللغوي والاجتماعي، لأنها تحتاج إلى فهم العديد من الرموز الثقافية المتضمنة في عبارات التحايا وسياقاتها المختلفة والمقام الذي قيلت فيه؛ فـ"يمكن استخدام التحيات كمؤشر على الانتماء الديني للمتحدث على سبيل المثال (السلام عليكم)، هي تحية إسلامية يستخدمها المسلمون في الغالب، وفي حالات نادرة قد يستخدمها المسيحيون وذلك لإظهار الاحترام والتضامن معهم كمسلمين، أما التحيات الأخرى مثل "مرحباً" و"صباح الخير" فيمكن للمسلمين والمسيحيين استخدامها"⁽¹⁾ لأنها لا تمثل مؤشراً دينياً معيناً، لهذا يرون أن التحايا تمثل هوية ثقافية في المجتمعات المختلفة وجزءاً من نسيج الحياة الاجتماعية، مع التركيز على دورها في خلق المشاعر النبيلة بين الأطراف المتخاطبة.

وقد أشار الباحث "محمود ربابه" في دراسته إلى بعض آراء علماء التداولية حول التحية، وسألح إلى بعضها كما جاء في هذه الدراسة بتسلسلها الزمني: "العالم (جوفمان: 1971)، يرى أهمية الأفعال الكلامية للتحية ومقدرتها على ترجمة طقوس هذه التحايا في الثقافات المختلفة، ويقول في هذا الصدد: (إن تبادل التحية يتكون من نوعين وهما تحية عادية وتحية جذابة)"⁽²⁾ فهو يمايز استعمال التحايا بناء على نوع العلاقة مع المخاطب، ويمكن للتحايا الجذابة حسب وصفه أن تعيد العلاقات بين المقربين، والتحايا العادية يمكن أن تضمن المواقف الآمنة مع الغرباء.

أما العالم (فيرث: 1973)، فعرف التحية بأنها طقوس وجعلها نوعين: "لفظية وغير لفظية أما اللفظية، فيمكن أن يعبر عنها بثلاث وحدات لغوية وهي: (السؤال — "كيف الحال؟)، أو التعجب بـ (مرحباً)، أو التأكيد بـ (جيد) عند التحية بصباح الخير"⁽³⁾.

(1) درويش، إبراهيم: اللغة والدين في الأردن، المنصة الدولية لتبادل المعرفة (IISTE)، الأردن، مج4، ع26، 2014م، ص78. بحث مترجم www.iiste.org

(2) ربابه، محمود علي: لغة الرجال والنساء "استفسارات حول الصحة باللهجة العربية الأردنية"، المجلة العلمية الأوروبية، مج8، ع10، طبعة مايو، ص86. بحث مترجم <https://core.ac.uk/download/pdf/236413015.pdf>

(3) المرجع نفسه، ص86.

كما أن المجتمعات تتباين في استعمال المجاملات والخطابات المهذبة في تحياتها، فهي أدوات تسخرها بعض المجتمعات لمد جسور من التواصل المهذب واللبق مع الآخر، بينما قد تكون مثل هذه المجاملات تجاوزات أخلاقية في مجتمع آخر، ويحكمها في ذلك الدين وتحددها الثقافة. فالمجاملات المصاحبة للتحايا تخلق الانطباعات الأولى عند المخاطب، كما أن استعمال الكلمات اللطيفة والمهذبة بشكل عام أثناء التحية يعزز الثقة والاحترام مع الآخر ويستعمل كوسيلة لتجنب الإحراج، ويتجلى أثر هذه المجاملات في تسهيل التواصل وتعميق العلاقات الصحية وتشكيل الوعي الاجتماعي التخاطبي.

إن استعمال التحية في الخطابات بطريقة مهذبة "كاستعمال كلمة (عزيزي)، ومخاطبة المخاطب بألقاب وظيفته بدل اسمه الحقيقي يشير إلى تطبيق إستراتيجية المجاملة السلبية لبراون وليفينسون (أظهر الاحترام)، وتعمل هذه الإستراتيجية على مجاملة المخاطب بإدعاء وجود علاقة عميقة معه مع الحفاظ على المسافة الاجتماعية. أيضًا يمثل هذه المجاملات في الخطاب يمكن أن تتحقق إستراتيجية المجاملة الإيجابية لنيكرسون (استخدم أشكال مناسبة من النمط)، والتي تتلخص فكرتها بإقامة نوع من العلاقة الودية مع المخاطب وهذا يدخل في إطار المجاملات الإيجابية".⁽¹⁾

4.1.2. البعد الديني وإستراتيجيات التلطف في الحمد.

إن التلطف اللغوي في الحمد، والذي يمثل أحد عناصر التحية في بداية الخطبة، يعكس معاني وخصائص لغوية ودلالية مهمة، أولها البساطة والوضوح، وهذا ما سهّل البدء والتداول فيها. وهذه البساطة عكست دلالة عميقة لتواضع الخطيب ورغبته الملحة في التعبير عن امتنانه لخالقه. والملفت للنظر أننا كبشر، إذا أحسنا بالامتنان لشخص، نحترق في التعبير المناسب لنقل هذا الشعور الكبير الذي نستشعره، إلا أن حمد الخالق معجز وبلغ من حيث سهولة اللفظ ويسر النطق ورقة العبارة، ورغم

(1) التيمي، الجنبي، إبتهاال ومنى: تحليل أسلوبى لرسائل التهنة الرسمية باللغتين الإنجليزية والعربية، المجلة العربية العالمية باللغة الإنجليزية (AWEJ)، مج12، ع3، سبتمبر 2021، ص ص257-277، ص265. بحث

مترجم https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=3952887

صغرها إلا أنها تعطي امتنانًا وشكرًا واضحًا وتوصل شعور الإنسان مهما عظم. وتثبت في نفسه الطمأنينة والارتياح، فهي كفيلة بالتقدير العميق للنعم التي أجزل بها الخالق مهما كان نوعها ومهما كان حجمها، بالإضافة إلى أنها كفيلة بأن تظهر للآخرين عمق امتنان المتحدث بنعم الله عليهم فتكون سببًا لبث الإيجابية والتفاؤل تجاه الحياة، كما أنها تُعمق التوجه الروحي والإيماني عند المرء، وهذا أسمى معاني التلطف. ويمكن أن أعدد بعض إستراتيجيات المتبعة التي يتحقق بها التلطف اللغوي في الحمد مع الإشارة إلى بعض المعاني التداولية الكامنة خلف هذه العبارات والمصطلحات التي اعتنت بها التداولية، منها:

- الاستعمال الإيجابي للعبارة: حيث تعبر عن الشكر والامتنان، وهذا يهيئ للنفوس جوًا من الرضا والسعادة.

- الإدراك الديني: لأن الإحساس بالنعم وشكر الوهاب لا يتم إلا من نفس المؤمنة الرضية.

- التخفيف من التوجه الوعظي بصيغة الأمر والنهي: في حال أن يكون الموضوع متضمنًا لرسائل ملحة تستدعي توجيهًا أمرًا، قد يشعر المخاطب بحدة واستعلاء، فالحمد هنا يخفف ويدخلهم في دائرة التذكير بأن الأمر والموجه هو من استحق هذا الحمد.

- التواصل الاجتماعي: بث الحمد مع الآخرين يعزز العلاقات الدينية التشاركية لكونهم جزءًا في تحقيق هذه الرسائل الدينية، ويخلق جوًا من الألفة، ويسهم في تحسين الحس الإيماني بوجود نعم الله الكثيرة، فيخفض شعور القلق ويعزز جوانب الإيجابية تجاه الحياة ورفع الروح المعنوية. ومن المعلوم أن الناس المتشبعين بالإيمان واليقين يرددون الحمد في وقت اشتداد البلاء وفي أشد المصائب وقعا لدوره في تقليل الشعور بالإحباط واليأس، وكاستشعار بقاء أشياء كثيرة تستحق الامتنان مهما كان الفقد. فهذه المواقف هي التي تحدد الدرجات الإيمانية لدى الناس.

هذا بالإضافة إلى أن التلطف اللغوي متجلى في استعمال العبارات الرقيقة والمعاني اللطيفة المحببة التي جاءت في مقدمة الخطبة، وسنستعرض بعض ما جاء منها في هذه الخطبة، ففي معرض حديثه عن بر الوالدين قال الخطيب: "دعانا إلى الإحسان والله يحب المحسنين.. أرحم الراحمين وموفي

الصابرين"،⁽¹⁾ فالخطاب على هذا النحو ينم عن ذوق لغوي رفيع، أيضاً جاء في خطبة أخرى: "هو يتولى الصالحين.. وقد فاز من اتقاه وخسر من عصاه"،⁽²⁾ فهنا أيضاً تتذوق النفوس حلاوة هذا الخطاب وهي تستشعر أن الله وليها، كما يوجد تल्प في التقابل بين الجمل تستسيغه الأسماع وتستوعبه الأفهام. وفي موضع آخر يصف الله الكريم قائلاً: "ذو الفضل والكرم والهيئات والإحسان"،⁽³⁾ فالمؤمن عندما يُستقبل في الخطبة بهذه البشائر في صفات خالقه كقيلة بأن تزهر نفسه بالتقاؤل والبشر، لا سيما أن كثيراً من الناس يعيشون مكدرين تحت وطأة العوز والفقر، ومثل هذا الحديث يهون عليهم ما يعيشونه. وفي موضع آخر قال: "أحل لنا الطيبات وأتم علينا النعمة وأكمل لنا الدين"،⁽⁴⁾ وهذه أساسيات عامة يمكن للمرء أن يستشعر عظمتها ليحس بفضل الله عليه مصداقاً لحديث المصطفى فيما روي عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه أن النبي قال: "من أصبح آمناً في سربه معافى في جسده عنده طعام يومه فكأنما حيزت له الدنيا"،⁽⁵⁾ فكم النفوس بحاجة لمثل هذا التذكير، لا سيما الفئات التي صارت تعلق سعادتها على شيء مادي محدد لم تتله، فكثير من الناس يستنزفون حياتهم بالحزن واليأس بمثل هذا التفكير المغلوط، مهمشين عميم النعم الأخرى التي غرقوا بها، فيأتي دور هذه العبارات لتخرجهم من هذا الانغماس وتصحح لهم مثل هذا الوعي، وتحرك فيهم دواعي الإحساس بالنعم وشكر الخالق عليها، وهذا هو اللطف بعينه. وكان استفتاح أحد الخطب: — "الحمد لله جاعل اليسر بعد العسر والسراء بعد الضراء"،⁽⁶⁾ وهنا يمكن للمرء أن يستشعر مقدار اللطف والبشائر في هذه البداية المطمئنة والتي تحمل في طياتها يقين التيسير والبشر والفرج مهما اشتدت المحن، وهذا ينم عن لطف كبير جداً قد لا يجده غير المسلم. وفي استفتاح آخر قال: "الحمد

(1) خطبة 16 رجب 1443 هجري.

(2) خطبة 8 شعبان 1443 هجري.

(3) خطبة 29 شعبان 1443 هجري.

(4) خطبة 16 ذي الحجة 1443 هجري.

(5) البخاري، محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية، تخريج: محمد الألباني، ط2، دار الصديق

للنشر، 1421 هجري/2000م، ص108-109.

(6) خطبة 30 ذي الحجة 1443 هجري

للّٰه الكريّم الرّحمن مكرم الإنسان والمنعم عليه بالسمع والبصر والعقل والجنان" (1) وقد جاء هذا الاستفتاح في معرض خطبة جاءت تنهى عن السرعة المفرطة، ويمكن للمتأمل أن يجد كمية اللطف في هذا الخطاب وهو يذكر المخاطبين بصفات اللّٰه من رحمة وكرم، ثم ذكرهم ببعض النعم كالسمع والبصر، وهنا دعوة خفية لإعمالها والحفاظ عليها، لأنها ملك للّٰه استخلفهم عليها وقد جاء التركيز على هذا الموضوع في فترة كثرت فيها مصائب الأسر، بسبب حوادث السير ورغم التهور والخطأ الكبير الذي هم بصدده إلا أن الوعظ جاء لطيفاً ليناً يخاطب الروح قبل العقل فلم يعنف ولم يتهم ولم يُحمّلهم وزر المصائب وتداعيات هذه الحوادث، بل أرادها أن تكون خطوة تغيير عن حب واقتناع، ولسان حاله يقول: لا فائدة من المحاسبة والتقريع على ما كان وانتهى، وهذا غاية اللطف. وفي خطبة أخرى قال: "جعل في دينه التيسير وأودع في أحكامه الخير الوفير" (2) غاية الذوق واللطف في الشكل والمضمون تُرغّب المخاطب في دينه وتشده إليه. وجاء في سياق آخر يحمد اللّٰه: "رافع مقامات المصلين" (3) فكم من الاطمئنان يمكن أن يلامس هذه النفوس المصلية وهي تسمع مثل هذه البشرى؟ وكم من الارتياح سيلف أعطافها؟ فهذه العبارات رغم قصرها في مقدمة الخطاب، إلا أنها يمكن أن ترفع معنويات الناس وتمدهم بالأمل. أيضاً جاء في سياق: "أرشد عباده إلى ما فيه سعادة الدنيا والفوز يوم الدين" (4) فهذا الدين عظيم في احتوائه وعنايته بهذه النفوس البشرية، يعمل في حياتهم كخارطة نجاة تقودهم للفلاح والنجاة في الدين، أيضاً جاء: "فيرزقهم محبة خلقه ويهبهم محامد وفضائل" (5) فهنا درس توعوي يفسر لهم سبب محبة بعض الناس وقبولهم عند الخلق، فالصالحون والمقربون لا يحبهم اللّٰه وحده حتى قلوب الخلق تُشرع لهم، وهذا من أدق معاني اللطف وأوسع أبوابه. كما أن عناية الخطيب بالنسق الموسيقي في هذه البدايات واضح وجلي كقوله: "تنطق الآفاق بعظمته وتخفق الأعماق بمحبته، جعل

(1) خطبة 2 ربيع الآخر 1444 هجري.

(2) خطبة 29 جمادى الأول 1444 هجري.

(3) خطبة 12 رجب 1444 هجري.

(4) خطبة 13 جمادى الآخرة 1444 هجري.

(5) خطبة 30 رمضان 1444 هجري.

بيوته مهوى للقلوب ومجلى للكروب"،⁽¹⁾ و"أكرم عباده بإقالة العثرات ومحو السيئات وفعل الخيرات"،⁽²⁾ و"أعلى المتقين المخلصين منزلة وذكرًا وأعظم للعالمين العاملين مثوبة وأجرًا".⁽³⁾

5.1.2. الدعاء في اللسانيات الحديثة من منظور تداولي.

تناولت الدراسات اللسانية الحديثة والتداولية أسلوب الدعاء باعتباره خطابًا، فدرست فيه أسلوب الخطاب وتتبع أبرز المفاهيم اللسانية التي تتعلق بالدعاء. وقد برزت أهمية الدعاء في اللسانيات الحديثة من خلال فهم تأثيره على أساليب التواصل ودراسته كنص يتم التركيز فيه على تحليل نصوص الدعاء الدعوية وتفكيكها لفهم الرسائل اللغوية والثقافية التي تحملها في طياتها "كدراسة أثر الإحالة في تحقيق الاتساق النصي"⁽⁴⁾ و"دراسة المخطط الصوري المجازي"⁽⁵⁾ و"دراسة نحو النص في دعاء السمات"⁽⁶⁾ كما سيتم بيانها خلال السطور التالية وهنا يبرز استعمال مناهج التحليل النقدية التي تسهم في تحليل بنية النص كبنية كلية مترابطة العناصر والأجزاء، وبما يحقق الاتساق النحوي فيه والكشف عن الرموز اللغوية والدلالات الثقافية التي تنطوي عليها نصوص الدعاء باستعمال أبرز وسائل لسانيات النص الحديثة كالإحالة والربط والحذف والاستبدال، وكيفية تأثيرها على المتلقي مما يعطي فهماً أعمق للتأثير اللغوي والاجتماعي للدعاء كدراسة نصية اعتنت بجوانب الترابط والتماسك فيه، والعناية بالجوانب اللغوية والثقافية المرتبطة به، والتركيز في دراسته على التصورات والمفاهيم المرتبطة بالسياق والتركيب اللساني للدعاء والتي لها علاقة مباشرة بالمتلقي وتحليلها في ضوء النظريات الحديثة وقوانينها كنظرية الأفعال الكلامية والتي تتعامل مع الدعاء كفعل يؤدي غرضًا معينًا في التواصل

(1) خطبة 20 ذي القعدة 1444 هجري.

(2) خطبة 5 ذي الحجة 1444 هجري.

(3) خطبة 1 صفر 1445 هجري.

(4) ساجت، انتظار قاسم: أثر الإحالة في تحقيق الاتساق النصي في آيات الدعاء القرآن، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مج4، ع42، 2021م.

(5) رضا، فيحاء أحمد: المخطط الصوري المجازي في دعاء الصباح للإمام علي، مجلة آداب الكوفة، ع48، ج2، شوال 1442 هجري/2021م.

(6) كاظم، عماد جبار: نحو النص في دعاء السمات قراءة تحليلية في ضوء خصائص نحو التكوين النصي، مجلة كلية التربية، ع41، ج2، تشرين الثاني 2020م.

كالاستعانة والطلب بعبارات مختلفة ك: اللهم، يا رب، وإلهي، وأسألك وغيرها من الأساليب الإنشائية والخبرية فسرتها دراسات التركيب النحوية موضحة كيف يمكن لهذا الاختلاف أن يكون سبباً في تنوع المعاني ومغازيها التعبيرية ويتفاوت في تصدر جملة الدعاء الأفعال والأسماء والمصادر.

ومحاولة فهم كيفية تأثير لغة الدعاء وبنيته على فاعلية الدعاء الإنجازية، للوصول إلى تفسير نص الدعاء من منظور لساني ونحوي، ودور الدعاء كظاهرة دينية تعبدية مؤثرة على أساليب التواصل، والذي يحتل مساحة كبيرة من الحياة اليومية للمسلم الحق. فجاءت هذه الدراسات للحاجة الماسة لفهم طبيعة مثل هذه النصوص التعبدية وعلاقتها المباشرة بحياة المسلمين، وكيف يمكن أن تسهم هذه الدراسات في التأثير على سلوك الأفراد وتعاملهم مع الدعاء، وما يتبع ذلك من نتائج إيجابية يمكن أن تثمر من ناحية تأثيرها العميق في الصحة النفسية والعقلية، بل ويمكن من خلاله تحسين العلاقات وتغيير بعض العادات للأفراد، بل ودوره وأسراره في تحقيق الرفاهية الشخصية والاجتماعية للداعي الصادق، إذ به تتحقق المعجزات وتندثر معاني المستحيات؛ لأن المدعو فيه هو الله الرازق الكريم، وهنا يبرز دور إنجاح الاتصال الحقيقي والفعلية بين الداعي والمدعو، وإيصال الرسائل القلبية والسرية والجهرية بمختلف أشكالها إلى الله بالطريقة القرآنية التي ضمنت إجابة الدعاء وتحقيقه.

ويمكن الإشارة إلى أبرز النقاط التي اهتمت بها الدراسات اللسانية الحديثة في موضوع الدعاء، منها بلاغته التعبيرية، فقد عُدَّ الدعاء وسيلة دقيقة للتعبير عن المشاعر الإنسانية تجاه خالقها، تعكس كرامة الإنسان المتصلة بالذات الإلهية العليا، وهذا ما يميز الدعاء عن الأشكال التعبيرية الأخرى. أيضاً، من ناحية أخرى، يتجلى دور الدعاء في بعده التداولي كأداة للتواصل الروحي ووجهة للخلاص من الظروف الصعبة والمعاناة التي قد تعترى الإنسان في حياته، إذ جعل الدعاء في بعض الدراسات وسيلة للتعبير عن مشاعر شتى كالأمل والقلق وفي سياقات مختلفة بعبارات عاطفية، والتي يغلب على معظم عباراتها التكرار كتأكيد على المعاني العميقة والتأكيد على شدة الطلب.

بالوقوف على بعض هذه الدراسات في الدعاء، وجدت توجه بعضها إلى التعمق في تحليل نص الدعاء في محاولة الكشف عن الإحالات الخارجية للنص ومقارنتها بالإحالات الداخلية. والافت

في مثل هذا التحليل هو شيوخ "استخدام الإحالة بضمائر مخصوصة ك (نا) الفاعلين، و(ياء) المتكلم، وهذه الإحالات تسهم في شد أجزاء النص وتماسكه"⁽¹⁾ وذلك لأن عموم الخطاب في الدعاء يكون موجهاً ومقصوداً، يدعو فيه المتكلم لنفسه ولمن حوله. وفي الأدعية القرآنية على وجه التحديد، يبرز مثل هذا النوع من الإحالات، والسبب أن الأدعية القرآنية جاءت جلها على لسان الأنبياء والصالحين، وقضيتهم الكبرى في الدعاء هي الدعوة إلى الله والدعاء لصالح ونجاة قومهم.

وفي سياق الدراسات التي تناولت الدعاء من جانب الأفعال الكلامية، فقد وُجد أنه ضمن الأفعال الكلامية التوجيهية كما يزعم العالم كلارك: "أن الدعاء هو (توجيه قوي)، ويعد جزءاً من الصلاة بمعنى أن الشخص الذي يقرأ الدعاء إنما يخاطب الله في الواقع، لهذا ترى مثل هذه الدراسات أن الدعاء أو طلب الرحمة فيه بمثابة قوة، هذه القوة تتضمن سلسلة من الأسباب أو النتائج المترتبة على وجود القوة الموجهة، المصدر، الهدف، مسار الحركة، وأن الذنوب هي العوائق الأساسية التي تحول دون رحمة الله تعالى، فإن حرم المرء رحمة ربه التي تقوده للنجاح، فإنه لا شك لن يتمكن من إيجاد الطريق الصحيح. جاء هذا التصور لنص الدعاء من خلال دراسة الدعاء وفق طبيعة المخطط الصوري وخصائصه الإنسانية من وجهة نظر اللغويات المعرفية واستخدام هذه الخصائص في الدعاء هو إعلان عن مستوى أخلاقي عالٍ من الداعي إلى الله تعالى"⁽²⁾ فهو يرى أن الدعاء ليس مجرد مضمون، بل إنه يعلمنا أيضًا أخلاقيات وآداب الفرد عند مخاطبة الله تعالى.

كما عُنيت دراسات لسانية أخرى بموضوع الدعاء من جانب تماسكه النصي، والتي ترى أن أنماط التكرار المتكررة في نصوص الدعاء، سواء في وحداته المعجمية أو الترادف أو الاشتقاق، جعلت منه تكويناً سهل الفهم والمأخذ. فخصائص الترابط بالتضام في بعض نصوص الدعاء "ك(دعاء السّمات) ساهمت في الاستمرارية الدلالية التي تمثل الغاية النصية في الدعاء، وأجرى الوصل فيه بالعطف والتتابع

(1) ساجت، انتظار قاسم: أثر الإحالة في تحقيق الاتساق النصي في آيات الدعاء القرآن، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مج4، ع42، 2021م، ص248.

(2) رضا، فيحاء أحمد: المخطط الصوري المجازي في دعاء الصباح للإمام علي، مجلة آداب الكوفة، ع48، ج2، شوال 1442هـ/حري/2021م، ص503. مترجم: <https://ar.masader.com/eds/detail?db=awr&an=151313519>

الخطي الموصول شكلاً، ظهر به النص متماسكاً⁽¹⁾، فعناية التداولية بالتضام في دراستها نابع من دوره في تشكيل العلاقات اللغوية، والتي من خلالها تتحقق الأهداف التواصلية، إذ يعمل كأداة في الوظائف التواصلية، فيؤثر في المتلقي ويوجهه ويعين على إقناعه. وذلك مما يعين على الترابط المفاهيمي للدعاء، بما يشكل خصائصه التكوينية والمنطقية، كما أن وجود الأسباب والنتائج والإجمال والتفصيل في نصوص الدعاء يعطي قيمة نصية عميقة لها دلالات عليا، وذلك لأن المتلقي الحقيقي الأول في الدعاء هو الله، وهذه الذات الإلهية تختلف بطبيعة الحال عن سائر الجهات الخطابية، وهذا ما جعل لنص الدعاء هذه القيمة التي أعطته طابع التفرد عن باقي النصوص الخطابية الأخرى، مما يستدعي تأويلاً لإثبات نصيته ليتساير مع آداب وقواعد الخطاب الاعتيادية وأنساقها الثقافية.

6.1.2. السمات الدلالية لدعاء المدونة

بعد التأمل والتحصيص للأدعية التي جاءت في هذه خطب، يمكن القول أن أبرز سماتها تجلت في: أ. إن محتوى الخطب من الأدعية التي اختتمت بها يكاد يكون متشابهاً من حيث الترتيب والمضمون أيضاً، وهذا التكرار في هذه الأدعية جعل منها تكويناً سهلاً في الفهم والمأخذ.

هذا بالإضافة إلى أن الدعاء فيها، رغم قصره، إلا أنه جاء بليغاً متضمناً لمعانٍ كبيرة بعيدة عن الإطناب والإسهاب، و مترابط العناصر والأجزاء. ففي سياق الدعاء للمسلمين مثلاً، جمع ذلك كله في سطرين بدعاء يختصر هموم المسلمين كلها، قال فيه: "اللهم أعز الإسلام واهد المسلمين إلى الحق، واجمع كلمتهم على الخير، واكسر شوكة الظالمين، واكتب السلام والأمن لعبادك أجمعين"⁽²⁾، فيمكن لهذا الدعاء القصير أن تكون معانيه صفحات، ولكنه اختار أن يوجزه بفصاحة الخطيب المتمكن.

ب. من الملاحظ أيضاً تأثره الواضح بالقرآن والسنة، فمما جاء في هذه الأدعية كاقْتباس قرآني صريح قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

(1) كاظم، عماد جبار: نحو النص في دعاء السمات قراءة تحليلية في ضوء خصائص نحو التكوين النصي، مجلة

كلية التربية، ع41، ج2، تشرين الثاني 2020م، ص66.

(2) خطبة 11 ربيع الأول 1444هجري.

النَّارِ ﴿٣١﴾ البقرة: ٢٠١، فهذا دعاء قرآني صريح جاء في سورة البقرة، في سياق توجيه الله لعباده وحثهم على الذكر الكثير، أضف إلى ذلك أن هذا السطر القصير من الدعاء يكشف ببلاغته عن العديد من الرموز اللغوية والدلالات الثقافية، حيث ارتبط النداء في كلمة "ربنا" باستعمال إحالة بـ (ضمير الجر نا) في سياق ديني حيث أضافت (نا) في ربنا إشارة إلى أن الله رب جميع المتكلمين والمستمعين مما عزز التماسك النصي وفهم العلاقة بين كل هذه العناصر في الخطاب وهذا مما يعزز شعور الانتماء والتضامن بين المؤمنين. واستعمال الإحالة بضمير رفع متصل وهو (نا) في كل من (آتنا، وقنا)، كما ربط أجزاءه باستعمال أداة الربط (الواو)، واستغنى عن جملة (ربنا آتنا) في الجملة الثانية بحذفها، واستبدل خيرات الدنيا كافة بكلمة (حسنة)، واستبدل الجنة أيضًا بما فيها من فوز وخير بكلمة (حسنة)؛ لأن الحسنه تشمل كل مطلوب وكل نفع وكل خير في الدنيا، وحسنة الآخرة بلوغ الجنة، وهذا مما يدل على وجود اتساق نصي واضح.

ومن الأمثلة لتأثر الدعاء بالسنة قول الخطيب: "اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا، واجعل تفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا، ولا تجعل فينا ولا معنا شقيًا ولا محرومًا"⁽¹⁾. فالخطيب استوحى دعاءه هذا من قول النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، كما جاء في السنة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"⁽²⁾، فحرص مؤلف الخطبة على هذه الهالة النورانية التي تحيط بالمؤمنين وهم في بيت الله يذكرونه، أن يسأل الله العظيم بدعاء صادق يؤكد فيه الطلب لحصول هذا الأجر والذخر، فسأل أن يجعل جمعهم مرحومًا لقول النبي: "غشيتهم الرحمة"، وسأل الله أن يعينهم بحفظه وعنايته بعد الخروج والتفرق، ويحيطهم بعصمته من سائر الأخطاء والشُرور مستمدًا ذلك من قول النبي: "حفتهم الملائكة"، وهذا يعكس حقيقة حضور الملائكة معهم في مثل هذه المجالس، فسأل الله أن يجعل بركة حضورهم حماية وعصمة لهم من الذنوب والشُرور. وسأل الله أن لا يجعل بينهم شقيًا ولا محرومًا مصداقًا لقول النبي: "ذكرهم الله فيمن عنده"، فيما أنهم بهذا

(1) خطبة 5 صفر 1444 هجري.

(2) ابن حنبل، ج 12، ص 393.

القدر من الشرف في هذا الاجتماع وهو ذكر الله لهم والتباهي بهم عند ملائكته، فقد سأل الله أن يتم فضله عليهم فلا يجعل بينهم شقيًا ولا محروما، يدلهم بلطفه إليه ويردهم رداً جميلاً إليه سبحانه، فجاء الدعاء هنا كوسيلة للتعبير عن مشاعر شتى جسدت معنى الحرص والحب والخير للجميع.

ج. استعمال الدلالات الحقيقية لا المجازية المتناسقة مع طبيعة الدعاء الذي يُكره فيه التصنع والتكلف، بل هو تعبير صادق واضح المنطق والبيان يميل إلى المباشرة والتقريرية، إلا أن الحس الجمالي والبلاغي موجود متمثلاً في المقابلة بين المتضادات والتي أضافت للنص حسناً في التعبير ونوعاً من التأثير وتوضيحاً للأفكار وتقويتها لما لها من دور في إبراز الفكرة وتوضيحها وتقديم نوع من التنوع الذي يعطي منظوراً أعمق لهذه الاختلافات، كما أنها أضافت نوعاً من الإيقاع في النص، وكل ذلك مما يعين على زيادة التأثير والإقناع كقول الخطيب: "اجعل جمعنا.. واجعل تفرقنا"، "بركات السماء.. وخيرات الأرض"، "في الدنيا.. والآخرة"، "الأحياء والأموات"، "اجمع كلمة المسلمين.. واكسر شوكة الظالمين".

أيضاً يظهر نوع من سمة التتميق الأدبي القائم على السجع كمحسن لفظي بديعي في هذه الأدعية، والذي يعد نوعاً من الذوق الأدبي لمقاربة المقاطع وإحداث الإيقاع الباعث على التأثير للجمالية والجاذبية التي يكسبها للنص من خلال توافق أواخر الكلمات في فقرات متتالية، مما يجعل في النص استرسالاً سهلاً وسلساً فيكسب النص نوعاً من التوازي والتناغم، وهذا مما يعزز التأثير النفسي الباعث للمتابعة والتركيز والقبول لدى السامع والمتلقي، ومما جاء مسجوعاً قوله: "خلفائه الراشدين.. أمهات المؤمنين.. الصحابة أجمعين.. يا أرحم الراحمين"، و"كن معهم.. وثبتهم.. واربط على قلوبهم.. صبرهم.. واخذل عدوهم"، و"اللهم ربنا.. احفظ أوطاننا.. أعز سلطاننا"، و"أسبغ علينا نعمك.. أيده بنور حكمتك.. سدده بتوفيقك.. احفظه بعين رعايتك".

د. ومن سماته أنه جاء مشتملاً على أمور دنيوية وأخروية وقضايا إسلامية مهمة، مثل الدعاء بتحرير المسجد الأقصى والدعاء بالنصر للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ففي الجانب الأخرى تضمن الدعاء طلب المغفرة والرحمة لهم ولعمامة المسلمين من الأحياء والأموات وحسنة الآخرة، أي الفوز الحقيقي فيها وما تتضمنه من معانيها العميقة بداية من النجاة من النار وانتهاء بدخول الجنة مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ آل عمران: ١٨٥. أما في الجانب الدنيوي، فقد تضمن الدعاء إصلاح شأنهم كله بقوله: "وأصلح لنا شأننا كله يا مصلح شأن الصالحين"⁽¹⁾، والدعاء للوطن بالحفظ وللسلطان بالعز والتأييد والساد والحفظ، والدعاء بالمطر وما يحققه من تبعات، فالمطر دليل على الخصب وزيادة الرعي وتفجير الأرض بالنبض والحياة ليكثر الرزق ويخرج الزرع وتكثر الأنعام والأرزاق. وهذا ما قصده بقوله: "خيرات الأرض"، فهو تابع لبركات السماء.

في الجانب الإنساني والديني، جاء دعاء خاص تكرر في أغلب الخطب للدعاء للمسجد الأقصى بالحرية والخلص من أيدي مغتصبية، والدعاء لأهل فلسطين عامة بالتأييد والنصرة والثبات والحماية. هذا بالإضافة إلى أن خطبا كاملة جاءت لنصرة هذه القضية، وجاء فيها الحث على مواصلة الدعاء وعدم الانهزام مهما بلغت التحديات، ومهما أشارت الأوضاع إلى الفارق الكبير بين القوى في هذه القضية، لأن الله غالب أمره وقد وعد بالنصر وسيأتي به يوماً كفلق الصبح. كما جاء دعاء شامل للدعاء للمسلمين في شتى بقاع الأرض بالنصرة والتأييد بقوله: "واكتب السلام والأمن لعبادك أجمعين"⁽²⁾، حيث يمكن أن نتبين الخصائص التكوينية والمنطقية لهذه الأدعية رغم إيجازها، مما أكسبها دلالات عظيمة، كما أنها جاءت معبرة عن المشاعر الإنسانية محيطة بقضايا الأمة.

7.1.2. النداء في اللسانيات الحديثة من منظور تداولي.

نظراً لأهمية أسلوب النداء ودوره في عمليات الاتصال والخطاب، فقد تعددت الدراسات التي تهدف إلى استكشافه من منظور تداولي، والتي تركز على الأبعاد النظرية والتحليل الدلالي ودوره في مختلف السياقات اللغوية والثقافية، فذلك مما يسهم في فهم أعمق لهذه الظاهرة اللغوية من منظور

(1) خطبة 26 ربيع الآخر 1445 هجري.

(2) خطبة 25 ربيع الأول 1444 هجري.

تداولي، لأنه يحلل النداء كظاهرة لغوية واجتماعية ويشرح دوره في عمليات التواصل اللغوي الاجتماعي. وهذا يقود إلى إبراز دور السياق كعنصر محدد لفهم جملة النداء وطريقة تفسير تأثيرها على المتكلم والمخاطب، فالدراسات التداولية تقدم رؤية شاملة للدلالة والمعاني المرتبطة بالنداء، لأن الفحص الدلالي فيها قائم على فحص الرموز وكشف الدلالات المشتملة عليها، مع إبراز تأثيرها على المتلقي حسب السياق الذي تظهر فيه، والتركيز بطبيعة الحال على العوامل المرتبطة بها من عوامل لغوية ودلالية وثقافية واجتماعية وتأثيرها على الأفراد.

"ومن الأساليب الإنشائية التي تثري طابع الخطاب والحوار وتعين على ترجمة الانطباع النفسي والعاطفي عند المتلقي أسلوب النداء، هذا الأسلوب الذي يتخذ في كثير من الأحيان طابع الخروج عن دلالاته المباشرة إلى دلالات ومقاصد أخرى تثير ذهن المتلقي، هذا بالإضافة إلى أنه يعمل على إثارة الخطاب ويعزز من مشاركة المتلقي بصورة واضحة، لا سيما كون ارتباط أسلوب النداء وتداخله مع أساليب أخرى تأتي بعده كالأمر والنهي والاستفهام، وما يأتي النداء عادة إلا موازيًا لهذه العناصر الإنشائية والتي بدورها تثري النص وتحركه وتربط بين أجزائه، فيأتي معبرًا عن مطلب أرادته المتكلم، فيسبق هذا الطلب بنداء يثير به انتباه المخاطب ويلفت به انتباهه، وهو في الحقيقة أراد بالنداء غايات ومقاصد أخرى تضمنتها الرسالة المقدمة، أراد المخاطب أن تصل بصورة جاذبة تثير اهتمامه، فلا يعدو النداء حينها إلا تهيئة ذهنية ونفسية للمتلقي حتى يكون مستعدًا للتفاعل مع الأفكار والمقاصد المطلوبة بشكل أفضل. وهذا يعني تعمد المتكلم وبشكل مقصود إلى استدرار انتباه المخاطب ثم يكشف في التصريح عن المقصد الحقيقي المطلوب"⁽¹⁾

(1) عبد جمعة، كريمة: المقامات اللزومية للسرقسطي دراسة في التعلق التركيبي والأسلوبي، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، جامعة ميسان، مج23، ع51، أيول2024م، ص285-287.

8.1.2. طبيعة القوة الإنجازية لجملة النداء

إذا كان الغرض الإنجازي من النداء هو الإعلام كمعيار قائم "على سبيل الجدة بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقي ومدى توقعه لعناصره"،⁽¹⁾ فيسكون النداء في هذه الحال فعلاً كلامياً آخر "جاء للاهتمام بما سيقال لهم حقق قوة إنجازية حرفية وهي النداء".⁽²⁾

لذا نجد لجملة النداء في الخطابات المختلفة صيغاً حرفية وتعابير أصلية تعبر عن طبقات مقامية عدة، يحددها المقام والسياق، وقد تتنوع أطراف الحوار فتتنوع بناء عليها الأغراض البلاغية والوظائف التواصلية. ومن المعلوم أن أسلوب النداء يتكرر كثيراً، لا سيما في مقامات الطلب؛ لذا يشيع استعماله في المقامات التواصلية لما له من دور في تحفيز المتلقي لردة فعل تجاه المخاطب أو المتكلم. فهو يؤدي وظيفة توجيهية ومدخلاً واضحاً لبعض الأفعال الكلامية الأخرى كالأمر والنهي والخبر، وبهذا يتحقق إنجاز الأفعال اللغوية التي يتحقق من خلالها الغرض التواصلية المقصود.

ويعرف النداء تداولياً بأنه "أسلوب بلاغي وطريق جمالي من طرق الخطاب بين المخاطب والمخاطب بغية التواصل والتفاهم، ومما روعي فيه حال المخاطب ومنزلته بالنسبة للخطاب"⁽³⁾

"ويتركب النداء في الدراسات الوظيفية من ثنائية تتمثل في جملة النداء وجوابها، وأي فصل بين هذه الثنائية يؤدي إلى هدم بنية أسلوب النداء، ولا يمكن الاكتفاء بأحد الطرفين دون الآخر، فالطرف الأول وهو (جملة النداء)، تتكون من مؤشر القوة الإنجازي الذي تمثله (أداة النداء) و(المنادى)، وكلاهما يمثلان مقدمة فقط لأسلوب النداء، ولا يمكن دراسة جملة النداء عند التوقف في حدودهما وذلك لأن ظهور المعنى واكتسابه مرهون بالطرف الآخر من هذه الثنائية وهو (جواب جملة النداء)، وتُعد جواب جملة النداء هي

(1) عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م، ص86.

(2) سلمان، هدى داود: أفعال الكلام دراسة تحليلية في آي من القرآن الكريم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مج16، ع4، 2024م، صص116-139، ص129. <https://lark.uowasit.edu.iq/index.php/lark/article/view/3813/2581>.

(3) طبوب، سجية: طبيعة القوة الإنجازية لجملة النداء في سورة البقرة بين المؤشر الإنجازي والمكوّن المنادى، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2الجزائر، المجلد35، العدد1، صص325-337، ص:326.

الموجبة للنداء في المعنى وفصلها عن جملة النداء يعني أنه سيكون لها مجال دلالي مختلف ومغاير غير النداء يندرج ضمن الأساليب الأخرى كالأمر والنهي والاستفهام⁽¹⁾.

9.1.2. الدلالات التداولية لحذف يا من جملة النداء.

ويأتي حذف (يا) في جملة النداء لمعانٍ تداولية يمكن أن تتبين دلالتها من خلال المقام أو السياق الذي جاءت فيه، منها:

1. إشعار المخاطب بالقرب المعنوي⁽²⁾ والروحي تطفًا به، مثل قول الخطيب: "إخوة الإيمان، إن نعمة الحياة من أجلّ النعم وأعظمها وأشرف الهبات وأسبغها"⁽³⁾؛ لعلم الخطيب أن الحياة بنيت على الأكدار وأنه لا يوجد إنسان خالٍ من الكدر والهموم، لذا طرح حقيقة يقينية وهي أنه مهما بلغت خسائر المرء في هذه الحياة، فإن أصل وجوده في الحياة بحد ذاته يعد هبة عظيمة وجليلة يجب تأملها وشكر الله عليها، فالنفس البشرية ميالة بطبعها لمن يشعر بها ويهون عليها، كما أن التركيز على الموجود يهون همّ المفقود، إذ يمكن ملاحظة أن اهتمام الخطيب بمثل هذا الجانب فيه نوع من القرب النفسي والروحي لهم كما أنه اختار أن يخاطبهم بالإخوة، لهذا استغنى عن (يا) وحذفها لتقربهم الروحي قبل القرب الحضوري من حوله.

2. قد تحذف (يا) بغرض الإيجاز والاختصار⁽⁴⁾، كقول الخطيب: "عباد الله من اتقى علا"⁽⁵⁾. فهنا أراد أن يختصر لهم طريق العلو والرفعة بأن يكون بالتقوى، فحذف (يا).

(1) مشري، محمد: مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب، كلية الآداب، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، علوم في اللغة العربية، الجزائر، 2009م، ص3-4.

(2) السامرائي، فاضل صالح: كتاب معاني النحو، دار الفكر للطباعة، الأردن، ج4، ص325.

(3) خطبة 27 جمادى الآخرة 1444 هجري.

(4) السامرائي، فاضل صالح: كتاب معاني النحو، دار الفكر للطباعة، الأردن، ج4، ص324.

(5) خطبة 23 رجب 1443 هجري.

3. وتحذف للعجلة والإسراع⁽¹⁾ في التنبيه والتحذير من أمر معين، كقوله: "عباد الله، إيانا وتقويت

هذه الفرصة التي نحن فيها من هذا الشهر"،⁽²⁾ فرغبته في التحذير السريع جعلته يحذفها.

4. وتحذف للتشريف والتكريم مثل قوله: "أهل الإيمان أرسل النبي -عليه السلام- هذه الرسالة

إليكم".⁽³⁾ وهذه غاية التكريم.

ويمكن الاستدلال على هذا الحذف نحوياً من العلامة الإعرابية المكتوبة أو الملفوظة الظاهرة

أو المقدره، فهذه الياء بعد ذاتها نشأت من تحول من أصل بناء عميق أصله (أنادي أو أدعو)

وأصبحت في جملة النداء بنية سطحية واضحة وهي (يا)، لذا لم ينصب المنادى اعتباطاً وإنما لوجود

عامل قبله، لذا يمكن أن نستدل على حذف (يا) من حركة المنادى كما جاء في كتاب الأصول لابن

السراج "وذكر سيويوه: أن ذلك منصوب على إضمار الفعل المتروك"⁽⁴⁾

كما أن دراسة أي نص أو خطاب من منظور تداولي يستوجب معرفة كافة مكونات الخطاب،

المذكور منها والمحذوف، لأن تداولية الخطاب ومقاصده لا يمكن أن تتضح ما لم تكن مكونات الخطاب

واضحة ومعروفة. وبهذه المعرفة يمكن الكشف عن العلاقات القائمة بين السياقات اللغوية والمعاني التداولية،

وبها أيضاً يمكن الوصول إلى دلالات الخطاب ومقاصده. "كما أن مبادئ تحليل اللغة يشترك فيها طرفان هما

المخاطب والمتكلم، وإن دلالة الكلام مرتبطة بالقصد الذي يسعى المتكلم إبلاغه للمخاطب حتى تتحقق لديه

الإفادة"⁽⁵⁾، ويساعد السياق على توضيح الدلالات اللغوية وإبراز دورها الحقيقي في النص، "قالجمل تنطق

ضمن سياقات معينة، وإن جزءاً من المعاني والدلالات يستمد من السياق الذي تنتج فيه".⁽⁶⁾

(1) السامرائي، فاضل صالح: كتاب معاني النحو، دار الفكر للطباعة، الأردن، ج4، ص324.

(2) خطبة 13 رمضان 1443 هجري.

(3) خطبة 12 شوال 1443 هجري.

(4) ابن السراج، محمد بن السري: الأصول في النحو، تحقيق: عب الحسين الفقلي، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت، ج1، ص340.

(5) النطار، هدى جبر: الخطاب الديني في شعر النقائض في ضوء اللسانيات الاجتماعية، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج23، العدد2، 2022م، ص4063.

(6) لاينز، جون: اللغة والمعنى والسياق، ط1، ترجمه: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م، ص200.

10.1.2. إستراتيجيات التلطف المستعملة في تحقيق أهداف خطب الجمعة:

وبالإشارة إلى أبرز الإستراتيجيات المستعملة لتحقيق هذه الأهداف على كافة الأصعدة، ولمس الأثر الإيجابي الذي يمكن أن يتحقق منها مع التطرق إلى كيف استغلت هذه الخطب المقام، واستغلت تزامن المناسبات المختلفة وتعاقبها في اختيار بعض هذه المواضيع وتأسيس بعض القيم والأفكار والمقومات التي تعين على بناء الإنسان السوي.

1. إستراتيجية مناسبة المقال للمقام. 2. إستراتيجية الهدف⁽¹⁾. 3. إستراتيجية الإقناع⁽²⁾.

تعرف الإستراتيجية بأنها: "مجموعة من العمليات التي تهدف إلى بلوغ غايات معينة"⁽³⁾، أما فضاء الإستراتيجية "فيطابق الاختيارات الممكنة التي يتوخاها المتكلمون ليقوموا بإخراج عمل اللغة"⁽⁴⁾، وتتعدد الإستراتيجيات وتختلف وتتعدد باختلاف الظروف وتنوع السياقات وتغير العناصر، وإستراتيجيات التلطف في الخطاب متصلة بالظواهر اللغوية والتواصلية المرتبطة بالخطاب ذاته، والتي تتضمن أسسًا من نظريات متعددة، الاجتماعية منها والحوارية والنفسية ونظريات تحليل الخطاب، لذا يتم اختيار هذه الإستراتيجيات بناءً على دورها في تحقيق نجاح التلطف في العملية التواصلية، والتي يتجلى من خلالها توظيف اللغة للاهتمام بمشاعر ومصالحة الآخرين والتعبير عن تقديرهم بمفردات وتراكيب مهذبة ولطيفة، والتي يلجأ من خلالها المتحدث أو الخطيب للتعبير عن أفكاره وآرائه وإيصال الرسالة، ولكن بشكل يحترم الآخرين ويظهر تقديرهم، فالإستراتيجيات تعد عنصرًا أساسيًا وفعالًا في بناء العلاقات الإيجابية، واختيار الإستراتيجيات التي تحقق التلطف اللغوي في الخطب الدينية والمواقف الرسمية أمر بالغ الأهمية، لكونها تسعى لتحقيق أهداف كبيرة وسامية تعود بالمصلحة على الفرد والمجتمع والدولة

(1) الميساوي، خليفة: تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأديب، مجلة اللسانيات العربية، ذو القعدة 1442هـ/يوليو 2021م، ص 268.

(2) الشهري، عبدالهادي: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، 2004م، ص 444.

(3) الشهري، عبدالهادي: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، 2004م، ص 53.

(4) شارودو، باتريك ومنغونو، دومينيك، ص 533.

ككل، فالتلطف اللغوي أكبر من كونه ظاهرة تحسن اللفظ وتلين القول، وذلك لدوره الكبير في تقبل الطرف الآخر للأمر وتحسين الفهم وتطوير الأداء وإنجاح الخطابات وإيصال الرسائل لاسيما في السياقات الأكاديمية والرسمية والعلمية، كما أن للتلطف اللغوي دورًا كبيرًا في التأثير على وجهات النظر لدى المتلقي وتلعب دورًا في تشكيل الرؤى والقناعات بشكل ودي ومقنع لديه؛ لذا فاختيار الإستراتيجية المناسبة لتحقيق هذه الأهداف أمر بالغ الأهمية.

وبناء على اطلاعي على الخطب في مادة الدراسة المحددة، تبين لي بعض الإستراتيجيات التي قام عليها التلطف اللغوي لتحقيق أهداف هذه الخطب، وهي:

1.10.1.2 إستراتيجية مناسبة المقام للمقال

وهي ببساطة حرص الخطيب على استغلال المناسبات الدينية والاجتماعية والسياسية وحتى الدولية، أو الأحداث الطارئة أو الظروف غير المتوقعة، فيعمل جاهدًا في خطبته على نشر الوعي والوعظ وتثقيفهم في هذا الجانب، وإكسابهم الحقائق والقناعات والقيم، فيكون أفراد المجتمع على دراية وإحاطة واعية بشأن كل المجريات من حولهم، وهذا مما يسهم في الاستقرار النفسي والأتزان العقلي، ويجعل الفرد في دائرة من الاهتمام التي لا تجعله منفصلًا عن الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه. فانفتاح الفرصة أو الحدث أو المناسبة يجعل القلوب مثارة أمام هذا الحدث، والنفوس تواقّة للتطلع إلى هذا الأمر، والعقول مستعدة للتلقي والقبول، وهنا يجد الخطيب الفرصة سانحة لتطويع اللغة باللفظ اللغوي والاستعداد لإيصال الرسالة المطلوبة. والمتطلع إلى الخطب، مادة الدراسة يرى العديد من المواضيع المتزامنة مع مقام الحدث، ومنها على سبيل الإيضاح والإيجاز:

- خطبة الجمعة بتاريخ 13 ربيع الأول من العام 1445 هجري، إذ جعل الخطيب خطبته عن المولد النبوي الذي يوافق 12 ربيع الأول من كل عام، فكانت الخطبة بعنوان: (دروس تتجدد من المولد النبوي)، وكان مما جاء فيها: (إخوة الإيمان، إنه يمر على العالم المسلم في هذه الأيام ذكرى مولد البشير النذير والسراج المنير)، فاستفتح الخطيب بهذا النداء الذي ينم عن الرقي والذوق، مدعاة للتركيز واستيعاب ما سيأتي بعده من خطاب، فالخطيب يهدف إلى إعلامهم أن هذا المولد متميز لأثره ونتيجته، لأنه عصا التغير التي أنقذت الأمة من امتنانها وأذنت لها بحياة الرفعة والنور، فالمولد

متميز لسبب يخص الأمة بأسرها، متعلق بقضية دينية عظيمة، وليس لأن الأمة تحاول أن تصنع عيد ميلاد، التي أصبحت من البدع الدخيلة في العالم الإسلامي، فإحياء ذكرى مولده لا علاقة له بأعياد الميلاد، وإنما أراد الخطيب أن يعلم الناس في هذه الخطبة أن مولد خير البشر فيه من الدروس العظيمة، ولا بد للأمة أن تجعل لنفسها في هذه المناسبة فرصة للأخذ من هذه الدروس كمنهج واضح تبني عليه أجيالها المتعاقبة. فالخطيب يقول: (أيها المسلمون: إن المولد النبوي يعطينا درسًا في الأمل والثقة بالله)، بل ودرسًا من رسوخ المبدأ والثبات على الدين، وأن الإيمان أهم أسباب النصر؛ لذا، وجبت محبة هذا النبي العظيم محبة العقيدة والدين. فهذا معنى المولد النبوي وليس قيام الاحتفالات والطقوس المبالغ فيها والتي قد يمارس فيها شيء من المحظورات، أو كما يعتقد البعض ببركة الصيام في ذلك اليوم أو استجلاب البركات بالأضحية. فالخطيب بخطبة كهذه يستطيع أن يبصر الناس ويصح لديهم الأفكار المغلوطة دون الحاجة حتى للتطرق إليها بشكل حرفي، ودون النهي الذي يحمل في معانيه لغة الاستعلاء والزرع، فالتلطف اللغوي كفيل بأن يجعل الناس تتقبل وتطبق وتترك عن قناعة ورضا، فاختيار هذا الموضوع في هذا الوقت جعل المقام مهياً للمقال.

- في جمعة 27 ذي القعدة من العام 1444 هجري، وجد الخطيب فرصة أن تكون خطبته بعنوان: (الحج زاد أخلاق وتقوى)، لعلمه أن المقام يستدعي الحديث عن الحج وكيف يجب أن تكون أخلاق الحاج فيه، وهذه نقطة تغيب عن بال الكثيرين، فناداهم قائلاً: (أيها المسلمون، إن شعيرة الحج لتغرس في حجاج بيت الله الحرام الأخلاق الرفيعة)، والمتأمل سيلمس أهداف الخطيب التي يسعى إليها في هذا الوقت بالذات، وهي غرس الأخلاق وبناء النفوس المتسلحة بالطهر، ظاهراً وباطناً، متطهرة من مساوئ الأخلاق ونزعات الطيش والهوى والشر، لعلمه اليقيني بحاجة الناس لمثل هذا الوعي في ذلك المكان الذي تتساوى على أرضه المقامات والمراتب، والصفوة منهم من يقبلون على الله بتقوى النفوس الطاهرة المتواضعة المثقلة بدواعي التحمل والصبر، فالحاج المؤمن الحق من يمضي يزينه العلم، ويعمره التواضع، صادق القول، مطهر اللسان، مخلص في العمل، فتعظيم شعيرة الحج أصله تقوى القلب، فأراد لهم أن يكون الحج دليلهم لبلوغ التقوى الخالصة، فكان مما ناداهم به في خطبته قائلاً: (عباد الله: ليكن لكم في مواقف الحج ومشاهده عبرة وذكرى وتأمل وتفكر)، لماذا؟ لأنه لم يشرع إلا

من أجل تربية هذه النفوس وتهذيب السلوك والرقى بالفكر. فما من وقت أنسب لطرح مثل هذه التعاليم ويذر مثل هذا الوعي إلا هذا الوقت والناس تتهيأ وتشد الرحال للحج، وأسلوب الخطيب ورقي ذوقه في الخطاب من مسلمات قبولهم وامتثالهم، لهذا كان هذا المقال مناسباً لهذا المقام.

- وأيضاً كانت خطبة 24 ذي القعدة من العام 1443 هجري، تحت عنوان يصب في نفس القالب: (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)، دعا فيها إلى حسن الخلق والتقوى وحسن الإقبال على الله، فكان هذا التوقيت من العام أفضل فرصة لتزكية النفوس بهذه القيم النبيلة. أيضاً جعل لفضل أيام ذي الحجة فرصة لاغتنامها، فجاءت خطبة 2 ذي الحجة من العام 1443 هجري بعنوان: (ليال عشر وأيام معلومات)، ذكر ووجه ووعظ بفضل هذه الأيام وكريم أجرها لتسمو فيها النفوس وتزكو.

- وفي الجمعة التي وافقت تاريخ 26 رجب 1444 هجرياً، كان عنوان الخطبة: (سبحان الذي أسرى بعبده)، وهو اليوم الذي يسبق ذكرى حادثة الإسراء والمعراج، فكانت الفرصة سانحة لتذكير الناس ووعظهم بقضية أن مرور الابتلاء في حياة الإنسان إنما هو تأكيد لسنة التمحيص لقول الحق سبحانه: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ آل عمران: ١٤١، وأنه لا يمكن أن تسير هذه الحياة دون ابتلاءات وفتن ومصائب وصراعات، والغرض منها تربية المؤمن ورفع درجته في الآخرة، وكم حاجة الناس ملحة لمثل هذه القناعات. كما أن مناسبة الإسراء والمعراج فرصة عظيمة لتعريف الناس بحجم الابتلاء الذي مر به سيد الخلق، على علو منزلته وتقواه وقربه من الله، فهذه تربية ضمنية للنفوس على التقبل والصبر والرضا ليحصل التجاوز مع ضمان الأجر. وجاءت هذه الخطبة في هذا الوقت لتعريف الناس بمجريات هذه الرحلة وأسبابها وتفاصيلها، والتي ينبغي على المسلم أن يكون عارفاً بها ومحيطاً بالثقافة فيها، ليكون على قدر من الوعي يميز به الخرافات والإسرائيليات، ولا مقام أنسب للتعريف بها من موافقتها لوقتها.

- وفي الجمعة التي توافقت بداية شهر رمضان، 2 رمضان 1444 هجري، جاء عنوان الخطبة محفزاً مغرياً: (يا صاحب الأمنيات، أنت في رمضان)، دعاهم، وناداهم، ورجبهم، وحثهم على التقوى، والمصابرة في العبادات، لأنها سبيل النجاة والفوز، فكان من النداءات المخصوصة في هذه

الخطبة: (يا باغي الخير أقبل مشمرًا في طاعتك، فهذا رمضان قد أرخى ستار رحمات الله وجاء محملاً بفضائله)، ولو لم يدرك المرء في هذه الخطبة درسًا غير أن صيام رمضان بإيمان خالص واحتساب يكون سببًا لغفران الذنوب كلها ما تقدم منها وما تأخر لكفاه. وبعد أن استعرض لهم المنح والأجور والهيئات والفرص التي تُمنح للمؤمن في هذا الشهر، ناداهم الخطيب واستعمل الاستهتام بعد النداء ليفتح المجال للمرء ليختار لنفسه دون أن يكرهه على فعل شيء أو تركه، متلطفًا بهم فقال: (يا عباد الله: أي إحسان أعظم من هذا؟ وأي كرم أجدر؟ وهل من العقل أن تضيع الأوقات؟)، فمثل هذه الخطب جديرة باستنهاض الهمم وتحريك الضمائر وبث الشغف، ولا مقام أفضل لمثل هذا التذكير والوعظ بفضل هذا الشهر خير من بداياته والناس في أوج إقبالهم واستعدادهم النفسي والعقلي. وفي جمعة 29 شعبان من العام 1443 هجري، كانت الخطبة بعنوان: (أيامًا معدودات)، جاءت أيضًا لنفس هذه الأهداف والغايات، وهذا مما يؤكد أن مناسبة المقام للمقال من الإستراتيجيات المتبعة لتحقيق أهداف خطب الجمعة.

- وفي الجمعة التي وافقت 30 من رمضان للعام 1444 هجريًا، كان عنوان الخطبة: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، لعلم الخطيب أن الناس أقرب ما يكونون من خالقهم في هذا الشهر، وأكثر ما يكونون قرابة بالنوافل والطاعات فيه، وهذا مما يستوجب حب الله، ومما يبعث في النفوس الراحة والطمأنينة والسكينة، فأراد بهذا الاختيار في هذا التوقيت بالذات أن لا يجعل الناس طاعاتهم وقرباتهم مقترنة بشهر أو زمن معين، ولا يريد أن يكون انتهاء رمضان بداية لانتهاه هذه النوافل، وهذا أمر جارٍ في بعض الناس ولا يخفى على أحد، وكأن الله موجود في رمضان وحسب، فتخلو المساجد وتتناقص صفوف المصلين، ويهجر كثير من أمة الإسلام مصحفه، وتقل نوافله، وهذا من الخسائر الكبيرة التي قد يقع فيها المرء دون أن يشعر، وحتى عندما اختار العنوان اختار الفعل (يزال) وأراد مزارعًا مستمرًا ما عاش الإنسان وما تنفس.

لذا اختار هذا الوقت ليذكرهم وينبههم على أهمية الاستمرار في الطاعات والنوافل، ويكسبهم وعيًا بأن 30 رمضان لا يعني التوقف، بل أن نجعل هذه القربات دائمة مستمرة لنبلغ بها قرب الله ومحبتة، وهذا المقام للتذكير بهذا الأمر لا يوجد مقام أنسب منه. وجاءت خطبة 5 شوال من العام

1443 هجريًا، تحمل عنوان: (أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)، أيضًا تحت على مواصلة الأعمال والمداومة عليها والحرص على جعلها دائمة، وألا يكون رمضان آخر العهد بها، وهذا مما يؤكد تخير المقام المناسب للمقال المناسب كإستراتيجية.

- أيضًا، لم تكن المناسبات الأخرى بمنأى عن هذا الاهتمام، فكانت عناية الخطب بالعلم وفضل المعلم قبل بداية الدراسة في المدارس والجامعات، كخطبة: (نحو عام دراسي حافل بالإنجاز) في 15 صفر، والذي يوافق 30 من شهر أغسطس. والحديث في جمعة 29 جمادى الأولى 1444 هجريًا، عن صفات ممثل الأمة ممن يولون مصالحها ويقومون بأمورها وشؤونها، لأنها كانت أيامًا توافق الترشيح للمجالس البلدية، فجاء عنوان الخطبة (صوتك أمانة).

- أيضًا، حرص على التذكير بأهمية الوقت واستغلاله الأمثل، فجاءت الخطبة الموافقة لقرب العطلات الصيفية بعنوان: (أولادنا على أبواب الإجازة الصيفية). والمقال يطول، وحتى من سياسات التربية أن يكون تقويم السلوك في وقت وقوع التقصير أو الخطأ، لأن القلب والعقل حاضران وعلى استعداد للتلقي، وبهذا يمكن القول إن إستراتيجية مناسبة المقال للمقام من أنجح السبل لبلوغ الأهداف والمقاصد في خطب الجمعة.

2.10.1.2. إستراتيجية الهدف

والتي تتلخص في فكرة أن هناك هدفًا، ويجب أن تُوجه كل العمليات التي من شأنها أن توصلني إلى تحقيقه. كالاكتفاء بالجانب الصوتي في الخطاب، فلا انفعال مُنقَر ولا هدوء يبعث على الغفلة، بل إلقاء تتدرج فيه طبقات الصوت وتتغير نبراته وقوته بما يلامس أرواحهم ويتناسب مع المحتوى والأهداف المرجو تحقيقها، مع الحرص على انتقاء الأسماء والصفات والألفاظ التي يُخاطب بها المتلقي في هذا التواصل اللفظي بما يجذبهم ويستميل ودهم.

وإقناع ووضوح يستوجب وصول الرسالة إليهم، وإظهار للحماس والعاطفة بما يدفئ قلوبهم، والتزام بالوقت بما يحترم ارتباطاتهم، بهذا تكون الخطبة حققت الهدف. وهذه الإستراتيجية تعتمد في تحقيق الأهداف على:

- كفاءة الخطيب اللغوية والخطابية.

- اللغة السهلة الواضحة اللطيفة.

- اعتماد الإيجاز والدقة بما يوصل المعلومة.

- النزول عند عقلية المخاطب وثقافته وطريقة تفكيره.

فكفاءة الخطيب اللغوية والخطابية من شأنها أن تحقق الأهداف وتوصل الرسائل بوضوح وجاذبية، لا سيما إن اقترن تسخير الكفاءة اللغوية بلطف لغوي مقصود. فلا بد أن يكون الخطيب متحلياً بمهارات معينة ضرورية، منها اختيار الكلمات والأساليب بعناية تتم عن كفاءته اللغوية، وتفعيل التواصل اللفظي بما يضمن جذب المخاطب واستجابه اهتمامه لتهيئته لاستقبال الرسالة. فيكون الخطيب متقناً لسياسة التحدث العلني، عارفاً بتأثير درجات الصوت ومتى يجب رفعها ومتى يجب خفضها، وأن يكون قادراً على التعبير عن أفكاره بمهارة وثقة، مسيطراً على أعصابه، مديراً لما من شأنه أن يوتره. وأن تكون الأفكار المطروحة مرتبة، واللغة واضحة وسهلة وقريبة للفهم، وأن يكون متمكناً من قواعد اللغة وعارفاً بتفاصيلها، وأن يجعل من لغة الإيجاز طريقاً سهلاً لإيصال الهدف دون إسهاب قد يشعر المخاطب بالسآمة والملل أو خروجاً عن أصل الموضوع المطلوب، وأن يكون استعداداً لهذه الخطبة استعداداً أمثل، محيطاً بموضوعها، عارفاً بتفاصيلها، موقناً بواقعيته وصدقها.

كما أن نزول الخطيب عند عقلية المخاطب وثقافته، ومخاطبته بالأفعال الكلامية اللطيفة والملمهة، مما يعين ويسهل تحقيق هذه الأهداف، فعقلية المخاطب ومستوى ثقافته من أهم العوامل التي يجب أن تراعى في إنشاء الخطاب، فالمخاطب هو ردة فعل لهذا الخطاب الذي يتلقاه من المخاطب، وثقافته ونفسيته وعقليته تعمل ككل لصنع ردة الفعل هذه، وتحدد نوع الاستجابة منه، فيكون دور المخاطب واختياره للكلمات والأسلوب والموضوع هو المحدد لكيفية استجابة المتلقي واتخاذ القرار بالقبول أو الرفض، الرضا أو الغضب، المتابعة أو الانسحاب، فكل ذلك مما ينبغي التركيز عليه، ومما ينبغي أن يبذل فيه الخطيب جهده في تقديم الرسالة ليتوخى الصدمات أو التأثيرات السلبية على المخاطب، لا سيما عندما يدرك أن الخطبة مقدمة لمجتمع فيه كل الفئات العمرية والتدرجات العقلية

والمستويات المتباينة في العلم والثقافة، عندها لا بد أن تكون الخطبة أو الرسالة المقدمة مفهومة وواضحة وسلسة ومرتبطة وموضوعية ومعقولة ومشوقة ومرغبة، تراعي قيم المجتمع وتصوراته، محيطة بمشكلاته وتطلعاته، واعية لأهم احتياجاته. والنفوس بطبيعتها ميّالة لمن يقدرها ويفهمها ويهتم بشؤونها، فتجد في الخطابات اللطيفة والعبارات المهذبة والشكر والثناء والتشجيع بأهم الخصال والصفات سبيلاً لفهم الرسالة وتقبلها. فمراعاة الخطيب الخبير والمحكك لهذه التفاصيل يعينه على خلق قبول وتأثير نفسي إيجابي مرغوب لتقبل الرسالة والعمل بها، وبذلك يكون حقق أهدافها، ولا بد أن تكون هذه الأهداف متنوعة تهدف إلى نقل معرفة وتحفيز فعل وتشكيل رأي وتعديل سلوك أو تحقيق تواصل.

وقد تجلت كل هذه النقاط سائلة الذكر في الخطب مادة الدراسة، فاللغة سهلة واضحة يفهمها الصغير والكبير، كما جاءت كثير من الخطابات مخصصة، وخطوب كل معني بما يعنيه، فجاءت النداءات تخاطب السائق والمعلم والمربي والمسافر وطالب العلم والصائم والحاج والمنفق، وغيرهم، كل حسب رسالته الموجهة إليه، واستعملت اللغة بشكل حساس ولطيف تجلى بها الذوق اللغوي بوضوح في العبارات اللطيفة مثل: (لنعم، لنسعد، للفوز، لنحقق الخير والرضا)، وغيرها من العبارات، وجاء الخطاب فيها بلغة لطيفة حسنة نادتهم بالإخوة والمسلمين والصالحين والمؤمنين، وغيرها من الصفات الطيبة، والتركيز بوضوح على استعمال اللغة الإيجابية. فبنيت التوجيهات فيها بكلمات تحمل معاني إيجابية ومشجعة مثل: نأمل، ونسعى، وينبغي، وطوبى، وتجنبت كل المصطلحات المنفرة والقاسية والمتهمة، بالإضافة إلى الحديث الواقعي واليسير عن كل ما يمكن فعله والمقدور عليه من العبادات والأخلاق والقربات والتصرفات والأعمال الخيرة، والبعد عن التوقعات غير الواقعية والمعجزة. والتعبير عن التعاطف مع المخاطبين وإظهار الود لهم كالحرص على نجاتهم والسعي في مصالحهم والرغبة في وصولهم لكل خير، مع التقليل من الجزم في القضايا الدعوية الأساسية والأفكار الرئيسية في الخطب، فلم تكد تظهر فيها التعبيرات بـ(ربما) و(قد)، بل بالتأكيد المطلق المشفوع بالدليل، والذي بلغ تأكيده اليقيني بها في بعض المواطن إلى تأكيده بالقسم. ففي معرض تأكيده لهم على أنهم (خير أمة)، ساق لهم دليلاً من كتاب الله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠، ثم تابع قوله مؤكداً بالقسم قائلاً: "والله الذي لا إله

إلا هو، متى ما مثل كل فرد من أفراد الأمة نبيه بامتثال أوامره والسير في دربه فاح هديه"،⁽¹⁾ هذا بالنسبة لمعنى تقليل الجزم في الخطب. أما عن حضور (قد) فقد جاء في سياق توضيح بعض الأمور الجزئية في الخطبة والتي تباينت دلالتها بين التأكيد المعزز لكل ما جاء وأراد الخطيب إثباته وتأكيد، وجاءت في مواطن أخرى بمعنى الجزم أو الاحتمالية لحصول أمر ما أو تعدده. ولكن ينبغي التأكيد أن ظهور (قد) بهذا المعنى لم يأت في شيء من المواضيع الرئيسية والخطوط الدعوية العريضة التي يمكن أن تعطي معنى لتردد الخطيب فيما يدعو إليه، وسأوضح ذلك ببعض الأمثلة لتتضح الفكرة:

أ. قد لتأكيد المعاني وإثباتها

كما جاء في قوله: "قد سرى الله عنه وأراد أن يخفف عنه"، وقوله: و(قد قال الله تبارك وتعالى)، و(قد قال عليه الصلاة والسلام)، و(قد ذكره ربه جل جلاله في كتابه)"⁽²⁾، فكلها جاءت للتأكيد، وجاءت في خطبة أخرى بهذا المعنى أيضاً كقوله: "(النبى سليمان وقد رأى نعم الله تزيد وتأتيه من كل مكان)، و(قد عرف الله الإنسان طريق السعادة)، و(قد أتى الله على عباده)"⁽³⁾ وفي خطبة أخرى قال: "(الصلاة وجدناها قد أتت بمعان متنوعة)، و(قد جاءت بمعنى الرحمة)، و(يخرج المصلي من صلاته وقد تساقطت ذنوبه)".⁽⁴⁾

ب. قد بمعنى التوقع والاحتمالية⁽⁵⁾

في معرض حديثه عن أهمية التخطيط في الحياة والتأكيد على ضرورته، استعمل (قد) بهذا المعنى، لكن في سياق لا علاقة له بالتشكيك أو الجزم في أهمية التخطيط، بل في سياق جاء فيه: "إن القرآن انتقل بأمة محمد في سنوات معدودة انتقالاً قد تعجز الأمم عن الوصول إليه في عقود".⁽⁶⁾

(1) خطبة 1 شعبان 1443 هجري.

(2) خطبة 18 ربيع الأول 1444 هجري.

(3) خطبة 16 ربيع الآخر 1444 هجري.

(4) خطبة 12 رجب 1444 هجري.

(5) شيخ زاده، محمد مصطفى: قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر، ط1، 1995م،

بيروت - لبنان، ج1، ص143.

(6) خطبة 14 محرم 1444 هجري.

فالجزم هنا في قدرة الأمم غير المسلمة على التقدم السريع الذي حصل مع أمة محمد بفضل القرآن وإرشاده وما جاء فيه من تخطيط والدعوة إليه في أمور شتى. أما في خطبة (ترك الأنعام سائبة ضرر كبير) قال: "قد يرى الإنسان من الآيات ما يجعله يدرك تمام الإدراك أن الذي ذلها هو الله".⁽¹⁾ فالخطيب هنا جاء بـ(قد) الاحتمالية في سياق أن بعض الناس قد يرون آيات ودلائل في الأنعام مما يؤكد فضل الله وكرمه في تذليلها للعباد، ولم يأت بها في سياق ما ينفي ضرر الأنعام السائبة على الخلق، بل أكده وجاء بما يثبت وجوب شكر الله على هذا الرزق الكبير وعدم تسببها لتضرر الناس. أما الاحتمال في رؤية هذه الدلائل في الأنعام من عدمه، فلأن الناس ليسوا سواء في امتلاكها والاهتمام بها والسعي خلفها، لذا لا يمكن أن يؤكد رؤية الجميع لها.

وجاء في خطبة أخرى قوله: "قد يقع في ذهن طائفة من الناس على جهة الوسوسة أن في أمر الله مشقة، وقد يغيب عن أذهانهم أن سلامة الدارين في اتباع أمر الله"،⁽²⁾ وقد جاء هذا الاستعمال في معرض خطبة (عزيز عليه ما عنتم) بمعنى أن (قد) لم تأت في احتمال اهتمام النبي بما يشق على أمته بل جاء في سياق أن بعض البشر قد يعتقد بعض التصورات والوساوس في أن أوامر الله ونواهيه جاءت من باب فرض المشقة عليهم، واستعملت (قد) الاحتمالية في هذا السياق لأن مثل هذه الوساوس لا تأتي إلا عند البعض، وذلك لأن العقل والمنطق السليمين يدركان يقيناً إن الدين يسر ورحمة، ولم يأت إلا لمنع المشقة ودفعها عنهم، وإن أعظم النعم التي تحصل للإنسان أن يكون مسلماً بحق متبعاً له بصدق، لأن سلامتهم في الدارين مرهونة باليقين برحمة الإسلام وما جاء به من أوامر ونواه. أيضاً من الأمثلة التي استعملت فيها (قد) بهذا المعنى قوله: "وقد يخطئون إلا أنهم سرعان ما يستغفرون"،⁽³⁾ فالاحتمالية في وقوع الناس في الخطأ لأن لا يوجد بشر معصوم، وليس في فضل المسارعة والسبق للطاعات. وفي قوله: "والدعاء قد يُراد به الطلب وقد يُراد بالدعاء العبادة"،⁽⁴⁾ وهنا جاءت بمعنى التعدد في المعاني وليس بمعنى التردد أو الجزم والتشكيك في فضل الدعاء.

(1) خطبة 12 صفر 1444 هجري.

(2) خطبة 11 ربيع الأول 1444 هجري.

(3) خطبة 9 ربيع الآخر 1444 هجري.

(4) خطبة 15 جمادى الأولى 1444 هجري.

كما أن تقديم الخيارات في التوجيه والنصح بدلاً من الأوامر، بعد توضيح جوانب الخير والشر والجزاء والعقاب، لفتح مساحة التخير والاختيار، ومنع سياسة الإكراه والإلزام، وظهور صياغات تقريرية بعد النداء، كالتعجب والاستفهام، بدلاً من الأساليب الطلبية المباشرة الملزمة، كله من قبيل إستراتيجية تحقيق الهدف وتلطيف الخطاب الديني. كما جاءت نصوص الخطب لغوية سليمة مدروسة خالية من الأخطاء، وبهذا يمكن القول إن إستراتيجية الهدف من أوضاع الإستراتيجيات المطبقة لتحقيق أهداف الخطب.

3.10.1.2. إستراتيجية الإقناع.

يتمثل دور إستراتيجية الإقناع في تحقيق الخطب من خلال فهم ماهية الأساليب المقنعة، واعتماد الطرح المؤثر، واستعمال العناصر التي تساهم في نجاح عملية الإقناع، والغرض منها هو الوصول إلى قلب المخاطب وعقله، وضمان تحقق الأهداف، وقبوله للرسالة والعمل بها، وتحويل آراء الخطيب وقناعاته وأفكاره إلى المخاطبين عن طريق تقديم الأدلة والحجج التي تدعم صدقها وواقعيتها، بالإضافة إلى إشراك السياسات اللغوية والحجاجية المناسبة التي تعزز الإقناع وتقومه، ولن يتأتى الإقناع لدى الخطيب إلا إذا كان معلوم الصدق ذا سمعة حسنة ملتزماً بالقيم والأخلاق بحيث يكون محل ثقة لدى الجماعة المخاطبة ليكون حديثه وشواهد انعكاساً عن نزاهته وصدق خطابه، فالمصادقية والثقة هما العاملان المهمان والبارزان اللذان يسهمان في إستراتيجية الإقناع، كما إن علم الخطيب وإطلاعه على قضايا الجماعة وما يشغل بالها يعينه على تحديد احتياجاتهم والطرق السليمة لإقناعهم وتمثل هذه الطرق في:

أ. اختيار العناوين الواضحة.

ومما يلفت النظر في هذه الخطب أن معظم العناوين هي اقتباسات من آيات قرآنية أو أقوال مأثورة. وهذا النوع من العناوين يلعب دوراً واضحاً في جذب المتلقي والتأثير على جانبه النفسي والعقائدي. فالعنوان الجيد للخطبة هو بوابة لجذب انتباه المخاطب، يلخص له مضمون الخطاب. وهذا يؤدي بدوره إلى جعل المتلقي يضع إطاراً لتوقعاته ويحفزه لمعرفة التفاصيل، وهذا مما يسهم بشكل ملحوظ في إقناع المخاطب بأهمية الموضوع المطروح في الخطاب. لهذا اتضحت أهمية هذه السياسة في اختيار العناوين وجعلها جذابة بحيث تحمل في طياتها أفكاراً مثيرة للاهتمام وكمفاتيح استفتاحية تثير

فضول المتلقي نحو الاستماع ومعرفة التفاصيل، فكلما كان العنوان ملفتاً وملهماً، ساهم في رفع حماسة المتلقي وإثارة اهتمامه للمزيد من التفاصيل، وهذه من سياسات الإقناع النفسية العميقة التي تجذب المخاطب، لا سيما إن كانت هذه العناوين مقتبسة من القرآن أو السنة، هنا يتجلى الأثر الإقناعي الكبير على المخاطب وذلك لقدرة هذه النصوص الدينية على إقناع الأفراد دون تشكيك والتأثير العقلي والوجداني لاتصالها بالقضايا الدينية ولمعانيها الروحانية، وهذا مما يعكس التأثير الإيجابي على المخاطبين ومما يجعلهم مستعدين باقتناع لتلقي الوعظ والتركيز فيه بوعي. ومن هذه العناوين:

جدول (1) نماذج من العناوين المقتبسة من القرآن والسنة

مقتبسة من السنة	عناوين مقتبسة من القرآن	
(ألا كلكم راع وكلم مسؤول عن رعيته)	(هذا خلق الله) لقمان: 11	1
(إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء)	(كنتم خير أمة) آل عمران: 110	2
(وصلوا الأرحام)	(ووصينا الإنسان بوالديه) العنكبوت: 8-لقمان: 14-الأحقاف: 15.	3
(أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)	(لنريه من آياتنا) الإسراء: 1	4
(والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)	(قد نرى تقلب وجهك في السماء) البقرة: 144	5
(ما ظنك بآئتين الله ثالثهما)	(وما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) طه: 2	6

ب. استعمال الأدلة والحجج والشواهد والقصص الواقعية المؤثرة.

وهذا من الأمور الجلية والواضحة التي لا تخفى على أحد، فلا تخلو أي خطبة من الاستشهاد، فكل فكرة يطرحها الخطيب تكون مستندة إلى دليل من الكتاب أو السنة، وكثيراً ما وردت القصص والأخبار التي تعزز قيماً، أو تدعو إلى فضل، أو تزرع خلقاً، أو تحث على خير، أو تقوم سلوكاً، أو توجه مبدأ، وتلفت الانتباه إلى أمر معين.

ففي سياق الدعوة إلى رحمة الحيوان، بعد أن استدل بالآيات والأحاديث، ذكر قصة الطائر الذي أخذت فراخه. وفي الحديث عن حسن تربية الأبناء، حكى قصة مقولة النبي: "يا أبا عمير ما فعل النغير؟"،⁽¹⁾ والمعروفة. وفي سياق الحديث عن موضوع صلة الأرحام، قص عليهم خبر النبي مع أهل

(1) خطبة 18 جمادى الآخرة 1443 هجري.

مكة ومقولته: "غير أن لي بكم رحمًا سألها ببالها"⁽¹⁾ وغيرها الكثير والكثير التي وُفّق الخطيب في اختيارها لمواضيعها، مما يعين المتلقي على التثبيت والاقتناع بالموضوع المطروح.

ج. لفت انتباه المخاطبين والتأكد من حضورهم الذهني المتواصل باستعمال اللغة والبلاغة.

وقد تجلّى ذلك من خلال استعمال أسلوب النداء وتكراره في الخطب، فكان حضوره أصيلاً في النص، وكثيراً ما ورد كجمل اعتراضية (-يا عباد الله-)، (-عباد الله-)، ومثلها كثير، وذلك لحاجة الخطيب لشد انتباههم والتأكيد على بعض الأمور، وأيضاً حتى يضمن أنهم بحضور ذهني وعقلي تام طوال وقت الخطبة، فالنداء المتكرر بمثابة المنبه الذي يقطع عليهم شرودهم.

واستعان الخطيب لشد الانتباه واستجلاب القلوب وتحريكها لقبول الوعظ لغته البلاغية الواضحة من حيث استعمال المتضادات والمحسنات البديعية وحسن التقسيم، مثل:

- "إن مقام النبي تنتهي عنده المقامات، ودرجته لا تبلغها الدرجات"⁽²⁾، فاستعمال المقامات والدرجات جعل للجملة جرّساً من المحسنات اللفظية المرغوبة (السجع)، أيضاً في قوله: "رأينا القرآن يمشي على الأرض ظاهراً في صمت الناس وكلامهم، وحركتهم وسكونهم، وبيعهم وشرائهم، وأخذهم وعطائهم"⁽³⁾، وفي قوله: "على الأمة أن تستفرغ جهودها في دراسة تلك الأحداث وتفرغها في قوالب مناسبة"⁽⁴⁾، استعمال أمثل للاستعارة. وفي قوله: "قالقرآن هو البيان الذي ليس بعده بيان، والهدى الذي ليس مثله هدى"⁽⁵⁾، حسن تقسيم بديع أظهر جمال المعنى ورغّب فيه.

د. الوعظ والتوجيه بالنمذجة.

وهذا يتجلّى عن طريق عرض حُطْب كاملة عن النبي محمد عليه السلام تبرز أخلاقه وسيرته وكرمه وتقواه ورحمته، وزين خصاله ولمحات من حياته وكيفية تعامله مع الأحداث والمواقف في

(1) خطبة 23 رجب 1443 هجري.

(2) خطبة 1 شعبان 1443 هجري.

(3) خطبة 8 شعبان 1443 هجري.

(4) خطبة 8 شعبان 1443 هجري.

(5) المصدر نفسه.

الحياة، كرسالة مختصرة ونموذج محدد ومؤطر يدعو للاحتذاء به في كل صغيرة وكبيرة، كونه معلم الأمة وقائد البشرية والمنزّه عن كل عيب ونقص، ومن هذه الخطب التي جاءت على هذه الشاكلة:

- خطبة بعنوان: "من محمد رسول الله"،⁽¹⁾ دعا فيها الخطيب أهل عمان خاصة إلى أن يكونوا أمة خير وصلاح تجسد أخلاق النبي وكرمه ونبل خصاله، كما تتسم لهم النبي الخير في هذه الرسالة لتكون أمة مذكورة غير منسية، ولن يكونوا أهلاً لهذا الاستثناء الذي خصهم به النبي إلا إذا اقتدوا به وتمثلوه في حياتهم، يحملون رسالته بحسن القول وجميل الفعل والأمانة في المعاملات والصدق والسماحة في كل أخذ وعطاء. فهنا دعوة عامة لجعل النبي النموذج الأعلى والقدوة الحق لكل عماني صغيرهم وكبيرهم ليكون القدوة الحسنة لأخلاقهم ومبادئهم.

- وخطبة بعنوان: "إلا رسول الله"،⁽²⁾ علّمهم فيها أن تحقير الجبل الشامخ لا يغير من كونه جبلاً شامخاً، وتصغير البحر لا ينقله من كونه بحرًا في سعته واتساعه وأسراره وامتداده. لذا دعاهم لنصرته بالافتداء به في صدقه وثباته، ودعاهم لعدم الالتفات للمسيئين فالإساءة لا تنقص من قدر النبي ولا تغير من شأنه. كما وضّح لهم أن حبه لهذا النبي العظيم يتمثل في التمسك بالمبادئ والأخلاق والقيم والدين القويم، ولا توجد نصرّة أكبر من نصرته بالتمسك بالدين وإعلاء رايته. وهنا رسالة مبطنة مفادها: (هذا نموذج كامل في القدر والمقدار فكونوا مثله).

- وخطبة بعنوان: "هدي رسول الله في خير أيام الله"،⁽³⁾ استعرض فيها حرص النبي - ﷺ - وشدة إقباله على الله في يوم عرفة واستغلاله لكل لحظة وتحري ساعة الاستجابة ورفع سقف الدعوات لأن الله كريم عظيم معطاء لا تقنى خزائنه، ثم كيف يعظم شعيرة العيد وكيف يستقبلها بكل ما فيها من سنن وواجبات دينية. وهنا دعوة واضحة للنمذجة يستثير بها همّهم للاقتداء بعمله

(1) خطبة 12 شوال 1443 هجري.

(2) خطبة 17 ذي القعدة 1443 هجري.

(3) خطبة 9 ذي الحجة 1443 هجري.

والاهتداء بسنته. وخطبة على نفس النسق جاءت تحت عنوان: "كيف كان يقضي النبي رمضان؟" (1) أيضًا فيها دعوة للاقتداء بالتمذجة لما كان عليه النبي ﷺ.

- كما توالت أربع جُمع، حملت كل جمعة عنوانًا عبارة عن جزء من الآية 128 من سورة التوبة، توالت عناوين الخطب فيها كالتالي: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم"، (2) "عزيز عليه ما عنتم"، (3) "حريص عليكم"، (4) "بالمؤمنين رؤوف رحيم"، (5) جاءت ثرية مثرية بأخلاق النبي وصفاته وخصاله وأفعاله، والتي تمثل الإنسان القدوة النموذجي والقائد المثالي الحق، ودعت بشتى الطرق المقنعة والمحفزة إلى الاقتداء به في كل شيء.

فمن الملاحظ حضور تحقيق الأهداف عن طريق إستراتيجية الإقناع بالتمذجة والقدوة، وأثر هذا النوع من الخطاب في تحفيز المتلقي لقبول الرسالة وتطبيقها، لأن الأمر ينتقل فيه من التوجيه النظري إلى التطبيقي المنمذج الملموس الفاعل والمجرب، مما يدفع المتلقي إلى حماس بذل الجهد والتفاني في اكتساب القيم وتطبيقها.

ويُعد هذا النوع من الأساليب فعّالاً في إقناع الطرف الآخر، لا سيما في مثل هذا النموذج الجبار، فمن ذا الذي لا يريد أن يكون قدوته من أشاد الله به وبأخلاقه من فوق سبع سماوات؟! فهو الإنسان الناجح عملاً وأخلاقاً وقراراً وتصرفات، وكل فعل يدعو إليه يكون مآله بلوغ المقاصد، كما أن تأثير القدوة على السلوك والمبادئ والقيم من الأمور الحيوية التي تعين على تشكيل شخصية الفرد وتوجيه سلوكه الإيجابي، ويمكن أن يكون عاملاً مؤثراً فيما بعد بالقدوة أيضاً، لمن حوله، وبهذا يكون التأثير جلياً والإقناع واضحاً. وهذه الإستراتيجية ليست بغريبة، فهكذا كان دأب النبي في حياته، عاش كنموذج يُحتذى به في حياته اليومية، فكان مثلاً لصفات الصدق والأمانة والكرم والحلم والإنابة، مما يجعل الناس يقتدون به.

(1) خطبة 16 رمضان 1444 هجري.

(2) خطبة 4 ربيع الأول 1444 هجري.

(3) خطبة 11 ربيع الأول 1444 هجري.

(4) خطبة 18 ربيع الأول 1444 هجري.

(5) خطبة 25 ربيع الأول 1444 هجري.

11.1.2. الأمر في التداولية.

ترى التداولية أن الأمر في معانيه المجازية مرتبط بإرادة المتكلم، فهو بمثابة أفعال كلامية "تؤدي أغراضًا خطابية ووظائف تواصلية"،⁽¹⁾ لهذا يأتي مقترنًا بالقصدية وملزمًا لها، ويصل معناها المقصود للمخاطب بمساعدة القرائن اللفظية أو المعنوية أو الحالية كمحددات تهدي إلى المقاصد المطلوبة وتدل عليها. فنجد أن الدراسات التداولية تناولت "الأمر ضمن الآليات التوجيهية"⁽²⁾ في اللغة، لكونها توجه المخاطب إلى أمر معين ومقصود يكشفه السياق أو تحدده القرائن، ويتبين بوضوح من مجريات الأحداث المحيطة بالخطاب. لذا نجد أن الأمر غير الصريح شبيه بما سماه سيرل "الأفعال الكلامية غير المباشرة"،⁽³⁾ بهذا يمكن القول إن الحاجة إلى فهم الأمر غير الصريح تدفع إلى ضرورة فهم آليات تحليل الأسلوب حتى نستطيع الكشف عن تفاصيل التركيب فتتضح المعاني الضمنية فيه، ونحتاج إلى تحليل السياق الذي وردت فيه لفهم ملاسبات الخطاب وظروفه، و"حتى يكون الأمر ناجحًا يجب أن يفهم المرسل إليه أنه وجه إليه أمرًا مستعينًا في ذلك بالتنعيم أو السياق".⁽⁴⁾

12.1.2. النهي في التداولية.

تناولت الدراسات التداولية أسلوب النهي من منظور الأفعال الكلامية الطلبية التوجيهية وطريقة تأثيره في المتلقي ودوره في إنجاح العمليات التواصلية من حيث قدرته على التعبير عن معنى خارج إطاره اللفظي عن طريق تجاوزه للمعنى المباشر الحرفي، وتحمل بنيته التداولية معنى "الكف عن إيقاعه إن كان منجزًا أو بصدد الإنجاز"،⁽⁵⁾ فالدراسات في منظورها التداولي لا تنظر إلى النهي كتركيب نحوي فقط، بل كفعل كلامي يحمل دلالات تداولية متعددة منها التهديد والتحذير، أو تكون

(1) صحراوي، مسعود: *التداولية عند العلماء العرب*، ط1، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 2005م، ص111.

(2) الشهري، عبدالهادي: *إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية*، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، 2004م، ص340.

(3) صحراوي، ص158.

(4) ذهبية، حمو الحاج: *لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب*، ط2، الأمل للطباعة والنشر، ص139.

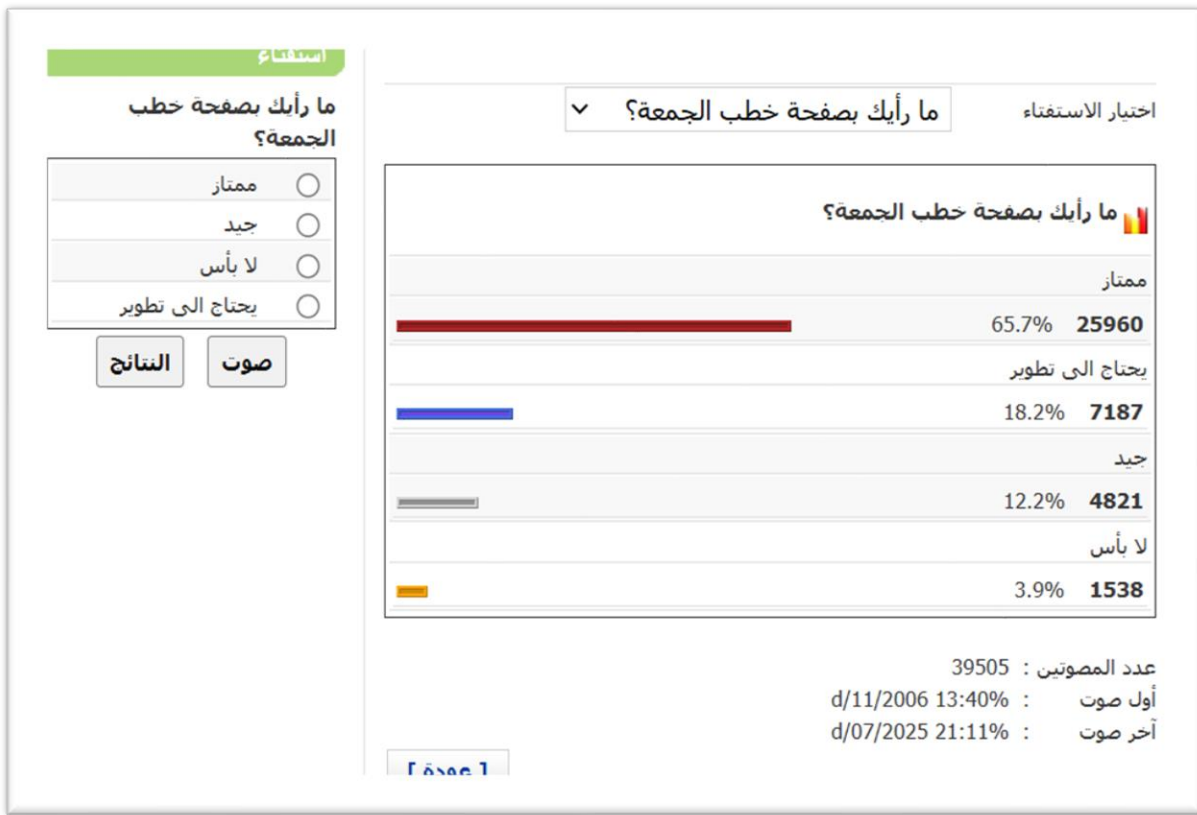
(5) الريامي، أحمد محمد: *القوة الإنجازية للأفعال الطلبية في سور المفصل (الأمر، والنهي، والاستفهام)*، مجلة موازين، مج5، ع1، ص ص23-44، ديسمبر 2023م، ص32.

أكثر إيجابية فتدل على معنى التوجيه والإرشاد والنصح، كما أن القوة الإنجازية للنهي ومدى تأثيرها مرتبطان بالسياقات التي يرد فيها ومقاصدها البلاغية "وصولاً إلى رصد إنجازية الحدث الكلامي والتأثير فيه"⁽¹⁾. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن التداولية في تناولها لهذه الأساليب الطلبية لا يقتصر على دلالاتها الحرفية، ففي تناولها للنهي يظهر أكبر من كونه مجرد منع، لأنه يتجاوز المعنى السطحي للكلمات، وتقود القرائن في السياقات المختلفة إلى إمكانية أن يحمل دلالات عاطفية توجه المتلقي وتؤثر فيه، فيستجيب للطلب باقتناع، وهذا يدل على مساهمة التداولية ودورها الواضح في تحقيق الأهداف التواصلية في الخطاب، وحرصها على المتلقي والاكتراث بمشاعره.

(1) حسن، معاذ وليد: تداولية تركيب النهي في سورة طه، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، مج:28، ع2، 2020م، ص ص 360-385، ص371.

2.2. المبحث الثاني: أثر أساليب التلطف في خطب الجمعة عند جموع المصلين.

إن قياس الأثر عند جموع المصلين يمكن تبينه من خلال بعض المؤشرات التي تدل على انطباع الناس ومستوى استجابتهم لهذه الخطب، والتي يمكن رصدها من خلال عمليات التحليل الخُطبي، وتتبع ردود أفعال المصلين المسجلة، وتحليل بعض إشارات التفاعل والمشاعر لديهم من خلال الرجوع إلى صفحة استطلاع آراء الناس حول هذه الخطب من خلال الصفحة الرئيسية التابعة لموقع وزارة الأوقاف، والتي تبين من خلالها أن نسبة المعجبين والذين عبروا عن رضاهم عنها هي الأعلى.



شكل (1) نتائج استطلاع آراء الناس حول خطب الجمعة في موقع وزارة الأوقاف.

ويتبين من خلال التصويت الموضح أن عدد المصوتين برأي ممتاز قد بلغ أعلى نسبة من بين الآراء الأخرى، إذ تمثل نسبة 66% تقريباً من بين 39537 مصوتاً. وتشير الصورة الموضحة أن عام 2025م في شهر يوليو (تموز) هو آخر رصد لهذه النتائج الموضحة، وهذا مما يدل على رضا الناس عن هذه الخطب وإقبالهم عليها. أيضاً، لا يمكن إغفال أثر هذا الاهتمام عندما يُقبل الناس على إبداء آرائهم في خطبة معينة إزاء موضوع معين، وإعادة طرح أفكارها والاستفادة من نتائجها، وكأنها بداية

واضحة حلقة كانت مفقودة، ليعاد هيكله الأفكار والآراء، وتصعيد الاقتراحات، وتوسيع الحلول، من خلال محاضرة أو برنامج تلفزيوني أو مقال في الصحف والمجلات، لتلقى بالتالي تفاعلاً وإقبالاً من الجماهير بشكل أوضح، فيبدأ الموضوع بالتوسع والانتشار بغية زيادة الوعي به عند الناس بشكل أوسع. فمما لا شك فيه أن طرح المواضيع من خلال برامج التواصل الاجتماعي على اختلافها يعد من السبل السهلة التي يمكن من خلالها ترويج الأفكار ونشرها بطرق أسرع وأكبر أثراً من السبل التقليدية الأخرى، لا سيما وأن هذه البرامج محط اهتمام فئات كبيرة من المجتمع تكاد تشمل الأطفال والشباب والشيوخ من الرجال والنساء. ومن المعلوم أن إثارة موضوع وتداوله يعني أنه مهم، وتفاعل الناس معه وتشجيع أفكاره دليل على استحسانه، فكل ما يلامس استحسان الناس تكون ردة فعلهم بالإقبال عليه وتداوله وإعادة نشره، وهذا النوع يمثل رأياً جماهيرياً جماعياً ويكون أبلغ أثراً من الآراء الفردية التي يمكن رصدها من خلال تسجيل إعجاب أو الرد بتعليق إيجابي حول فكرة أو موضوع معين.

فمن ضمن مؤشرات التأثير على جموع المصلين سعي جَلّ المجلات والصحف المحلية إلى ترويج ونشر أفكار هذه الخطب في محاولات جادة لتحقيق أهدافها وزيادة وعي الناس، وتعبيراً منهم عن رضاهم واقتناعهم بها، كـ "صحيفة أثير الإلكترونية"⁽¹⁾ التي تعيد نشر أبرز الرسائل المتضمنة في الخطبة؛ لتذكير الناس بها ضمن أخبارها المحلية. وقد تجلت سمة الرضا واللطف في عنوانها الذي أظهر نوعاً من الاهتمام والخصوصية بالذات الفردية، وكأنها تقول: لكل فرد، أنا أخطبك أنت فاستمع، فهذه الرسائل لك. إذ عنونت مقالها: (خطبة الجمعة لليوم تحمل عدة رسائل، إليك) وقد اختارت بعض الرسائل القصيرة التي من شأنها أن تزكي الوعي بأن حب النبي سبيل للإيمان به واتباع سنته، وهو الطريق لكل أمان وخلاص وفضيلة.

أما صحيفة الصحوة صوت الشباب فقد عنيت وأشادت بخطبة: "العلم خُلُق وفضيلة"⁽²⁾، وقد جاء تركيزها على أبرز العبارات التي تلامس الوجدان الإنساني، مشيرة إلى أن العلم أحد أهم سبل بلوغ مكارم الأخلاق والفضائل، ومما جاء فيها: "إن أوجب الواجب على من يطلب العلم أن يكون أكرم الناس خلقاً

(1) صحيفة أثير، لقد جاءكم رسول من أنفسكم، 15 يوليو 2025م، الرابط:

<https://www.atheer.om/archive/603120>

(2) خطبة 10 ذي القعدة 1443 هجري.

وأكثرهم خشية"⁽¹⁾، ويتضح أسلوب الأمر المتبع ضمن الأساليب غير الصريحة، حيث استُخدمت أحد ألفاظ الوجوب (أوجب الواجب) بديلاً لفعل الأمر (أفعل) من باب التلطف، كما تم بيانه في الفصل السابق.

أما موقع نبض فقد اتبع أسلوب التشويق لجذب من فاته حضور الخطبة، ونشر مقالاً بعنوان: "تعرف على عنوان خطبة الجمعة في سلطنة عُمان .. وأبرز مقتطفاتها -عاجل"⁽²⁾ فالأسلوب التشويقي يتمثل في إخفاء عنوان الخطبة أولاً، ثم تذييله بكلمة عاجل، فكل ذلك مما يدعو النفوس إلى فضول المعرفة. ومما جاء في هذا المقال مشيراً إلى عناية هذه الخطب بالفرد ومشاعره ومراعاة أحاسيسه: "إن ما يمر بالإنسان في هذه الدنيا من ابتلاءات لهو تأكيد لسنة التخصيص التي لا تتغير ولا تتبدل"⁽³⁾، ويمكن أن نتبين مدى الإيجابية في الطرح، فهي تخاطب الروح البشرية ألا تجزع، فما ابتليت إلا لخصوصية رشحتك باصطفاء لهذا البلاء. وهنا يتجلى الذوق في تقبل وقائع الحياة وأوجاعها بالإيمان والرضا، تأسيا بأباء البشرية من الأنبياء والمرسلين في تقبل البلاء والشدة. كما أنه عمد إلى ترك رابط الخطبة في أسفل المقال لتحقيق أكبر قدر من الإفادة والاستزادة.

وعنيت جريدة عمان بنشر مقالات بعض الكُتَّاب والمهتمين، منها مقال زاهر المحروقي الذي أبدى إعجابه ورضاه عن الخطبة التي كانت بعنوان "قلتكن لك بصمة خير في العالم الرقمي"⁽⁴⁾، والذي استفتح مقاله بعبارة "استمتعت بخطبة الجمعة"⁽⁵⁾ مؤكداً رضاه عن أسلوب الخطب ومواضيعها الذي خرج عن النمطية والتقليدية، ومعبراً عن تميزها في كونها استطاعت التماشي مع سياسات الفضاء الإلكتروني المفتوح ومواكبة اهتمامات وتطلعات الجيل الصاعد لشد انتباهه واحتوائه، فسييل هذه الخطب إنما هو إليهم ولهم، والمجتمع لا يعيش سوى مؤمناً مسالماً صالحاً إلا بصلاحهم وسلامهم وإيمانهم، لذا وُقِّعت الخطب في اختيار كل ما من شأنه أن يلامس واقع هذه الأجيال ويسد احتياجاتها ويملاً فراغها.

(1) صحيفة الصحوة صوت الشباب، إليكم مقتطفات من خطبة الجمعة، 15 يوليو 2025م، الرابط:

<https://alsahwa.om/?p=154664>

(2) صحيفة الشبيبة، تعرف على عنوان خطبة الجمعة في سلطنة عُمان وأبرز مقتطفاتها -عاجل-، 15 يوليو 2025م،

الرابط: <https://2u.pw/f9qT2>

(3) خطبة 26 رجب 1444 هجري.

(4) خطبة 19 ذي الحجة 1444 هجري.

(5) المحروقي، زاهر: خطبة الجمعة ولغة العصر، جريدة عمان، 15 يوليو 2025م، الرابط: <https://2u.pw/GuLDa>

ونشرت جريدة "الشبيبة"⁽¹⁾ مقتطفات من خطبة الجمعة "بين عام نودعه ونستقبله"،⁽²⁾ فكان تأثيرها بالعبارات اللطيفة والمحفزة والإيجابية جلياً، لذا جعلتها مقتطفاتٍ للنشر. ومما جاء فيها: (هنئاً لمن أنجز فصنع المعروف)، (إن من التوفيق أن يجلس الإنسان إلى نفسه)، (من أسرار النجاح وضع خطة وبرنامج للعام القادم).

أما عبر برنامج "إنستغرام"،⁽³⁾ فرأيت أن أحصر عدد الإعجابات المسجلة من مستخدمي هذا البرنامج وآراءهم حول بعض هذه الخطب، والتي جاءت أعدادها كما يلي:

جدول (2) نماذج من أعداد الإعجابات المسجلة في برنامج إنستغرام على بعض خطب الجمعة

عدد الإعجابات المسجلة	تاريخها	عنوان الخطبة
85	18 جمادى الآخرة 1443 هجري	1 (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)
68	9 رجب 1443 هجري	2 الجليس الصالح
86	16 رجب 1443 هجري	3 ووصينا الإنسان بوالديه
61	23 رجب 1443 هجري	4 وصلوا الأرحام
56	1 شعبان 1443 هجري	5 لنزيه من آياتنا
58	8 شعبان 1443 هجري	6 تجليات من سورة الإسراء
70	22 شعبان 1443 هجري	7 "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"
119	29 شعبان 1443 هجري	8 أياما معدودات
59	13 رمضان 1443 هجري	9 فاستجاب لهم ربهم
66	5 شوال 1443 هجري	10 أحب العمل إلى الله أدومه
71	17 ذو القعدة 1443 هجري	11 إلا رسول الله
72	7 محرم 1444 هجري	12 فأصبحتم بنعمته إخوانا
51	28 محرم 1444 هجري	13 والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون
60	2 ربيع الثاني 1444 هجري	14 التآني من الله
62	10 محرم 1445 هجري	15 ولله الأسماء الحسنى

(1) جريدة الشبيبة، مقتطفات من خطبة الجمعة "بين عام نودعه وعام نستقبله"، 15 يوليو 2025م، الرابط:

<https://2u.pw/uXS69>

(2) خطبة 23 ذي الحجة 1443 هجري.

(3) موقع إنستغرام <https://www.instagram.com/meraoman?igsh=MWpweXo1dmJqcWczcg>

- أما في تطبيق إكس (تويتر)،⁽¹⁾ فسأكتفي بعرض صورة لأحدى الخطب والتي يتضح من خلالها عدد مشاركات الإعجاب وإعادة النشر والتفاعل من خلالها كنموذج مصغر للخطب الأخرى:



شكل (2) نموذج على عدد مشاركات الإعجاب على الخطبة في تطبيق إكس

- أما في تطبيق "فيسبوك"،⁽²⁾ يمكن أن نتبين أثر هذه الخطب في جموع المصلين من خلال حرصهم على إعادة نشر الوعي بهذه الخطب وتحقيق أهدافها عن طريق نشرها بلغات مختلفة مثل الإنجليزية والسواحيلية والأردية، لأن الحرص جلي على أن تتم الاستفادة لأكبر شريحة ممن يعيشون على أرض الوطن.

(1) موقع تطبيق تويتر https://x.com/oman1_news/status/1537671222602915840

(2) موقع تطبيق فيسبوك <https://www.facebook.com/share/1GUqJEAdGa/?mibextid=wwXlfr>

3.2. المبحث الثالث: بيان مدى تكرار أساليب التلطف اللغوي إحصائياً وشيوعها.

1.3.2. الإحصاء لغة واصطلاحاً

إن مصطلح "الإحصاء" في اللغة يعني "التعداد" مطلقاً، وفي سياق التطور اللغوي استُحدث اللفظ إلى معنى آخر وهو "دراسة الأحوال الاجتماعية دراسة كمية"⁽¹⁾، ثم تجاوز المصطلح هذا النطاق ليصبح معناه أكثر شمولاً وهو "جميع الأبحاث والدراسات التي تستند إلى الأرقام"⁽²⁾، فتصبح بها المناهج الوصفية والتحليلية وغيرها أكثر دقة وموضوعية لضبط حقائقها والنتائج فيها بالأعداد، فيتم تعيين الكميات والمقادير ما قل منها وما كثر بأرقام تنتج العملية إلى عمل إحصائي واضح.

كما أن المطلع على تاريخ الإحصاء يجد أن حدود الأبحاث الإحصائية لم تكن ثابتة منذ نشأتها، ويمكن اليوم أن يجد أن اتجاه البحوث الإحصائية أصبح شاملاً حيث إنه اختلط بمختلف العلوم الأخرى كعلوم الاجتماع واللغات. لذا يمكن القول إن الحاجة إلى الأفكار والأساليب الإحصائية في الحياة الحديثة غدت مطلباً حيويًا لا غنى عنه في مختلف جوانب الحياة، وحتى وإن لم يكن دور الإحصاء جلياً وظاهراً للعيان فدوره متخف في شيء من خلفيات أحد جوانبه، وذلك لدور الجانب الإحصائي في رصد وتوجيه الحقائق ودوره الواضح في "نظم المساعدة في عملية صنع القرار"⁽³⁾. ومن التعريفات اللافتة لعلم الإحصاء والتي تعطي المصطلح قدرًا من أهميته الفعلية في الحياة الحديثة هي "أنه تكنولوجيا استخراج المعنى من البيانات"⁽⁴⁾ وقد اختير في تعريفه كلمة تكنولوجيا لأنها توأكب الثقافة العصرية فتمثل تطبيق العلم واكتشافاته وهذا بحد ذاته يُعد ماهية الإحصاء، بهذا يمكن الوصول إلى مصطلح علم الإحصاء اصطلاحاً كما يراه أهل الاختصاص بأنه: "مجموعة النظريات والطرق العلمية التي تبحث في جمع البيانات وعرضها وتحليلها واستخدام النتائج في التنبؤ أو التقرير واتخاذ القرارات بناءً على ذلك"⁽⁵⁾، فمن المعلوم أن الإحصاء هو علم تُجمع به البيانات بأساليب رياضية والاستعانة بالتقنيات التحليلية ليتم

(1) الحصري، ساطع: الإحصاء ملخص المحاضرات، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، 1938-1939م، ص1.

(2) المرجع نفسه، ص2.

(3) هاند، ديفيد جيه: علم الإحصاء، ترجمة: أحمد شكل، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2016م، ص7.

(4) المرجع نفسه، ص10.

(5) فليل، كامل وحمدان، فتحي: كتاب الإحصاء، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1434-2013م، ص13.

خلاله تحليل وتفسير النتائج وعرضها على هيئة جداول بيانية، وتعد معيّنًا للباحثين تساعدهم على استخلاص نتائج دقيقة تمنح أبحاثهم شيئًا من المصداقية والموضوعية.

وقد قسم علماء الإحصاء هذا العلم إلى قسمين، لكل قسم منهما اهتمام خاص بجانب معين، ويعين الباحثين في الجوانب التي يهتمون بها. وهذه الأقسام باختصار:

1. "قسم الإحصاء الوصفي"⁽¹⁾ ويعمل هذا القسم على جمع البيانات الإحصائية ثم تصنيفها

وتبويبها بناءً على خصائص مشتركة تجمع كل باب منها.

2. "قسم الإحصاء الاستدلالي"⁽²⁾ ويهتم هذا القسم باتخاذ القرارات المبنية على حصيلة النتائج التي

تم جمعها واستخلاصها من البيانات المبوبة في القسم الأول.

2.3.2. الصور البيانية

وهي طريقة تهدف إلى جعل المعلومات المقدمة بسيطة وأكثر وضوحًا، فتحول الأرقام والحقائق الرقمية والإحصائية إلى أشكال كصور تقريبية عنها. "ويعتمد شكل الرسوم البيانية على شكل وحدات الظاهرة المعنية كرمز أساس في عرضها لإعطاء صورة تقريبية"⁽³⁾، وتمثل الصور البيانية جزءًا مهمًا وتقوم بدور جوهري في الدراسات الإحصائية؛ لأنها تمثل أدوات مهمة لفهم البيانات وتحليلها بشكل فعّال، إذ يمكن من خلالها تبسيط الفهم وتعزيزه، فتحول البيانات الكبيرة والمعقدة إلى صور ومخططات قد تكون على هيئة أعمدة أو مخططات دائرية أو عمودية أو حتى خطية تيسر قراءة البيانات بصريًا، فيتبين لدى القارئ التوزيع العام لهذه البيانات المطروحة بسهولة، كما تعمل على كشف العلاقات وتتبع التغيرات وتوضح المقارنات بين المجموعات المختلفة سواء في الأعداد أو في تحديد اتجاهات النمو أو انخفاضه. لذا تعد بمثابة لغة مشتركة بين الباحث والجمهور غير المتخصص، حيث إنها تسهل عليهم فهم النتائج بطرق سهلة وميسرة، وأبرز هذه الطرق يتم عن طريق الجداول، وطريقة الجداول هي:

(1) فليفل، كامل وحمدان، فتحي، ص 13.

(2) المرجع نفسه، ص 13.

(3) البلداوي، عبدالمجيد: أساليب الإحصاء للعلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال، ط1، دار وائل للنشر، 2009م، ص 63.

"عرض الظاهرة مع مسمى أو زمن ضمن إطار معين يسمى جدول"⁽¹⁾، وطريقة أخرى تسمى طريقة المستطيلات أو الأعمدة، ويكون العرض بها عن طريق "رسم محورين أفقي وعمودي يمثل الأفقي مسمى الظاهرة أو الزمن، والعمودي يمثل قيمة الظاهرة ثم رسم مستطيل قاعدته على المسمى وطوله بقيمة المسمى بمقياس رسم مناسب"⁽²⁾، والذي يمكن من خلاله قراءة البيانات الوصفية والرقمية على هيئة أعمدة وصفوف.

ويُعد ملخصًا للأعداد الكثيرة من البيانات بطريقة سهلة ومنظمة، وأيضًا تعمل هذه الأعمدة على تجميع البيانات المتكررة بحيث تعطي نوعًا من الاختصار والدقة في عرض مجمل القراءات، لذلك تعد هذه الأعمدة وسيلة مناسبة لتحليل الكميات أو البيانات المعقدة. وتتمثل فوائدها في عرض البيانات الكاملة بأرقامها أو نسبها بطرق سهلة، وهذا مما يسهل عرض التقارير والعروض التقديمية بطريقة فعالة، كما أنها تسهل شرح البيانات في المجالات التعليمية والإدارية والتجارية بسرعة وفاعلية. وتكمن أهمية الإحصاء في دوره المحوري، إذ يساعد في اتخاذ القرارات الدقيقة التي يكون اتخاذها بناءً على أدلة رقمية مدروسة، "فهو يمكن أن يساعد الناس على اتخاذ قرارات أفضل وحل المشكلات واكتشاف رؤى جديدة"⁽³⁾، وأيضًا، تعمل هذه النتائج على تحسين البحوث العلمية للوصول إلى معلومات موثوقة، كما أنه يعمل على اختصار الجداول والأرقام والتفاصيل بإعطاء صور واضحة للتفاصيل المدروسة. وتكمن أهمية علم البيانات وقيمه في "استخدام أساليب إحصائية متعددة لتحليل وسحب الرؤى من البيانات، وهو ما يساعد على الفحص بعمق"⁽⁴⁾، وذلك لكون أن النظرية الإحصائية في علم البيانات بما يتبعها من طرق دقيقة وأساليب "تسهل في علم البيانات من خلال اتخاذ قرارات حول البيانات التي يجب جمعها أو تضمينها في التحليل، وتقديم أساليب إحصائية وتقييم فاعلية النتائج"⁽⁵⁾.

(1) فليفل، كامل وحمدان، فتحي: ص 18.

(2) المرجع نفسه، ص 13.

(3) عبد الهادي، محمد فتحي: مفهوم علم البيانات، المجلة العربية الدولية لدراسة المكتبات والمعلومات، مج 1، ع 4، أكتوبر 2022، ص 191.

(4) المرجع نفسه، ص 191.

(5) المرجع نفسه، ص 198.

لذا ارتأيت أن يكون في بحثي هذا جانب إحصائي يكون بمثابة ملخص للجانب الوصفي المتقدم، يصف استعمال الأساليب في هذه الخطب بحقيقة رقمية، ثم تحويلها إلى ملخص بياني واضح وسهل القراءة، فيكون بمثابة ملخصات بيانية للجانب اللغوي الذي تم فيه جمع ومعالجة وتحليل واستنتاج بيانات الأساليب، وتوضيح أكثرها حضوراً وشيوعاً وأقلها كذلك في المادة المدروسة، مع محاولة الوصول إلى مبررات واضحة ومقبولة لهذا التباين في الاستعمال. فالبيانات الرقمية تقدم "صلة مباشرة وفورية بالظواهر المدروسة أكثر مما تقدمه الكلمات، لأن البيانات الرقمية تنتج عادة عن طريق أدوات قياس تتصل اتصالاً مباشراً بتلك الظواهر بدرجة أكبر من اتصالها بالكلمات".⁽¹⁾

3.3.2. بيان مدى تكرار أساليب التلطف اللغوي وشيوعها.

لمعرفة أكثر هذه الأساليب شيوعاً وأكثرها دوراً، رأيت الوقوف على كل أسلوب على حدة، وإحصاء مرات وروده في الخطب المدروسة، والوقوف على أكثرها شيوعاً للوصول إلى أسباب ذلك ودواعيه، وأقلها شيوعاً وعلّة ذلك ومبرراته، وإحصاء بعض البيانات والتفاصيل المتضمنة في هذه الأساليب، والمتقدم وصفها من حيث أعدادها والمواضيع التي وردت فيها، ومن حيث الإثبات والحذف، وتوضيح نسب الاقتباسات التي تضمنتها العناوين، وحساب النسبة لكل أسلوب، ومحاولة فهم الأسباب حول هذا التباين ومبررات ذلك ونتائجه، فكانت النتائج كالتالي:

1. عدد تكرار أسلوب النداء في الخطب = 670

2. عدد تكرار أسلوب التحية والتقدير = 100، إذ أثبت التحليل أن كل ما بدأ بالبسملة فقد بدأ بتحية كتقدير للمخاطب واحترام له. (وكان عدد الخطب مادة الدراسة مائة خطبة وكل الخطب بدأت بالبسملة). وقد ظهر التقدير في جوانب بعض المواضيع أكثر من غيرها.

3. عدد تكرار الدعاء في الخطب = 835

4. عدد تكرار أسلوب الأمر غير المباشر = 134

5. عدد تكرار أسلوب النهي والصرف غير المباشر = 26

(1) هاند، ديفيد جيه، ص 30.

جدول (3) الأساليب وعدد مرات تكرارها

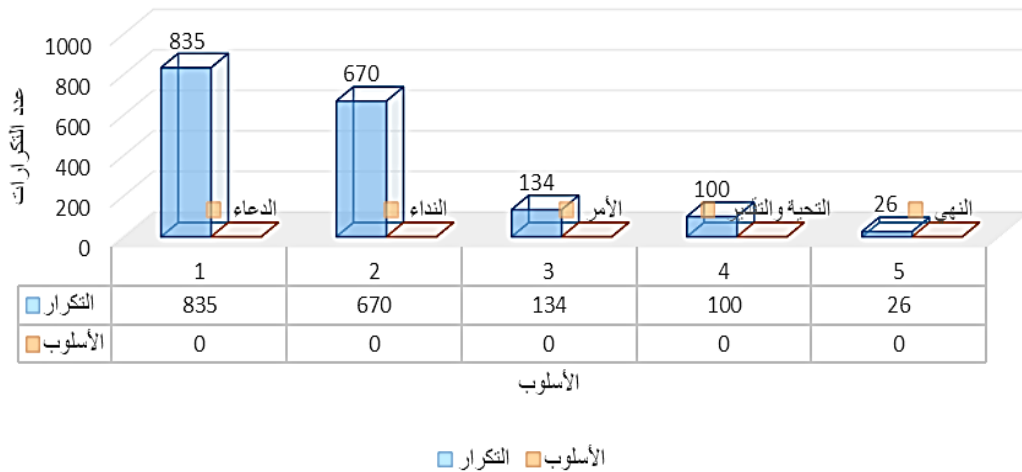
التكرار	الأسلوب
670	1. أسلوب النداء
100	2. أسلوب التحية والتقدير
835	3. أسلوب الدعاء
134	4. أسلوب الأمر غير المباشر
26	5. أسلوب النهي والصرف غير المباشر

جدول (4) الترتيب التنازلي من حيث الأكثر تكرارًا لهذه الأساليب

التكرار	الأسلوب
835	1. أسلوب الدعاء
670	2. أسلوب النداء
134	3. أسلوب الأمر غير المباشر
100	4. أسلوب التحية والتقدير
26	5. أسلوب النهي والصرف غير المباشر

العدد الكلي للأساليب كلها = 1765

الجدول البياني لتكرار الأساليب في الدراسة

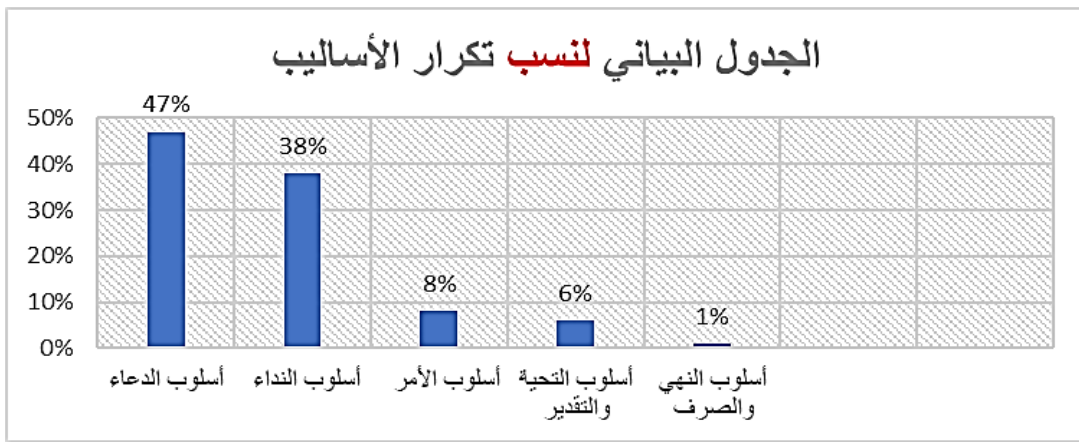


شكل (3) الرسم البياني لتكرار الأساليب في الدراسة

النسب المئوية لكل أسلوب:

جدول (5) ترتيب النسب المئوية تنازلياً

النسبة	الأسلوب
47%	أسلوب الدعاء
38%	أسلوب النداء
8%	أسلوب الأمر غير المباشر
6%	أسلوب التحية والتقدير
1%	أسلوب النهي والصراف



شكل (4) الرسم البياني لنسب تكرار الأساليب

1.3.3.2. أسلوب الدعاء الأكثر شيوعاً في الخطب:

وبعد إحصاء أعداد الأساليب وتكرارها التي وردت في هذه الخطب، تبين أن أسلوب الدعاء كان أكثرها تكراراً وشيوعاً، وقد يعود ذلك للأسباب التالية:

1. لأن الاستعانة بالله في دعوة الناس إلى الله تأتي في المقام الأول قبل الجهود البشرية الأخرى.
2. ولأن الدعاء مطلب ديني، فيأتي تحقيق استجابة الناس لهذه الدعوة بدعاء الله لتحقيق استجابتهم.
3. لأن للدعاء تأثيراً روحياً عميقاً يشعر الطرف الآخر بالاهتمام، فيحفز المشاعر الإيمانية لديه ويوقظ الوازع الديني عنده.
4. ومن منطلق أن الدعاء هو العبادة، فجدير بالأهمية أن تكون النصوص الدعوية تعبدية، فتسودها الأدعية لتكون الجزء الأهم فيها.

5. ولأن الدعاء بطبيعته يحقق استجابة وردة فعل من الطرف الآخر، فهو بمثابة روح التواصل الفعال الذي يشد الانتباه والأذهان للإصغاء والتركيز.
6. ولأن الوقت مبارك، فتحري ساعة الاستجابة في وقت الخطبة وإرسال الدعوات خلالها من أكبر الأسباب التي تجعل الدعاء أبرز جزء في الخطبة.
7. وللقيم الدينية التي يمثلها الدعاء، كان سبباً في كونه الأكثر حضوراً في الخطبة.
8. والدعاء عنصر مهم لزيادة التركيز وجذب الانتباه وخلق شعور بالرغبة في الحضور، فكل نفس تطمع أن تكون ضمن من يشملهم الدعاء.
9. ولأنه يعزز المشاركة، فالدعاء يستدعي تأمينا عليه، وهذا من أكبر دواعي الحضور.
10. ولأن الدعاء من أكبر أسباب الطاقات الإيجابية، لأنه أحد أهم أسباب جلب الخير ودفع الشر.
11. ولكونه ملاذا للاستعانة واللجوء إلى الله لجلب المنافع كلها وصرف المضار كلها.
12. ويعد تطبيقاً وإحياءاً لسنة النبي الذي كان يكثر من الدعاء.
13. ولأنه مدعاة لرحمة الله، فكلما أظهر الإنسان الخشوع والخضوع نال رحمة الله وحظي بإجابة الدعوات.

2.3.3.2. النهي والصرف الأقل شيوعاً في الخطب:

أما عن أقل هذه الأساليب شيوعاً في الخطب إحصائياً، فقد كان أسلوب النهي والصرف، وقد يعود ذلك لأسباب منها:

من المعلوم أن الرسائل الدعوية والخطابات الدينية، بما فيها خطب الجمعة، هي بمثابة رسائل إرشادية توجه بأسلوب حكيم، تهدف إلى التأثير الإيجابي في المتلقي؛ لذا ينبغي أن يراعى في مثل هذه الرسائل اللطف واللين والحكمة. وأسلوباً الأمر والنهي من الأساليب التي يأتي فيها الاستعلاء والإلزام، وهما أحد دلائل حدوثهما، وحتى في الوضع غير المباشر كان حضورهما قليلاً مقارنة بالأساليب الأخرى، وذلك لعدة أسباب:

- فمن الناحية الدينية، فقد جاء الإسلام داعياً إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس من

شيم الدين الإسلامي الدعوة بالإلزام والإكراه، فالله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز يقول: ﴿أَدْعُ

إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴿النحل: ١٢٥﴾.

- أما أخلاقياً، فمعلوم أن تكرار استعمال الأمر والنهي، وإن لم يكن بوجه مباشر، قد يأتي بنتائج سلبية، وذلك لأنه يشعر المتلقي بالإلزام، فيؤدي إلى نفوره وعدم تقبله.

- ومن الناحية الاجتماعية، فالشعوب أصبحت على قدر من الثقافة والانفتاح، وأضحى أسلوب الحوار والتدرج في الطرح والإقناع هو الأسلوب الحضاري الذي تطمح إليه الشعوب. وباتت أساليب الإلزام والاستعلاء مؤشرات على استعمال سياسة الإكراه، فتكون النتائج معها عكسية بخلاف الأساليب الحكيمة واللطيفة.

- أيضاً من الجانب السياسي، وهو جانب لا يمكن فصله عن الأخلاق والدين، والذي يسير على مبدأ الاتزان، إذ يُنظر إلى الأمور في مجملها على أنها توجيه وحرص، فتقوم على مبدأ الحوار والتفاهم لا على الغرض والإملاء القسري. وكل ما يخرج عن هذه الدائرة يكون مصحوباً بمبرر واضح يفسره، فإما أن يكون تعارضاً مع المبادئ والقيم الدينية والأخلاقية، أو أنه يجب أن يكون متوافقاً مع المعطيات الحديثة التي تحقق مصلحة أو تخدم الأمة، ويتم ذلك بما يتماشى مع هيبة الدين ولا يمس مبادئه.

ومن الجانب النفسي، فالنفوس جُلّها تأبى كل ما من شأنه أن يلزمها مهما كان، وتسعى لقبول الحوار الذي تقتنع بمفاده وتقبله لا بإكراه وإلزام.

وفي الجانب السلوكي، والذي تأتي الخطابات الدعوية لتغييره، يتطلب الإقناع لتغييره وتقويم اعوجاجه، إذ إن الأوامر والنواهي، ولا سيما إن جاءت بلهجة شديدة مهددة وملزمة، قد يكون تأثيرها عكسياً تماماً، وقد تعقد الأمور أكثر، فيكون تغيير السلوك من قبل الطرف الآخر ظاهرياً بسبب الردع والزجر، ويبقى متأصلاً في النفس يمارس في الخفاء، بخلاف ما لو كان هذا التقويم جاء بأسلوب حكيم ومقنع، فيكون الترك حينها بمجاهدة صادقة تدفع صاحبها إلى الترك عن اقتناع.

وكل هذا مما يدعو إلى طلب الرفق واللين في الخطابات الدعوية، والسعي الحثيث لتجنب كل ما من شأنه أن يفرض ويلزم، فالدين النصيحة، والدعوة بالتي هي أحسن مطلب ديني صريح دعا إليه القرآن وأكدته أفعال النبي في سنته.

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى بعض العواقب السلبية التي قد تصاحب استعمال أسلوب الأمر والنهي، مثل النفور والرفض، فكلما ضاقت مساحات الحوار ومال الحوار إلى الإملاء تعزز شعور المقاومة والرفض. أيضًا، التأثير العكسي من قبيل العناد وعدم التقبل حتى لو كانت الأوامر في ذلك الأمر صحيحة وعقلانية ومنطقية.

وضعف التأثير العاطفي، فكلما مالت الرسائل الدعوية إلى الأسلوب التسلطي ضعف قبول الوعاظ في قلوب الناس، وتعزز شعور رفضهم والنفور منهم، وهذا مما يُعَدُّم التأثير ويخفض نسبة الإقناع. ولهذا الأمر تداعيات خطيرة، إذ إن نفور الأجيال من الدعاة أقرب طريق لبعث الأجيال عن الدين الإسلامي وقبول تعاليمه، وهذا مما يوجب ضرورة أن يكون الوعاظ من أرحم الناس وأكرمهم أخلاقًا، وأكثرهم سماحة للناس، وأوسعهم صدورًا وألينهم جانبًا، تأسّيًا بأبائ البشرية من الأنبياء والمرسلين.

أيضًا من ضمن هذه العواقب، يمكن حصول سوء فهم، فيبدأ المتلقي بتفسير الأوامر والنواهي في الرسائل الدعوية، على أنها تعالٍ وفرض آراء عليه، وهنا يصبح تشويه كبير لحقيقة الرسائل الدعوية وبهذا تتحول الرسائل الدعوية من رسائل سامية إلى معاول هدم في أسس المجتمع وسواعد بنائه.

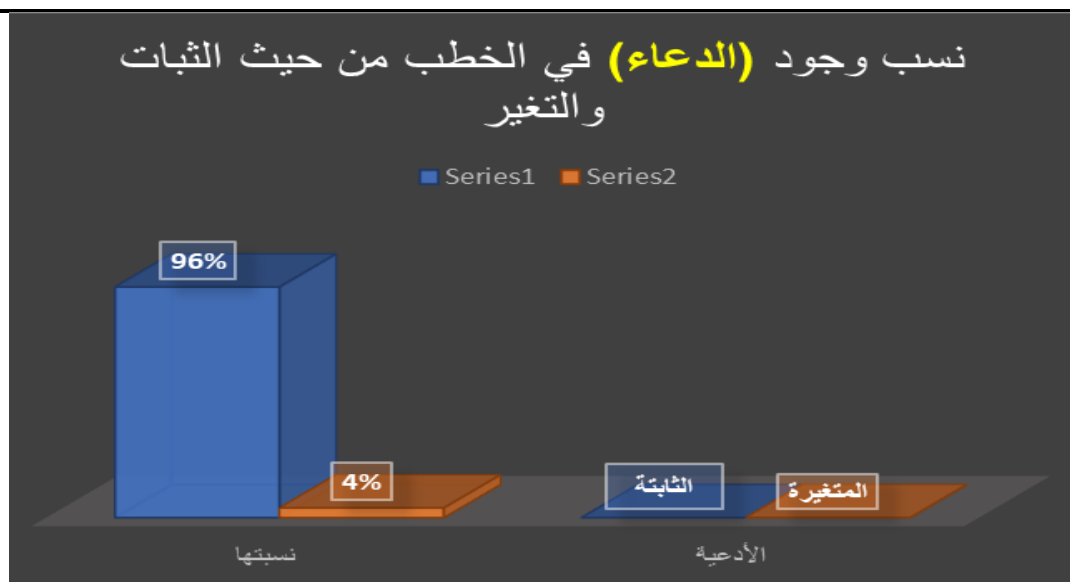
4.2. المبحث الرابع: علاقة شيوخ أساليب التلطف اللغوي بنمط الخطبة وأهدافها.

جدول (6) أعداد الأدعية الثابتة والمتغيرة في الخطب

835	تكررت الأدعية بعدد
804	عدد الأدعية الثابتة
31	عدد الأدعية المتغيرة

جدول (7) نسب الأدعية الثابتة والمتغيرة في الخطب

الأدعية	نسبتها
الثابتة	%96
المتغيرة	%4



الشكل (5) الرسم البياني لنسب وجود الدعاء في الخطب من حيث الثبات والتغير

من الملاحظ من هذه الأشكال والبيانات أن نمط الأدعية الثابتة أكثر شيوعاً ويغلب على النمط المتغير فيها، ويمكن أن نفسر علاقة ذلك بتحقيق الذوق اللغوي من خلال بعض المؤشرات، منها أن الأدعية الثابتة ترسخ النموذج البلاغي في الخطبة، وذلك لأنها عادة ما تكون مختارة بعناية، فيكون انتقاؤها جلياً لأنه يحمل نوعاً من التراكم الفصيحة والصور البيانية، وتكرار هذا النمط اللغوي لدى المخاطبين يرسخ لديهم نوعاً من الذوق اللغوي السليم.

أضف إلى ذلك أن تكرار الأدعية وثباتها في كل خطبة يولد نوعاً من الألفة لدى المتلقي، لا سيما لما تحمله الأدعية من سمات الروحية، فيبقى هذا الجزء الثابت من الدعاء في الخطبة بمثابة

الجرعة التي ينتظرها المستمع راجياً أثر تحققها الروحي عليه دون أن يشعر بأي تصنع، لأن تكرارها يعني تجدد الأمل بتحققها ورجاء الله بها، وهذه إضافة إيجابية لروح المتلقي يستشعر فيها الرحمة واللطف الخفي. كما أن تحقق التناغم الصوتي نظراً لما تحمله هذه الأدعية من توازن في الإيقاع ينمي الحس الجمالي لدى المتلقي، بخلاف الأدعية المتغيرة نظراً لتعبيراتها المختلفة من خطيب لآخر، ومن موضوع لآخر يصعب تكوين ذوق لغوي مشترك فيها.

أما من ناحية أثر هذا التغير والثبات في تحقق أهداف الخطبة، فيمكن القول أن استعمال الأدعية الثابتة يمكن أن يشعر المخاطبين بالوحدة الفكرية والوجدانية ويعززها، وهذا مما يخدم البعد التربوي والوجداني فيها. أضف إلى ذلك أن طبيعة هذه الأدعية الثابتة أنها جاءت بمقاصد شاملة فتعمل على ترسيخ الرسالة النهائية في عقول المخاطبين ووجدانهم. كما أن ثباتها يرسخها في عقول الجيل فتكون بمثابة رصيد ديني في عقله يدعو به لنفسه ولغيره، وعادة ما تكون المتغيرة مرتبطة بالمواضيع المختلفة، وهذا يمنع تحقق الأثر الدائم، فعادة ما يكون مؤقتاً مفتقراً إلى التأثير الوجداني المتكرر.

1.4.2. مبررات حضور النداء وشيوعه إحصائياً في المرتبة الثانية.

فلا يقل أسلوب النداء أهمية أيضاً، إذ يتصدر المرتبة الثانية من حيث تكراره وحضوره في الخطب، وهذا ليس من فراغ، بل إن هناك دواعي تطلبت حضوره بهذه الكثافة، منها:

1. دوره الكبير في لفت انتباه المخاطبين والحرص على متابعتهم للخطيب، لذا وجدنا أن النداء تخلل الخطب كلها وتكرر فيها على مدار إلقائها من البداية إلى النهاية.
2. ولأن النداء له دور في إحياء التأثير النفسي عند المخاطبين، فهو يعمل كمنبع يسترعي أسماعهم ويجذب انتباههم على مدار الوقت، وذلك لدوره في تجديد التفاعل بين الخطيب ومستمعيه.
3. يمثل دوراً واضحاً في تهيئة المخاطبين لتلقي الرسالة، لذا عمد الخطباء إلى تجديد النداء عند الانتقال إلى فكرة جديدة، وأحياناً تكرار النداء أكثر من مرة في الفكرة ذاتها.

4. يساهم النداء في تحويل الخطبة من كونها نصًا يتولى الخطيب الحديث فيه بمفرده إلى خطاب تفاعلي بما يحقق تواصلًا مباشرًا، وكأن المستمع يلبي دعوة النداء ويحضر بقلبه وعقله في كل مرة يُنادى فيها، وبهذا يشترع المخاطب أهميته كونه جزءًا من هذا الحوار.

كما يمكن أن يحقق النداء على مدار الخطبة آثارًا إيجابية عديدة في المخاطبين، كشعور المخاطب بالانتماء عندما يُخص بالنداء وأنه المعنيّ بهذه الدعوة وهذا الاهتمام. هذا بالإضافة إلى تعزيز روح التآلف والمحبة والقبول في نفوس المخاطبين نظرًا للصفات والأسماء التي يخصصهم بها الخطيب في نداءه كإخوة الدين وغيرها، كما أن استعمال النداء يجعل المواضيع أوضح وأكثر سهولة، وذلك لأن انتقال الخطيب بين الأفكار يتجدد بالنداء.

أضف إلى ذلك أن بعض الألفاظ المستعملة لمخاطبة المستمعين تثير الدافعية والحماس في نفوسهم للتوبة والإصلاح، لا سيما عندما يختار صفات كالمؤمنين والصالحين والتوابين وغيرها. ولا يمكن إغفال الدور الذي يقدمه النداء في تحقيق أهداف الخطبة، لأنه يعمل على توجيه انتباه المخاطبين إلى النقاط المهمة، وهذا مما يضمن وصول الرسالة وتحقيقها.

وأيضًا، يمكن للنداء أن يعزز التأثير البلاغي، فالنداء أحد الأدوات البلاغية التي تجعل الخطاب أكثر قوة وإقناعًا. وبالتالي، فإن وجود هذا التأثير في النفوس هو المحرك الرئيسي لتعديل السلوك وتصحيح الأخطاء.

كما أن أسلوب المرشد والمربي الحكيم يتجلى في أسلوب النداء، فالله تبارك وتعالى - ولله المثل الأعلى - جاء بالقرآن كدستور حياة، ولا تكاد تخلو سورة منه من نداء للإنسان بشكل فردي، وندائهم كجماعة، وندائهم ببشريتهم كالناس والإنسان، وندائهم بمراتبهم الدينية كالمؤمنين والمسلمين، ونداء للرسول ليلغمه، وهذا إشارة واضحة إلى أن النداء في الدعوة من أبرز الأساليب التي قد تحقق الرسائل الدعوية وتعمل على تحقيق الأهداف؛ لهذا تكرر بهذا العدد الملفت في الخطب.

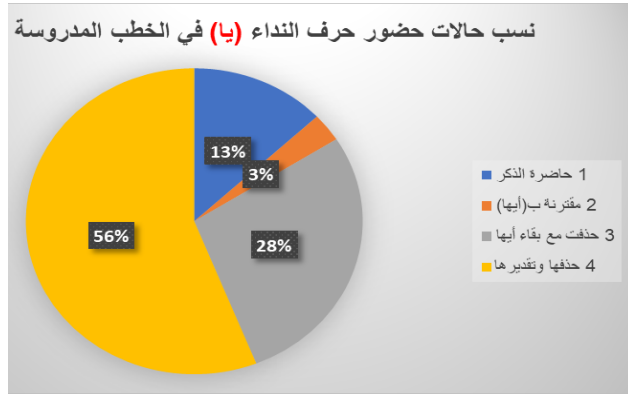
1. اقتصرت الخطب المدروسة على استعمال حرف النداء (يا)، والتي وردت فيها بأربع حالات:

الجدول (7) الحالات التي استعملت بها أداة النداء (يا) في الخطب المدروسة

العدد	الحالة
86	حاضرة الذكر
18	مقترنة ب(أيها)
186	حذفت مع بقاء أيها
380	حذفها وتقديرها

الجدول (8) نسبة حضور كل نوع منها في المادة المدروسة

النسبة	الحالة
%13	حاضرة الذكر
%3	مقترنة ب(أيها)
%28	حذفت مع بقاء أيها
%56	حذفها وتقديرها



الشكل (6) الرسم البياني لنسب الحالات الأربعة

غلب نمط استعمال "يا" من بين أدوات النداء الأخرى، لذا فإن اقتصار خطب الجمعة المدروسة على استعمال حرف النداء (يا) بالذكر أو الحذف والتقدير دون غيره وشيوعه المتفرد فيها، يمكن أن يجعله من الأسس الجوهرية في أسلوب النداء، كما أرى أنه ملائم لطبيعة الخطاب الوعظي والدعائي والتوجيهي، إذ يعد استلهاماً واضحاً من النص القرآني، فالله جل ما نادى عباده فيه بـ (يا)، إذ جعلها أداة مألوفة تضي نوعاً من البعد الشرعي والهيبة الدينية المقدسة في الخطاب، كما أنها الأداة التي تصلح بلاغياً للاستعمال للقريب والبعيد، فتؤدي أغراض الخطبة وأغراض الخطيب من القرب

والبعد مكانياً ووجدانياً، كما أنها من أهم الأدوات الفعالة للتبنيه وتحقيق التفاعل والتواصل، وهذا مما يضيف نوعاً من التلطف وخلق جو من التقارب التواصلي والتخاطبي بين الخطيب والمتلقين، فيشعر المتلقي بنوع من الاهتمام الذي يعزز لديه الإقبال والقبول، ويكسر حاجز الجفاف اللغوي ويحول الخطبة من التوجيه الجامد إلى مناشدة وجدانية مؤثرة في الخطاب، وبالتالي يعزز تحقق الأهداف.

الجدول (9) أعداد (صفات المخاطبين وأنواعها في النداء)

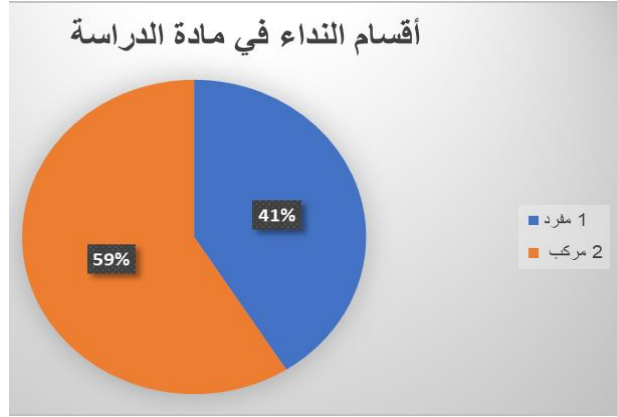
النوع	العدد
1 مفرد	276
2 مركب	394

الجدول (10) نسبة هذه الأعداد

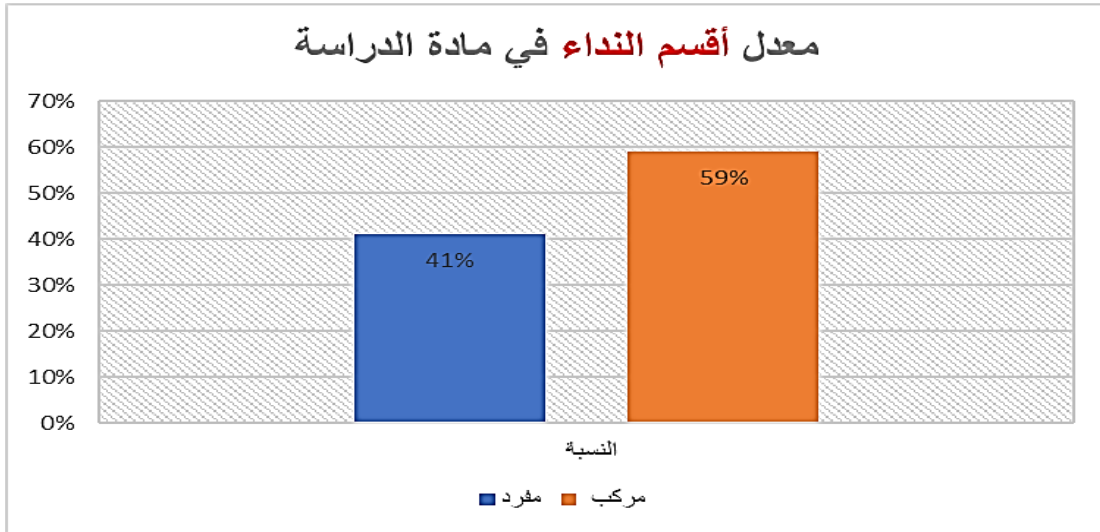
النوع	النسبة
1 مفرد	41%
2 مركب	59%

من الملاحظ أن نمط الصفات المركبة غلب على نمط الصفات المفردة، لذا يمكن القول إن شيوع الصفات المركبة في النداء على الصفات المفردة يعكس عبقرية لغوية عند كُتّاب الخطب والخطباء، هدفهم فيها التلطف وتحقيق أهداف هذه الخطب، لما لهذه الصفات من دور في تحفيز المخاطبين وفتح آفاق من التهيئة النفسية تكون سبباً للإقناع الديني والتربوي، لأن انتقاء الصفات المركبة مثل: (عباد الله، وأهل الإيمان، وإخوة الدين)، ليس مجرد صيغ عابرة بل هو تعبير فني يوحي بسمو الغايات ويعكس احترام المخاطبين، لما لهذه الصفات المركبة من دلالات عميقة قد لا تظهر في غيرها من الصفات المفردة، مما يعني أنها تعطي بعداً معنوياً إضافياً، فاستعمال عباد الله يعد أعمق من البعد الانتمائي الديني الذي يتجسد في كلمة مسلمين، كما أن الخطاب بصفات كأمة الإسلام وأهل الإيمان يوحي بمدى اتساع دائرة المخاطبين لهذا الوعظ، يتعدى الحدود الجغرافية فيمنح الخطاب شمولية واحتواء يشمل كل من ينتمي للإيمان سلوكاً واعتقاداً وفكراً. كما أن كونهم أهلاً لهذا يؤثر إيجابياً على مشاعر المخاطبين فيكون النداء تحفيزياً واحتفائياً يوحي بالعظمة والانتماء إلى جماعة مميزة بالإيمان، وهذا من شأنه أن يخلق فيهم جواً من الألفة، ولأن غرض الخطيب تحقيق أهدافه فإن تعزيز الأثر النفسي بات مهماً، فلا يخاطبهم بلغة جامدة، بل يتخير كل

ما من شأنه أن يحرك الشعور ويوقظ المشاعر، فأهل وأخوة وأحبة في الدين والإسلام أقرب إلى القلوب من يا مؤمن ويا مسلم. وكل ذلك مما يدعو للوحدة والألفة.



الشكل (7) الرسم البياني لأقسام النداء



الشكل (8) رسم بياني بالأعمدة البيانية يمثل نسبة الأقسام المفردة والمركبة

الجدول (11) أعداد أسماء وصفات المخاطبين الأكثر دوراناً في نداء الخطب المدروسة

العدد	الاسم أو الصفة	
428	عبد الله + عباد الله	1
141	المؤمن + المؤمنون	2
34	المسلم + المسلمين	3
15	أخوة الإيمان	4
6	المعلم + والمعلمون والمعلمات	5
6	الشباب	6
40	باقي الأسماء والصفات	7

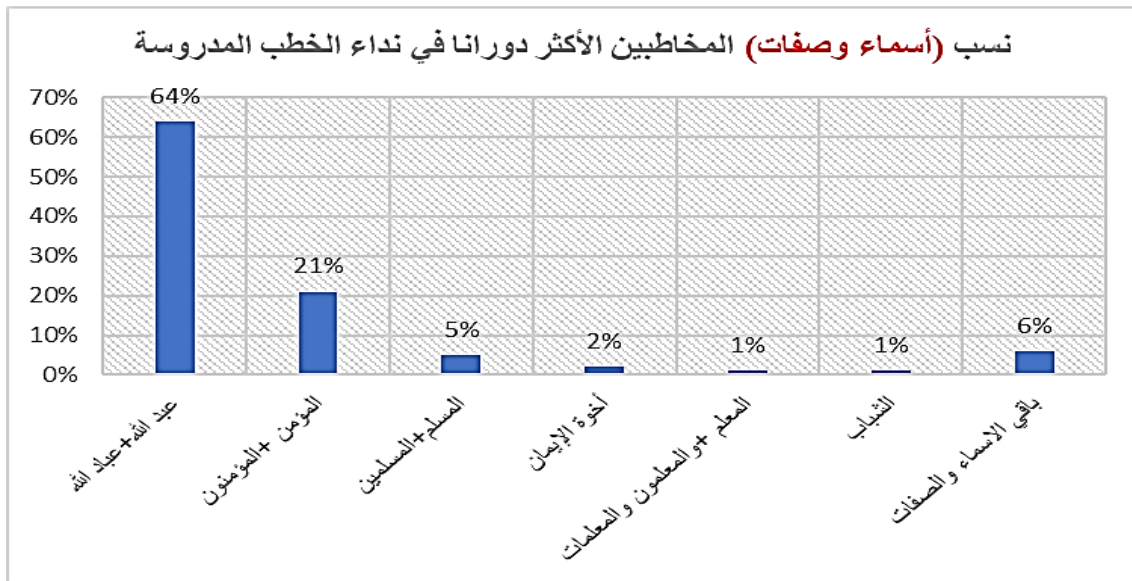
ملاحظة:

استعمل الخطباء أسماء عديدة وصفات مختلفة بأعداد متفاوتة، ولكن أقل من ستة للاسم أو الصفة الواحدة، مثل: (السائق، المسافر، المقتدي، الحريص، الموفق، الساعي، المربون، الراجون، الآباء والأمهات، المخلصون، المتقربون، الراغبون، الكرام، المصلون، أمة الإسلام، أهل الإيمان وغيرها).

لذا اخترت أن أجملها مع بعضها دون أفراد، وإجمالي هذه الأسماء والصفات مجتمعة أربعون اسماً وصفة.

الجدول (12) نسب أسماء وصفات المخاطبين الأكثر دورانا في نداء الخطب المدروسة

النسبة	الاسم أو الصفة	
64%	عبد الله + عباد الله	1
21%	المؤمن + المؤمنون	2
5%	المسلم + المسلمين	3
2%	أخوة الإيمان	4
1%	المعلم + والمعلمون والمعلمات	5
1%	الشباب	6
6%	باقي الأسماء والصفات	7



الشكل (9) رسم بياني لنسب الأسماء والصفات الأكثر دورانا

الجدول (13) العناوين المختبسة من القرآن والسنة

مقتبسة من السنة	عناوين مختبسة من القرآن
(ألا كلكم راع وكلم مسؤول عن رعيته) ⁽¹⁾	1 هذا خلق الله لقمان: 11
(إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء) ⁽²⁾	2 كنتم خير أمة أُل عمران: 110
(وصلوا الأرحام) ⁽³⁾	3 (ووصينا الإنسان بوالديه) العنكبوت: 8-لقمان: 14-الأحقاف: 15.
(أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل) ⁽⁴⁾	4 (لنريه من آياتنا) الإسراء: 1
(والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) ⁽⁵⁾	5 (قد نرى تقلب وجهك في السماء) البقرة: 144
(ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ⁽⁶⁾	6 (وما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) طه: 2
(التأني من الله) ⁽⁷⁾	7 (أياما معدودات) البقرة: 203
(ولا يجتمع الشح والإيمان) ⁽⁸⁾	8 (فاستجاب لهم ربهم) آل عمران: 195
(دلني على عمل يدخلني الجنة) ⁽⁹⁾	9 (لن تتألوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) آل عمران: 92
(خير يوم طلعت عليه الشمس) ⁽¹⁰⁾	10 (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) الرحمن: 60
(كمثل الجسد الواحد) ⁽¹¹⁾	11 (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) الذاريات: 55
(المؤمن للمؤمن كالبنيان) ⁽¹²⁾	12 (قل سيروا في الأرض) الأنعام: 11-النمل: 69-العنكبوت: 20- الروم: 42.
(وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين) ⁽¹³⁾	13 (فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران: 103
	14 (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) النور: 22.
	15 (والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون) المؤمنون: 8-المعارج: 32
	16 (وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم: 21

(1) ابن حنبل، ج10، ص139.

(2) ابن حنبل، ج32، ص430.

(3) ابن حنبل، ج39، ص201.

(4) ابن حنبل، ج41، ص417.

(5) ابن حنبل، ج24، ص469.

(6) ابن حنبل، ج1، ص190.

(7) البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الصغير للبيهقي، ط1، تحقيق: عبدالمعطي أمين، دار النشر جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، ج4، 1989/1410م، ص124.

(8) ابن حنبل، ج14، ص203.

(9) ابن حنبل، ج45، ص133.

(10) ابن حنبل، ج15، ص240.

(11) الحمداني، ياسر أحمد: موسوعة الرقائق والأدب، ص7070

(12) ابن حنبل، ج32، ص400.

(13) ابن حنبل، ج13، ص410.

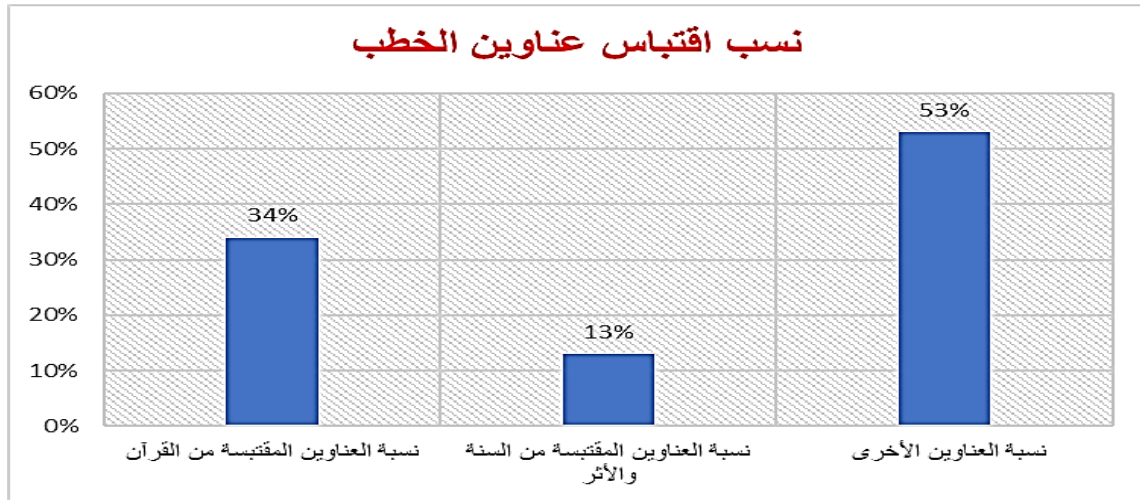
مقتبسة من السنة	عناوين مقتبسة من القرآن
	17 (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) التوبة:128
	18 (عزيز عليه ما عنتم) التوبة:128
	19 (حريص عليكم) التوبة: 128
	20 (بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة:128
	21 (ولا يثقى) طه:320
	22 (رب اجعل هذا البلد آمنا) إبراهيم:260
	23 (ولا تسرفوا) الأنعام:141-الأعراف:31
	24 (نحن نرزقكم) الأنعام:151
	25 (وأصلح لي في ذريتي) الأحقاف:15
	26 (ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا) المائدة:113
	27 (سبحان الذي أسرى بعبده) الأسراء:1
	28 (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) ق:5
	29 (ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين) الأنعام:141
	30 (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات:13
	31 (في بيوت أذن الله أن ترفع) النور:36
	32 (وكان الله على كل شي مقتدرا) الكهف:45
	33 (إن هذه أمتكم أمة واحدة) الأنبياء:92-المؤمنون:52
	34 (إن الله مع الصابرين) البقرة:153-الأنفال:46

الجدول (14) أعداد العناوين

100	عدد العناوين كاملة
34	عدد العناوين المقتبسة من القرآن
13	عدد العناوين المقتبسة من السنة والأثر
53	أخرى

الجدول (15) نسب هذه الأعداد

100	عدد العناوين كاملة
%34	نسبة العناوين المقتبسة من القرآن
%13	نسبة العناوين المقتبسة من السنة والأثر
%53	نسبة العناوين الأخرى



الشكل (10) الرسم البياني لنسب العناوين

إن المتأمل يجد أن نمط اقتباس عناوين الخطب من القرآن والسنة والأثر يغلب على قوائم موضوعاتها، وهذا مدعاة لحضور التأثير الروحي المقنع، فهذه النصوص المقتبس منها تعطي وزناً وثقلاً في طرح الأفكار والنقاشات، وهي بمثابة الأسس الثابتة والمحقة لصدقها، والتأكيد المقنع لقبول القيم والتوجيهات والوعود؛ لأن مصدرها لا يطرأ عليه الشك، كما أن الاقتباس من هذه النصوص يعزز الشعور بالهوية الثقافية والدينية عند المتلقي لعمقها، وكل هذا مما يسهم في قوة الإقناع. عناية في تنوعها حتى لا تتخذ منحى واحداً مألوفاً، بعضها جاء كنص آية، وبعضها كنص من حديث أو قول مأثور، وبعضها وافق عنواناً حسب متطلبات الموضوع المتحدث عنه وبما يوافقه ويحقق مضمونه.

2.4.2. الجانب الإحصائي في أسلوب التحية والتقدير

أن ظهور أسلوب التحية والتقدير بعدد مساوٍ لعدد الخطب المدروسة دليل على أن التلطف اللغوي في هذه الخطب لم يكن من قبيل المصادفة أو التصنع والعشوائية، بل هو ضمن أسسها المدروسة، والتي جعلت اللطف في الخطاب وقصد تقديره هدفاً مقصوداً لكونه مطلباً دينياً وإنسانياً ونفسياً، يتضح أكثر ما يكون في الجانب (الإرشادي والإصلاحية)، والجانب الاجتماعي والجانب الأخلاقي، وذلك لأن دواعي وجوده في هذه الجوانب متمثلة في:

- إن التحية في الدين الإسلامي مطلب ديني، والرد عليها فرض كما جاء ذلك نصاً في كتاب الله،

وذلك نظراً لأهمية هذه التحية في التواصل مع الناس وإشعارهم بالاحترام والتقدير.

- كما أنها تعكس القيم الإنسانية في المجتمعات البشرية كحاجة الناس للاحترام والتقدير لتحقيق تواصل إيجابي، فتكون التحية في هذه الحالة بمثابة رابط يجمع الحاضرين ويشعرهم بأنهم جزء من جماعة مسلمة تشد أوصالها روابط إنسانية قوية ويؤازرها الدين.

- ومن الجانب النفسي فمعلوم أن التحية وتقدير المخاطب يبعثان على الراحة والطمأنينة، وهذا من الأسباب المؤثرة إيجابياً على المستمعين، أضف إلى ذلك أن البدء بالتحية يشعر المخاطب بالتقدير، وهذا يهيئه لاستقبال الخطاب والتفاعل معه.

- تعد التحية والتقدير مطلباً اجتماعياً مهماً في الحياة اليومية بشكل عام وفي المحافل والمناسبات بشكل خاص، وذلك لدورهما في تعزيز روح الألفة بين الناس ونشر السلام فيما بينهم. وقد أكدت النصوص الدينية في القرآن والحديث وجوب إفشاء التحية والسلام لأهمية ذلك في تقريب قلوب الناس وتعزيز تواصلهم.

لذلك وجدنا حضور التحية في كل خطبة من هذه الخطب، فكان إحصاء تكرارها مساوياً لعدد هذه الخطب. هذا بالنسبة للتحية، أما لأساليب التقدير الأخرى التي جاءت في مقدمة هذه الخطب فقد تفاوت ظهورها في الخطب، متمثلة في العبارات اللطيفة والكلمات الرقيقة التي تخاطب قلوب المخاطبين قبل عقولهم.

وقد جاء بيان ذلك بالتفصيل في فصل التحية والتقدير، وقمنا بحصر هذا الحضور وإحصائه للوصول إلى الجانب الأكثر مراعاة من قبل الخطيب لإبراز التلطف فيه وقصدية حضوره، مع إيضاح أسباب ذلك ومبرراته.

الجدول (16) جدول بعناوين الخطب وتواريخها حسب الجوانب الأكثر ظهوراً للتلفظ اللغوي في أسلوب التقدير:

الاجتماعي	الأخلاقي	الإرشادي والإصلاح
1	"كنتم خير أمة"	"قد نرى تقلب وجهك في السماء"
16 رجب 1443 هجري.	11 جمادى الآخرة 1443 هجري.	15 شعبان 1443 هجري.
2	(إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء)	"ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"
8 شعبان 1443 هجري.	9 رجب 1443 هجري.	22 شعبان 1443 هجري.

الإرشادي والإصلاح	الأخلاقي	الاجتماعي	
"أيام معدودات"	"لنريه من آياتنا"	"فأصبحتم بنعمته إخوانا"	3
29 شعبان 1443 هجري.	1 شعبان 1443 هجري.	7 محرم 1444 هجري.	
بادروا بالأعمال الصالحة	ما ظنك باثنين الله ثالثهما	نظرات في التخطيط	4
6 رمضان 1443 هجري.	30 ذي الحجة 1443 هجري.	14 محرم 1444 هجري.	
"فاستجاب لهم ربهم"	"والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون"	معا ضد التسول	5
13 رمضان 1443 هجري.	28 محرم 1444 هجري.	26 صفر 1444 هجري.	
"لن تتالوا البر حتى تتفقوا مما تحبون"	ترك الأنعام سائبة ضرر كبير	"رب اجعل هذا البلد آمنا"	6
20 رمضان 1443 هجري.	12 صفر 1444 هجري.	23 ربيع الآخر 1444 هجري.	
"فإن الذكرى تنفع المؤمنين"	"عزيز عليه ما عنتم"	"ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس"	7
19 شوال 1443 هجري.	11 ربيع الأول 1444 هجري.	جميعا 27 جمادى الآخرة 1444 هجري	
العلم خلق وفضيلة	"حريص عليكم"	حياتك أمانة.	8
10 ذي القعدة 1443 هجري.	18 ربيع الأول 1444 هجري.	24 شعبان 1444 هجري.	
هدي رسول الله في خير أيام الله	"بالمؤمنين رؤوف رحيم"	"في بيوت أذن الله أن ترفع"	9
9 ذي الحجة 1443 هجري.	25 ربيع الأول 1444 هجري.	20 ذي القعدة 1444 هجري.	
"ألا تحبون أن يغفر الله لكم"	(التأني من الله)	نحو أسرة مستقرة	10
21 محرم 1444 هجري.	2 ربيع الآخر 1444 هجري.	17 محرم 1445 هجري.	
من المسارعون ومن السابقون؟	"ولا يشقى"	(كمثل الجسد الواحد)	11
9 ربيع الآخر 1444 هجري.	16 ربيع الآخر 1444 هجري.	26 ربيع الآخر 1445 هجري.	
"ولا تسرفوا"	صوتك أمانة.	"إن الله مع الصابرين"	12
8 جمادى الأولى 1444 هجري.	29 جمادى الأولى 1444 هجري.	8 جمادى الآخرة 1445 هجري.	
من وعود الله لعباده	"بل كذبوا بالحق لما جاءهم"		13
15 جمادى الأولى 1444 هجري.	14 شوال 1444 هجري.		
"نحن نرزقكم"	ومنهم سابق بالخيرات		14
6 جمادى 1444 هجري.	13 ذي القعدة 1444 هجري.		
(ولا يجتمع الشح والإيمان)	حفظ ماء الوجه كرامة		15
13 جمادى الآخرة 1444 هجري.	27 ربيع الأول 1445 هجري.		
من عظيم معاني الصلاة في القرآن	"إن الله مع الصابرين"		16
12 رجب 1444 هجري.	8 جمادى الآخرة 1445 هجري		
يا صاحب الأمنيات أنت في رمضان.			17
2 رمضان 1444 هجري.			
وما زال عبدي يتقرب بالنوافل حتى أحبه			18
30 رمضان 1444 هجري.			
يوم عرفة بركة ورحمة			19

الإرشادي والإصلاحي	الأخلاقي	الاجتماعي
5 ذي الحجة 1444 هجري. فلتكن لك بصمة خير في العالم الرقمي.		20
19 ذو الحجة 1444 هجري. وأقم الصلاة لذكري		21
26 ذي الحجة 1444 هجري. العلم والتقى سبيلان لصالح العمل.		22
1 صفر 1445 هجري. رجاء رحمة الله شعار القانت الأواه		23
20 ربيع الأول 1445 هجري. حسن الظن بالله في وقت الأزمات		24
1 جمادى الآخرة 1445 هجري. مقصد الدين حماية الإنسان.		25
19 ربيع الآخرة 1445 هجري.		

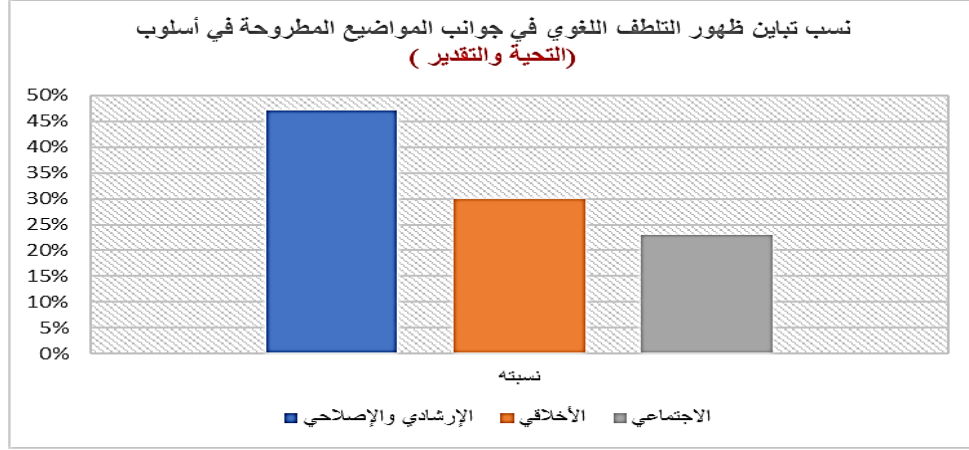
3.4.2. شيوخ التقدير في جوانب محددة من مواضيع الخطب ونسبتها

الجدول (17) أعداد حضور التلطف اللغوي في الجوانب المختلفة ونسبتها في أسلوب التقدير:

الإرشادي والإصلاحي	الأخلاقي	الاجتماعي	الجانب
25	16	12	العدد
%47	%30	%23	النسبة

الجدول (18) نسب حضور التقدير في هذه الجوانب

نسبته	الجانب
%47	الإرشادي والإصلاحي
%30	الأخلاقي
%23	الاجتماعي



الشكل (11) الرسم البياني للنسب في هذه الجوانب

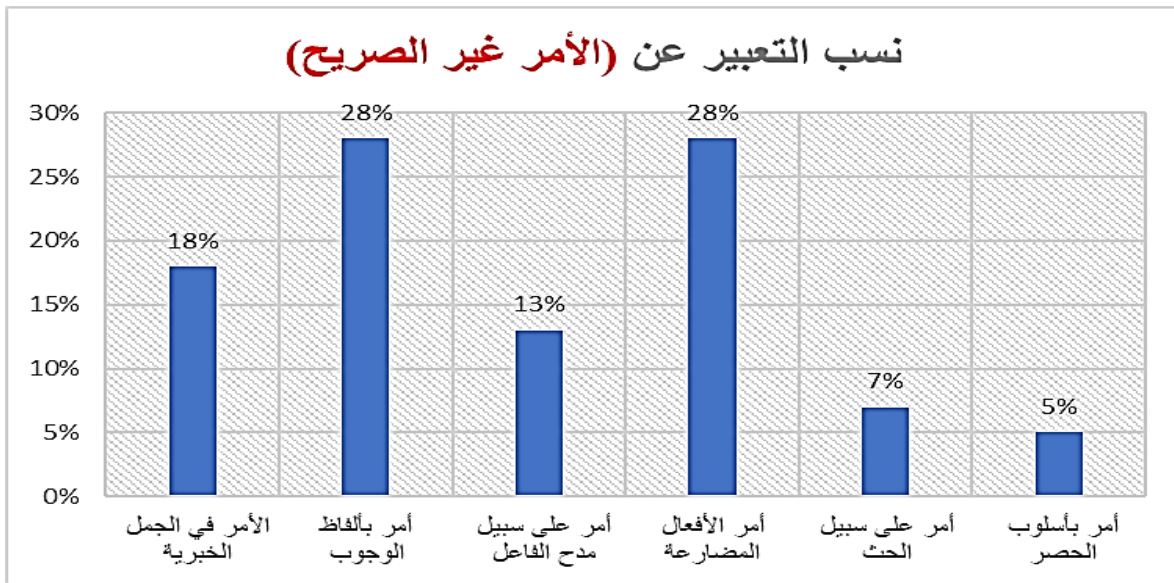
وخلاصة القول إن شيوع التقدير في المواضيع التي تتعلق بالجانب الإرشادي والإصلاحي يمكن أن يفسر بوعي كُتَّاب الخُطب بحقيقة أن إصلاح النفس البشرية وإرشادها إلى ما فيه هدايتها ونجاتها سبب في إصلاح باقي الجوانب الأخرى، لذا جاءت العناية بتهديب الخطاب ومراعاة أقصى أساليب الذوق ليتحقق الهدف الإرشادي ويحقق الغاية منه، فإرشاد الناس إلى حقيقة أن القرآن ليُسعد لا ليُشقي، وفضائل رمضان والحكمة منه، وقيمة الأعمال الصالحة في الحياة، وقرب الله وقدرته على تحقيق مآربهم، وفضائل البر من الإنفاق، وكون العلم أخلاقاً وفضائل قبل أن يكون حشواً للمحفوظات وعدم العمل بها، وإصلاح أنماط حياتهم عن طريق اتباع هدي رسولهم، وطلبهم لعفو الله ومغفرته، والمصارعة إلى الخير وترقب وعود الله بالخير والرزق، كل هذه الأمور كفيلة بتعديل باقي جوانب الحياة الأخرى، فمن استرشد بذلك وكانت سبباً في إصلاحه نجحت علاقاته الاجتماعية لتكون أسراً مؤمنة مثالية، وزانت أخلاقه فكان كقرآن يمشي في أرضه وبين مجتمعه، لهذا جاء التركيز على هذا الجانب بالذات.

الجدول (19) أعداد حضور أسلوب الأمر غير الصريح وطرائق التعبير عنه في المدونة 134.

العدد	طرائق التعبير عنه	
24	الأمر في الجمل الخبرية	1
38	أمر بألفاظ الوجوب	2
18	أمر على سبيل مدح الفاعل	3
38	أمر الأفعال المضارعة	4
9	أمر على سبيل الحث	5
7	أمر بأسلوب الحصر	6

الجدول (20) النسبة لكل نوع

نسبته	أمر غير صريح	
18%	الأمر في الجمل الخبرية	1
28%	أمر بألفاظ الوجد	2
13%	أمر على سبيل مدح الفاعل	3
28%	أمر الأفعال المضارعة	4
7%	أمر على سبيل الحث	5
5%	أمر بأسلوب الحصر	6



الشكل (12) الرسم البياني لهذه النسب

من الملاحظ أن أسلوب الأمر هو من الأساليب الأقل شيوعاً في خطب الجمعة المدروسة، حيث توضح النتائج أنه احتل مرتبة ما قبل الأخيرة من حيث الشيوع، وهذا مما يؤكد أن خطب الجمعة ليست خطاباً صارماً في توجهه وليست سلطوية في نوعها، بل هي إرشاد تربوي مدروس يهدف في جملته إلى خلق تأثير مرغوب في القلوب والعقول، لا فرض سلطة بالقوة لمحاولة تغيير السلوك.

كما أن في استعمال الخطباء لألفاظ الوجد بدل الأمر الصريح دلالة على طلب الأمر برفق ملزم دون الحاجة للمواجهة المباشرة بالأمر الصريح، فيشعر من خلالها المخاطبون أن ما يُوجّه إليهم

من أوامر نابعة من سلطة تشريعية دينية أساسها رحمة الله، وأن اختيارها والانصياع الطوعي لامثالها دليل على رجاحة عقل وسلامة منطق وصحة قرار، وليست أمرًا تابعًا لسلطة الخطيب.

كما يساعد الأمر باستعمال الأفعال المضارعة على تقليل الحدة والتخفيف من سياسات المواجهة بطريقة تقريرية لطيفة تعلي من ذوق الخطاب والخطيب، وهذا من شأنه أن يحقق توجيهًا صحيًا للسلوك الصحيح دون إثارة مقاومة نفسية لدى المخاطبين.

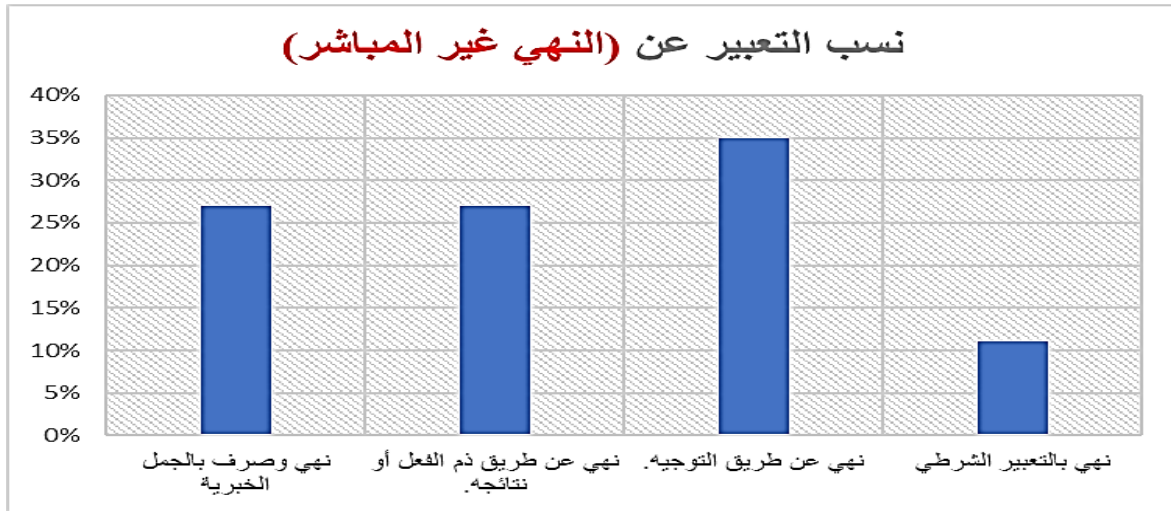
ومدح الفاعل وتعزيز أفعاله بالثناء والتقدير مدعاة لتحفيز المخاطبين على الاقتداء به دون أن يشعروهم بالإلزام أو بشيء من سياسات التوجيه المباشر، فيكون فعل الخير والتوجه إليه نابعًا من رضا المخاطب ورغبة منه لبلوغ هذا الثناء إقرارًا من ذاته بأنه سلوك يقود إلى الفضائل أو نيل المحامد أو حصول الثواب والجزاء الحسن.

الجدول (21) أعداد حضور (أسلوب النهي والصرف) غير الصريح وطرائق التعبير عنه في المدونة 26.

العدد	طرائق التعبير عنه
7	1 نهى وصرف بالجملة الخبرية
7	2 نهى عن طريق ذم الفعل أو نتائجه.
9	3 نهى عن طريق التوجيه.
3	4 نهى بالتعبير الشرطي

الجدول (22) النسبة لكل نوع

العدد	طرائق التعبير عنه
27%	1 نهى وصرف بالجملة الخبرية
27%	2 نهى عن طريق ذم الفعل أو نتائجه.
35%	3 نهى عن طريق التوجيه.
11%	4 نهى بالتعبير الشرطي



الشكل (13) الرسم البياني لهذه النسب

إن عدول الخطباء عن استعمال النهي والصرف قدر الإمكان وتوجههم للسبل الأقل حدة عن طريق الأساليب غير المباشرة لهو دليل واضح على النهج الديني المعتدل في سلطنة عُمان؛ إذ إن المسائل الدينية دائماً ما يؤخذ زمام البت فيها بالتركيز على التسامح والتوازن، فيكون الميل لاستعمال الأساليب التوجيهية الخيار الأفضل من الخيارات الأخرى المتاحة، وهذا ما أثبتته التحليل فعلاً، فقد بلغت نسبة النهي عن طريق التوجيه 35%، وذلك لأن هذه الطريقة تتسم بشيء من الرقة بدلاً من أسلوب النهي الحاد. علاوة على ذلك، يعد إثباتاً لثقافة الحياء والاحترام في هذا البلد، فليس من الغريب أن نجد احترامهم للمقام والخصوصية، بالتالي نجد أن هذا الأمر منعكس على لغة الخطاب بينهم، فيتقادون فيها أي نوع من التوبيخ العلني المحرج.

كما يتبين لنا أن اللجوء إلى النهي والصرف باستعمال الجمل الخبرية، وذم الأفعال والنتائج دون فاعليها، أمر واضح على سياسة تجنب التصادمات المباشرة مع المخاطبين، لهذا كان التوجه إلى التلميح دون التصريح، وهذا أحد مقومات التهذيب في الخطاب الديني في عمان، إذ إن سياسات التلميح في فعل المرغوب وترك غيره، والميل للإشادة بمدح الأفعال التي تقود إلى الفضائل ومكارم الأخلاق بدل الإنذار والترهيب وشدة الويل والوعيد، أدعى للتأثير الأعمق وأكثر قبولاً للأفكار، فهذا يهيئ أن تُزرع أفكار الرسالة وأهدافها بهدوء في نفوس المخاطبين وعن اقتناع، لأنها تتيح لهم مجالاً للتأمل والقبول أو الرفض دون الشعور بالتحدي أو الاتهام.

ولا يمكن أن نغفل عن قضية الحاجة إلى وحدة الصفوف لهذه الخُطب، وأن نجاحها يتمثل في استقطاب الناس وإقبالهم واستفادتهم. لذا فإن النهي المباشر وسياسات المواجهة المباشرة قد تؤدي إلى شعور غير مرغوب فيه في نفوس بعض الناس، وهو شعور الاستهداف، وهذا قد يمثل ضغطاً تكون نتائجه سلبية بخلاف ما ترجوه الخُطب وتسعى إليه، بخلاف التوجيه العام الذي يفتح مجالاً للانسجام، مما يؤسس في النفس قبولاً لحوار داخلي هادئ. كما أنه من المعلوم أن محاولات تغيير سلوك ما لا يمكن أن تتحقق بمجرد أمر ونهي فقط، وإنما يحتاج القائم عليها إلى تهيئة نفسية وذهنية، فتكون بمثابة البناء التدريجي للوصول إلى التغيير المطلوب.

وخلاصة ذلك كله، بعد الوقوف على عمليات إحصاء هذه الأساليب، كان الدعاء فيها المتصدر في التكرار والظهور، والأكثر شيوعاً من بين الأساليب، مؤكداً بذلك أن الدعاء هو العبادة التي تبرأ بها الدعاة والمرسلون من حولهم وقوتهم، ملتجئين إلى قوة الله وحوله لتحقيق بها دعوتهم. وهو نهج سار عليه الأنبياء في الدعوة، فما من نبي إلا وكان دعاؤه لقومه الأكثر ظهوراً من جهده في دعوتهم ومحاولة إقناعهم.

ثم يأتي بعد ذلك النداء، وهو أسلوب أبوي رحيم نادى الله به عباده في القرآن، ونادى به المرسلون أقوامهم، وهو ما سار عليه الخطباء والوعاظ لما فيه من دعوة لطيفة للإقبال والقبول بشعور المحب الحريص.

وحضور أسلوب التحية والتقدير بعدد مساوٍ لعدد الخطب دليل قوي على أنه ضمن أهداف الخطب السامية لاستقطاب الناس للدين وإبداء المحبة والتقدير لهم.

ويأتي النهي أقل هذه الأساليب شيوعاً وذلك للأسباب التي تم توضيحها. لذا يمكن القول إن علاقة شيوع أسلوب التلطف اللغوي في سياسة استعمال الأساليب المختلفة في الخطبة تكون عن طريق مراعاة الألفاظ والصفات وانتقاء التراكيب وعدم المباشرة والتصريح والتقليل من المواجهات المباشرة، إضافةً إلى توجيهه، وهذا له دور واضح في نمط بناء الخطبة وتحقيق أهدافها. من هذا، يمكن الوصول إلى حقيقة أن التلطف اللغوي ومراعاته في هذه الخطب لا يعد مجرد ترف بلاغي، بل

هو انتقاء واع تتم مراعاته في هذه النصوص بعناية كونه يخدم أهداف الخطبة ويعين على تحقيقها والوصول برسائلها الدعوية إلى واقع حياة الناس ليتمثلوها في أدق تفاصيل حياتهم، ولا يخفى على ذي لب أن أهداف الخطاب الديني عميقة جدًا تشمل جوانب التكوين البشري وتلمس احتياجاته في كل الجوانب، فالخطبة إلى جانب نمطها العريض الظاهر للعيان، كونها نمطًا تعبديًا جماهيريًا، فهي خطاب تربوي ونفسي وعقلي وأخلاقي وسياسي يستهدف بناء الذات المثالية لنموذج المواطن الصالح، ويكون فيها الخطيب جزءًا من مكونات الخطاب، يعمل فيه كمخاطب واعظ ومرتب، لا كقاضٍ وأمرٍ وناهٍ. ورغم أن مسار الخطبة أحادي الاتجاه، إلا أن أساس نجاحها متمثل في التفاعل الداخلي للمخاطبين، فكانت سياسات التلطف اللغوي بكل معطياتها وأساليبها تستقطب هذه القلوب وتحاورها بالتي هي أحسن سبيلًا لتحقيق أهداف هذا الخطاب.

فالتلطف اللغوي هو فن التأثير الهادئ، فكما شعر المخاطبون بالاحترام انفتح أفق قبولهم للرسائل وتعزز قبولهم النفسي، وكما تقلصت أساليب التوبيخ تحفزت لديهم مشاعر الانقياد الطوعي، وكما فُتح لهم مجال التفكير والقرار والاختيار دون دفع قسري قلت لديهم المقاومات النفسية لهذا التوجيه، وكما برزت عواطف المحبة والحرص في التوجيه والإرشاد وتصدر إحساس المرشد الأبوي لدى الخطيب تحقق الإقناع والقبول.

الخاتمة والنتائج:

درس هذا البحث أساليب التلطف ودورها في تهذيب الخطاب الديني وتحقيق أهدافه، فتناول دور المقدمات اللطيفة في خطب الجمعة في استقطاب أذهان الناس وتقبلهم، كونها تمثل ركيزة الخطاب وإطاره المرجعي، وكيف يمكن للبسملة في هذه المقدمات أن تقوم مقام التحية وتحقق غايتها. ودرس التلطف في الدعاء، موضحاً كيف يمكن لهذا الدعاء في الخطاب أن يعطي المتلقي جرعات من الطاقات الإيجابية، ويشحنه بنوع من مشاعر الأمل والتفاؤل، ناهيك عن كونه سبيلاً للسكينة والانشراح والسلام، إذ يفتح للناس آفاقاً رحبة من التطلع نحو الخير. وتناول البحث دور النداء التلطفي في هذه الخطب، والذي يتمثل في دوره كتصرف إيجابي يعبر عن حسن الخلق والتعبير الودي الذي يساهم في خلق بيئة فاعلة ومريحة للتواصل الفعال، وفي دوره القائم على لفت الانتباه والاستدعاء باستعمال الصفات الدافئة والأسماء المحببة في نداء المخاطبين. كما تناول عناية الدين بالروح البشرية كوجه من وجوه التلطف في هذا الخطاب، الجانب الاجتماعي في الإنسان وتناول أساليب الأمر والنهي بطرق غير مباشرة لدورها البلاغي والتلطفي في إيصال الرسائل وتوجيه المخاطبين بطرق لطيفة غير ملزمة تقادياً للتوجيه الأمر والملزم والملح، كما ركز على تناول هذه الأساليب ودورها التلطفي من جانب تداولي في تحقيق الأهداف، حيث أنزلت مفاهيم التداولية ومصطلحاتها في تفسير وتحليل التلطف وتداعياته في التأثير على المتلقين وقبولهم وتحقيق الأهداف.

ومن ثم إحصاء بعض هذه النتائج بلغة الأرقام والبيانات وتحويلها من الجانب اللغوي الوصفي إلى حقائق رقمية وبيانية كملخص مختصر سهل القراءة، موضحاً أبرز هذه الأساليب شيوعاً وأقلها، وعرض بعض تفاصيل هذه النتائج من حيث التفاوت في استعمالها التلطيفية كأعداد ونسب.

وخلصت هذه الدراسة في هذا البحث إلى عدد من النتائج من أهمها:

1. البدايات اللطيفة في مقدمة الخطب غير اعتباطية، بل خضعت لبدايتها لانتقاء هادف ومقصود؛ حيث بنيت بأسلوب تقديري لطيف يوحي بالتحية والترحيب لما له من دور في إنجاح العلاقات التواصلية الجيدة وتحقيق الأهداف.

2. الدعاء في الخطب اتخذ مسارين اثنين: الأول جاء متخللاً نص الخطبة وأثناءها حسب الحاجة والسياق الداعي إليه، يسوقه الخطيب في خضم خطبته كجمل اعتراضية بغية تلطيف القول وبلوغ مقاصد هذه الدعوات بتحقيق طلب العون والرحمات من الله سبحانه، أو في سياق الاستشهاد بها. الثاني تمثل في سياقات ثابتة في أجزاء محددة من الخطبة: نهاية الخطبة الأولى بأسلوب أشبه بالثابت وفي نهاية الخطبة الثانية من كل خطبة.

3. اعتراض جمل التوجيه والأمر والنهي والوعظ بجمل الدعاء يمثل نوعاً لغوياً وخلقاً رفيعاً في الخطاب.

4. استعمال التلطف في النداء يعد عاملاً حاسماً للتواصل الفعال والتأثير البلاغي الناجح وعنصرًا مهمًا في تحقيق الاستجابة.

5. وجود التنوع في الأسماء والصفات التي استعملها الخطيب دليل على حرصه على تخير الأسماء والصفات التي يخاطب بها مستمعيه؛ لإنجاح عملية التواصل معهم، وخلق التأثير فيهم، وهذا أحد أوجه التلطف في الخطب.

6. توعية الناس في الخطب وتذكيرهم بالأجور والحسنات والجزاء الذي وعد الله به أصحاب البلاء يدخل ضمن تكثير ربح المخاطب، وهذا مما يهون على الناس بلاءهم وهو أحد وجوه اللطف في الخطاب.

7. لين القول بما يستعطف المخاطبين ويستميلهم ويؤنس قلوبهم وعقولهم لطف، واللطيف من الكلام ما تُعطفُ به القلوب النافرة.

8. نزول الخطيب إلى مستوى المخاطبين وإلزام نفسه بالأمر معهم يعد لطفًا، وحرصه على تركيتهم بالأخلاق لطفًا.

9. تكييف الإنتاج اللغوي بانتقاء الألفاظ والتراكيب يحقق تفاعلًا إيجابيًا يعين على تحقيق الأهداف، وهذا أحد صور التلطف اللغوي.

10. إن الأساليب غير الصريحة وعلى رأسها الأمر تأتي عناية بالمأمور وتترفق به، فينشأ الأمر أكثر تأدبًا ونوقًا من الصريح، كما أنه يمكن أن نعد الإخبار في الأمر نوعًا من التناؤل باستجابة الطلب وتحقيقه،

- والتركيز على إيصال الرسائل الأمرية بأسلوب فيه نوع من حرية القبول، دليل على الذوق الرفيع في استعمال اللغة وتلطفه في الخطاب، فالنفوس البشرية ميالة لمن يقدرها ويحرص على مصالحها.
11. اتخذ الخطيب التوجيه باستعمال عبارة "لا ينبغي" و"ليس من" في نهيه كبديل عن النهي المباشر، أكثر فاعلية من المواجهة المباشرة في تحقيق أهداف الخطاب، لأن المواجهات المباشرة تؤدي أحياناً إلى نوع من التصعيد؛ بالتالي خلق جو من التحدي.
12. التلطف اللغوي أكبر من كونه ظاهرة تحسن اللفظ وتلين القول، وذلك لدوره الكبير في تقبل الطرف الآخر للأمر وتحسين الفهم وتطوير الأداء وإنجاح الخطابات وإيصال الرسائل.
13. أسلوب الدعاء كان أكثر الأساليب تكراراً وشيوعاً من بين الأساليب الأخرى في الخطب.
14. أسلوب النهي والصرف هو الأقل شيوعاً في الخطب.
15. اتضح إحصائياً أن نمط الأدعية الثابتة أكثر شيوعاً ويغلب على النمط المتغير فيها لدورها في تحقيق التلطف اللغوي من حيث ترسيخ النموذج البلاغي لكونها ثابتة، بمعنى أنها مختارة بعناية تحمل تراكيب فصيحة وصوراً بيانية يألّفها المتلقي ويتفاعل معها وجدانياً، وهذا أحد وجوه اللطف اللغوي والذوق السليم الداعي إلى القبول.
16. اتضح إحصائياً أن نمط الصفات المركبة في النداء غلب على نمط الصفات المفردة، لأن انتقاء الصفات المركبة يوحي بسمو الغايات ويعكس احترام المخاطبين لما لهذه الصفات من دلالات عميقة قد لا تظهر في غيرها من الصفات المفردة.

التوصيات:

في ضوء نتائج هذا البحث يوصى بالتالي:

1. إنشاء مركز تدريب وتأهيل خاص للخطباء ببرامج تركز على مهارات التواصل اللغوي اللطيف وتأهيلهم بفنون الإقناع بما يتماشى مع المجتمع العماني المتسامح والمحافظ.
 2. إدراج دليل إرشادي للخطباء يتضمن نماذج تطبيقية لأساليب التلطف اللغوي وأثرها.
 3. توسيع نطاق الحديث عن دور الخطاب الديني اللطيف في بناء إنسان مستقيم ومتوازن عن طريق برامج الإعلام المختلفة تستهدف النشء والشباب بلغة معاصرة محببة.
 4. دعم المبادرات المجتمعية المقترحة لمعالجة القضايا الاجتماعية عن طريق الخطاب الديني.
- آفاق بحثية يفتحها هذا البحث مستقبلاً:

1. دراسات مقارنة يقارن فيها الخطاب الديني بالخطابات الأخرى كالسياسي والإعلامي في السلطنة من حيث أساليب التلطف فيها.
2. دراسات تحليل الفروق الأسلوبية بين الخطب الدينية وخطب المناسبات الوطنية من حيث التلطف.
3. دراسات في مجال بحث التغير الزمني تتناول تتبع التطور في أساليب التلطف عبر العقود الزمنية في خطب الجمعة بالسلطنة.
4. أساليب التلطف في الكنايات العمانية.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبوكا: أسلوب النداء وأسرار البلاغية، مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة، المعهد الإسلامي بداركار، السنغال.
2. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: كتاب الأغاني، ط3، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، 2008م، مج9.
3. الأوسي، قيس إسماعيل: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد.
4. أولمان، ستيفن: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب.
5. ابن الأثير، نصرالله بن محمد الموصلي: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحמיד، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1411هـ/1990م.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية، تخريج: محمد الألباني، ط2، دار الصديق للنشر، 1421هـجري/2000م.
7. البقاعي، برهان الدين إبراهيم عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب، القاهرة، ص27.
8. البلداوي، جنان سالم: فلسفة اللغة عند بول غريس محاولة جديدة لقراءة مقالة (المنطق والمحادثة)، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، ع92، 2022م، جامعة الإمام جعفر الصادق، كلية الآداب.
9. البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين: الجامع لشعب الإيمان، ط1، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشيد، السعودية-الرياض، ج4، 1423هـجري/2003م.
10. التميمي، الجنيني وإبتهال، منى: تحليل أسلوب لرسائل التهنئة الرسمية باللغتين الإنجليزية والعربية، المجلة العربية العالمية باللغة الإنجليزية، مج12، ع3، سبتمبر 2021، صص 257-277. بحث مترجم https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=3952887
11. التوحيدي، أبي حيان: الصداقة والصدق، ط2، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق-سورية، 1996م.

12. الجاحظ، عمر بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق: عبدالسلام هارون.
13. الجرجاني، عبدالقاهر: **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر.
14. جريدة الشيبية، **مقتطفات من خطبة الجمعة "بين عام نودعه و عام نستقبله"**، 22 يوليو 2022م. <https://2u.pw/uXS69>
15. ابن جنبي، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية.
16. حسان، تمام: **مناهج البحث في اللغة**، مكتبة انجلو المصرية مطبعة الرسالة، القاهرة، 1955م.
17. حسن، عباس: **النحو الوافي**، ط3، دار المعارف بمصر.
18. حسن، معاذ وليد: **تداولية تركيب النهي في سورة طه**، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، مج:28، ع2، 2020م، ص ص 360-385.
19. الحقييل، إبراهيم محمد: **المفيد في خطب الجمعة والعيد**، ط1، دار ابن خزيمة، الرياض، 2005/1426م.
20. ابن حنبل، أحمد بن محمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هجري/2001م.
21. أبو حيان، محمد يوسف الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، ط1، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هجري/1993م.
22. خرما، نايف: **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1978.
23. الخطابي، حمد محمد: **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية. نسخة إلكترونية: <http://bit.ly/4huzA4T>
24. درويش، إبراهيم: **اللغة والدين في الأردن**، المنصة الدولية لتبادل المعرفة (IISTE)، الأردن، مج4، ع26، 2014م، بحث مترجم: www.iiste.org

25. ذهبية، حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ط2، دارالأمل للطباعة والنشر.
26. ربابه، محمود علي: لغة الرجال والنساء "استفسارات حول الصحة باللهجة العربية الأردنية"،
المجلة العلمية الأوروبية، مج8، ع10، طبعة مايو. بحث مترجم:
<https://core.ac.uk/download/pdf/236413015.pdf>
27. الراجحي، عبده: التطبيق النحوي، دار النهضة العربية.
28. أبي ربيعة، عمر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت -لبنان.
29. رضا، فيحاء أحمد: المخطط الصوري المجازي في دعاء الصباح للإمام علي، مجلة آداب
الكوفة، ع48، ج2، شوال 1442هـ/جري/2021م. مترجم:
<https://ar.masader.com/eds/detail?db=awr&an=151313519>
30. الريامي، أحمد محمد: القوة الإنجازية للأفعال الطلبيه في سور المفصل (الأمر، والنهي،
والاستفهام)، مجلة موازين، مج5، ع1، ص ص23-44، ديسمبر 2023م.
31. الزحيلي، محمد مصطفى: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط2، دار الخير، بيروت-لبنان،
1427هـ/2006م.
23. الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة.
33. الزمخشري، جار الله محمود: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، علق: خليل
مأمون، ط3، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1430هـ/2009م.
34. الزمخشري، محمود بن عمر: المفصل في علم العربية، ط1، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار
عمار، المكتبة الوطنية، 2004م.
35. ساجت، انتظار قاسم: أثر الإحالة في تحقيق الاتساق النصي في آيات الدعاء القرآن، مجلة
لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مج4، ع42، 2021م.
36. السامرائي، إبراهيم: من أساليب القرآن، ط2، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، عمّان -الأردن،
1407هـ/1987م.

37. السامرائي، عماد أكرم: شرح البسملة للإمام العلم العلامة الشيخ أحمد النفراوي المالكي، مجلة كلية الإمام الأعظم، ع37.
38. السامرائي، فاضل صالح: كتاب معاني النحو، ط1، دار الفكر، الأردن، 2000م
39. ابن السراج، محمد بن سهل: الأصول في النحو، ط3، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، 1996م.
40. السفاريني، محمد أحمد: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ط2، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1423هـ/2002م.
41. السكاكي، يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، 1407-1987م.
42. سلمان، هدى داود: أفعال الكلام دراسة تحليلية في آي من القرآن الكريم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مج16، ع4، 2024م، ص ص116-139.
43. السلولي، سعيد حسن: دراسة تحليلية حول البسملة في ضوء الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة، 1398هـ/1978م.
44. سيوييه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، ط3، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1408هـ/1988م.
45. السيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي: في ظلال القرآن، ط32، دار الشروق، 1423هـجري/2003م، مج1.
46. ابن سيده، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي: المخصص، ط الأميرية، دار الطباعة الكبرى الأميرية، بيروت-لبنان، 2007م، السفر 12.
47. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، السعودية.
48. السيوطي، جلال الدين: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وبهامشه حلية اللب المصون لأحمد الدمهوري، دار الفكر، بيروت-لبنان.

49. شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك: **معجم تحليل الخطاب**، ترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، دار سناترا، تونس، 2008م.
50. الشافعي، محمد بن إدريس: ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، 1985م.
51. أبي شامه، عبدالرحمن بن إسماعيل: كتاب البسمة، تحقيق: عدنان الغلي، المجمع الثقافي، 2004م.
52. الشهري، عبدالهادي: **إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية**، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، 2004م.
53. شيخ زاده، محمد مصطفى: قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر، ط1، 1995م، بيروت-لبنان.
45. الصامل، محمد: **بلاغة أساليب التحية في الشعر العربي**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج16، ع28، شوال 1424هـ.
55. صحراوي، مسعود: **التداولية عند العلماء العرب**، ط1، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 2005م.
56. صحيفة أثير، **لقد جاءكم رسول من أنفسكم**، 15 يوليو 2025م، الرابط: [/https://www.atheer.om/archive/603120](https://www.atheer.om/archive/603120)
57. صحيفة الشبيبة، **تعرف على عنوان خطبة الجمعة في سلطنة عُمان وأبرز مقتطفاتها - عاجل**، 15 يوليو 2025م، الرابط: <https://2u.pw/f9qT2>
58. صحيفة الصحوه صوت الشباب، **إليك مقتطفات من خطبة الجمعة**، 15 يوليو 2025م، الرابط: <https://alsahwa.om/?p=154664>
59. صديق، محمد رجب: **الخطاب والتداولية مدخل نظري**، حوليات آداب عين شمس، مج44، يوليو-سبتمبر 2016م.
60. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: **كتاب الأغاني**، ط3، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، 2008م، مج9.

61. طبطوب، سجية: **طبيعة القوة الإنجازية لجملة النداء في سورة البقرة بين المؤشر الإنجازي والمكّون المنادي**، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2 الجزائر، المجلد 35، العدد 1، ص 325-337.
62. ابن عاشور، محمد الطاهر: **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
63. عباس، فضل حسن: **البلاغة فنونها وأفانها-علم المعاني-**، ط4، دار الفرقان، 1997م.
64. عبد الرحمن، طه: **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، ط2، المركز الثقافي العربي، 2000م.
65. عبد المطلب، محمد: **البلاغة العربية قراءة أخرى**، ط2، لونجمان، 2007م.
66. عبد جمعة، كريمة: **المقامات اللزومية للسرقسطي دراسة في التعلق التركيبي والأسلوبي**، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، جامعة ميسان، مج23، ع51، ايلول 2024م.
67. عبيد، حاتم: **البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية من وجهة نظر لسانية تداولية نظرية التأدب أنموذجاً**، مجلة اللسانيات العربية، ع2، ذو القعدة 1436هـ/ سبتمبر 2015م.
68. أبي العتاهية، إسماعيل بن القاسم: **ديوان أبي العتاهية**، دار بيروت، 1406هـ/ 1986م.
69. العسكري، أبي هلال الحسن بن عبدالله: **الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار أحياء الكتب العربية، 1371هـ-1952م.
70. عفيفي، أحمد: **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م.
71. عكاشة، محمود: **النظرية البرجماتية (التداولية)**، ط1، القاهرة-مكتبة الآداب، 2013م.
72. عمارة، محمود محمد: **الخطابة في موكب الدعوة**، ط1، دار الخير، 1413هـ/ 1993م.
73. العيني، بدر الدين أبي محمد محمود: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ضبط وتصحيح: عبدالله محمود محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1421هـ/ 2001م.
73. ابن فارس، أبي الحسن أحمد: **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، علق: أحمد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1418هـ/ 1997م.

74. فريحات، شريفة عبدالكريم: الصحة النفسية في قصة مريم، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج24، ع6، 2024م.

75. فريد رشاد، شهد: أساليب الإنشاء الطلبي في شعر الزبيديين، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، مج25، ع6، رمضان 1439هـ/حزيران 2018م، ص ص243-262م.

76. القحطاني، سعيد علي: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض.

77. القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/حجري/2003م.

78. القشيري، عبد الكريم هوازن: تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، ط3، تحقيق: إبراهيم البسيوني، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج3. المكتبة الشاملة:

<https://shamela.ws/book/23629/1791>

79. قلقلية، عبده عبدالعزيز، البلاغة الاصطلاحية، ط3، دار الفكر العربي، 1412هـ-1992م.

80. كاده، ليلي: الاستلزام الحوارية في الدرس اللساني الحديث: طه عبدالرحمن أنموذجاً، مجلة الممارسات اللغوية، ع21، ص ص194-169، 2014م.

81. كاظم، عماد جبار: نحو النص في دعاء السمات قراءة تحليلية في ضوء خصائص نحو التكوين النصي، مجلة كلية التربية، ع41، ج2، تشرين الثاني 2020م.

82. لاينز، جون: اللغة والمعنى والسياق، ط1، ترجمه: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.

83. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م.

84. محجازي، فاتن خليل: استراتيجيات التواصل في الخطاب النبوي، المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وآدابها، السعودية، مج4، ع1، 2022م.

85. المحروقي، زاهر: خطبة الجمعة ولغة العصر، جريدة عمان، 15 يوليو 2025م، الرابط:

<https://2u.pw/GuLDa>

86. محي الدين، محمد: شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1371هـ/1952م.
87. مختار عمر، أحمد: علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة.
88. المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، ط1، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هـ/1992م.
89. مشري، محمد: مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب، كلية الآداب، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، علوم في اللغة العربية، الجزائر، 2009م.
90. ابن منظور، محمد مكرم: لسان العرب، تحقيق: عبدالله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
91. مهدي، نيران فالح: الخطاب الاستشراقي في خطب الجمعة دراسة تداولية لخطب المرجعية الدينية الغليا لعام 2014م، 1444هـ/2022م.
92. موسوي، محمد: دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، مج2، ع4، 15 مارس 2019م.
93. الموسوي، محمد صدام: التوجيه الصرفي للبسملة في كتاب الرسائل في تفسير سورة الفاتحة، مجلة آداب البصرة، ع106، كانون الأول 2023م.
94. موقع إنستغرام، الرابط: <https://www.instagram.com/meraoman?igsh=MWpweXo1dmJqcWczcg>
95. موقع تطبيق تويتر، الرابط: https://x.com/oman1_news/status/1537671222602915840
96. موقع تطبيق الفيسبوك، الرابط: <https://www.facebook.com/share/1GUqJEAdGa/?mibextid=wwXlfr>
97. ميلاد، خالد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، ط1، المؤسسة العربية، تونس، 1421هـ/2001م.
98. الميساوي، خليفة: تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأديب، مجلة اللسانيات العربية، ذو القعدة 1442هـ/يوليو 2021م.

99. ناجي، حسين علي وحسين، مهني ناصر: أسلوب الأمر غير الصريح وطرائقه في القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية، مج25، ع3، أيلول2018.
100. النطار، هدى جبر: الخطاب الديني في شعر النقائض في ضوء اللسانيات الاجتماعية، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج23، العدد2، 2022م.
101. الهلالي، حسن فاضل: أسلوب النداء في نهج البلاغة، مجلة آداب الكوفة جامعة فرديوسي، كلية العلوم والآداب الإنسانية، ع51، ج1، 2022م.
102. هنيدي الحمد، حسن: آيات النداء في القرآن الكريم، النداء بين الرسل وأقوامهم الآية 64 من آل عمران أنموذجاً - دراسة لغوية بلاغية، مجلة ربحان للنشر العلمي، مج40، 2023/10/28م.
103. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، خطب يوم الجمعة، بسلطنة عُمان، منذ بداية 2022 حتى نهاية 2023.
104. ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل للزمخشري، الطباعة المنيرية.